إصدارات الهيئة العلمية للدراسات

السيرة النبوية ﷺ

دراسة في التأصيل والمنهج والسرد

إعداد
دكتور/ أحمد عبد الرحمن النقيب
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية .
كلية التربية - جامعة المنصورة

دار طابة للدراسات والنشر

السيرة النبوية ﷺ دراسة في التأصيل والمنهج والسرد

إصدارات الهيئة العلمية للدراسات

السيرة النبوية

دراسة في التأصيل والمنهج والسرد

الدكتور

أحمد عبد الرحمن النقيب

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

كلية التربية - جامعة المنصورة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

رقم الإيداع
٢٠١٥/١٧٦٧

طابة للدراسات والنشر
المحمورة - مصر

دار طابة للدراسات والنشر
هاتف
٠١١٢٠٠٠٠٤٣٠ - ٠١٠٢٦٦٢٢١٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الجديدة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

فمن توفيق الله ومنته أن يعينني على إعداد هذا المصنف ، وجعلت محوره فكرة واحدة هي: إجلاء سيرة رسول الله ﷺ بطريقة علمية ومنطقية ، وذلك عن طريق إجلاء منهجية ودراسة السيرة النبوية ، ثم محاولة جمع مجمل مختصر صحيح للسيرة النبوية ، ثم تَعَدّى الكتاب ما سبق ليبين أثر النبي ﷺ في إعداد رجاله وتربيتهم ، وكان المختار هو الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة، والصحابي الجليل ليس من طبقة أبي بكر الصديق وعمر ، كما أنه ليس من طبقة متأخري الصحابة وأولادهم ، ومع هذا فإن ترجمته تُعَدّ امتدادا حقيقيا لسيرة النبي ﷺ ، وهو ما قيدته وأتيت به.

لقد ناقش الكتاب كثيرا من القضايا والمصطلحات نجدها مبثوثة في طيات هذا السِّفر!!

لقد طبع هذا الكتاب منذ أكثر من خمس سنين ، ونفدت - بفضل الله وحده - نسخه جميعا ، ومع كثرة الأشغال وفق الله سبحانه مقيده أن يعيد النظر سريعا ؛ ليخرج الكتاب في صورته تلك ، ولا أظن الكمال ، ولكن لعل الله يحدث من أمره فسحة من وقت ؛ لأنظر وأنظر وأُحَبر ، وأُحَسِّن ،

وهذا مبتغى ، الله أسأل أن يوفقنا إليه وأن يعيننا عليه!! كما أدعوه سبحانه أن يبارك في كل من قرأه واستفاد أو أفاد ، قرأه وصفح ، قرأه فوعى ونصح ، كما أسأله سبحانه أن يثيب كل من أعان على إخراجه ونشره ، والحمد لله أولا وآخرا ، ظاهرا وباطنا ، وصلى الله وسلم وبارك على النبي الحبيب محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

** ** **

مقدمة الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأعراف: ٧٠-٧١] .

فإن كلمة الإسلام وبوابة دخوله - وهي كلمة الإخلاص وكلمة التقوى، وهي الكلمة التي جعلها نبي الله إبراهيم في بنيه وعقبه - هي :

كلمة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٨]. ومعرفة رسول الله ﷺ من جملة ما يجب على المسلم ، وهذا هو أحد ضرورات دراسة سيرة النبي ﷺ ، قال أبو الحسين بن فارس في صدر رسالته عن السيرة النبوية : " هذا ذكر ما يحق على المرء المسلم حفظه ، وتجب على ذي الدين معرفته "(١) ، ويتأيد بقول بعضهم: " إنه يخشى لمن جهلها إذا قيل له ما تقول في هذا الرجل - أي : في القبر عند السؤال ، ثبتنا الله تعالى عنده - أن يقول: لا أدري! سمعت الناس يقولون شيئا فقلته " ، أعاذنا الله من ذلك .

ولقد حبب الله إليّ قراءة التاريخ منذ سنى عمرى الأولى ، ولم أتم العاشرة ، وأولعت بقراءة التاريخ الإسلامى بعمق ووعى ، فكان يؤسفنى ما أقرأ ، مما لم يحتمله عقلى وقلبى ، وأنا لازلت فى ريعة الصبا واغتلام الطفولة ، ولكن ثوابت الدين كانت تشدنى بصرامة إليها ، ومن أهمها حب صحابة رسول الله ﷺ ، وهذه نعمة لا أكاد أجد لها كفوا !!! نعم ، كنت أقرأ وأحزن ، وكم كنت أبكى وأبكى عندما أتصور بعض الأحداث ، لاسيما أحداث الفتنة ، وكنت أسائل فكرى واعتقادى ، وإذا بُحت بسؤال رمانى الآخرون بأبصارهم كأنى قلت رجزا من القول وهجرا!!

---

(١) راجع لابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) : أوجز السير لخير البشر (٢/ ١٤٦) مجلة المورد ، العدد الرابع ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، تحقيق/ هلال ناجي ، (١٣٩٣هـ -١٩٧٣م) (د.ت) ونقله قريبًا منه عن ابن فارس السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص/ ٦٤ ، دراسة وتحقيق/ محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة - ١٩٨٩م.

واستمرت قراءاتى للتاريخ كله ، والإسلامى بوجه خاص ، لكن ما كان يعكر علىّ هو ما أجده من أخبار مزعجة لاسيما فى تاريخ الطبرى. وكنت آنذاك - كما أشرت - لم أتجاوز العاشرة ، لا أعرف الأسانيد ولا التخريج ولا طرائق أهل العلم فى إبصار الأخبار ونقد المرويات ، إلى أن أتى الفتح من الله ، إنه زوج أختى الفاضل شيخنا العلامة/ أحمد سعيد - عليه رحمة الله - لقد أتى من ليبيا - وكان ذلك فى السبعينات من القرن الفائت - ومعه نسخة عتيقة من كتاب "العواصم من القواصم" للقاضى أبى بكر بن العربى المالكى ، حشاها وعلق عليها الأستاذ/ محب الدين الخطيب ، فكانت بحق انقلابا فى عقلى ووجدانى ، لقد أصحت لى ما اخلولق ، ونصحت ما فتق ، فما هى إلا ضحوة من نهار وقد أجهزت على الكتاب كله، ولله الحمد.

وعلمت أن سبب إشكالى أننى قرأت دون تمحيص ودراية ، وقرأت لبعض المعاصرين الذين لم ينتحوا طريقة المحدِّثين فى إثبات المرويات ، وأيضا قدامى المؤرخين الذين لم يعنوا بهذا الجانب ، فصار قارئ التاريخ إما جريئا فى التقول على الفضلاء ، أو نخبا هواءً لا طائل تحته من شدة ما يقرأ من روايات مضطربة وأقوال متعارضة ، نفثها المغرضون ، ونفشها الشانئون، أما المخلصون فى هذا الباب ، الذين اشتعلت قلوبهم حبا لتاريخ أمتهم ، واتقدت أذهانهم حرصا على صياغة إرث أمتهم ، فانبرى يراعهم ليسود صفحات الشرف بنور مجد هذه الأمة الإسلامية التليدة ، هذه الطائفة لهى أندر من الكبريت الأحمر!!

إن مجال التاريخ كثر رواده ومريدوه ، لكن هيهات أن تجد من كان له نية

صالحة وغرض صحيح ، هى الدنيا عند طائفة يريدون زهوتها وزهرتها ، وهى الأهواء والأغراض الخبيثة عند طائفة من المنفسخين عن الدين البائعين له ؛ بِدَوْرهم فى رضا أسيادهم من المستشرقين والمستعربين ونحوهم!! ولهذا كان لابد من أن أصيح بأعلى صوتى ... انتبهوا ... فإن تاريخكم فى خطر .. لقد تسلط عليه الأعادى والأقزام ، وليس لكم أيها المسلمون إلا الانشغال بسفساف الأمور؟!! فوالله ما هذا بالنصف ، ولا بهذا يكون العز الذى ننشد ونورثه أجيالا من أبنائنا صاعدة ، تستشرف ما خَلَّفناه لهم!!!

إن ما ذكرت: نفثة مصدور مهموم ، وصيحة ملتاع حزين ، وفى الوقت نفسه يريد لأمته وبلاده الخير والصلاح والنفع والرباح. وما كنت أقصد مدحا ولا ذما ، وإنما أردت أن أثبت ما جرى به قلمى فى هذه المقدمة ، التى كان من حسن فألها أن تكون فى هذه الأيام المباركة فى أخريات ذى القعدة ، والحجيج يقصدون بيت الله الحرام ، لعل الله أن يتقبل منا ومنهم خير العمل ويعيننا على إخلاص القصد.

وهذا المصنف الذى أقدمه لقارئى العزيز ، عالجت فيه قضايا كثيرة ، منها ما يتعلق بمنهج العلم ودراسة التاريخ ، لاسيما تاريخ وسيرة النبى ﷺ ، وأتيت بدراسة مجملة لسيرته ﷺ جمعتها من بطون الكتب ، وراعيت فيها ما صح - قدر استطاعتى - وأنا أعلم تماما قصور كتب السيرة عن الوفاء بمقصود دراسة "السيرة" ، فالسيرة ليست عصرا مكيا وآخر مدنيا ثم وفاة النبى ﷺ وخلافة الصديق ، وإنما "السيرة" لها تعلق كبير بإبراز جوانب السلوك والعقائد والنظم والحرب والمعاقدات والمعاهدات

والمعاملات ...

ولما كان الصحابة هم أبعاض سيرة النبي ﷺ ومن جملة صانعي سيرته ، بل لا تكتمل دراسة الأستاذ إلا بدراسة تلامذته ، فالصحابة هم تلامذة النبي ﷺ الذين علمهم ورباهم وأمدهم وغذاهم ، فهم الامتداد الحق لرسول الله ﷺ ؛ ولهذا كان حبهم إيمانا وبغضهم والطعن فيهم نفاقا وكفرانا ؛ من أجل هذا وغيره كان عرض بعض ما يتصل بهم - لاسيما بعض ما اتهم به أفاضلهم زورا وكذبا - من ضرورة دراسة سيرة النبي ﷺ ، وهو ما لم أهمله بحال ، بل أتيت بقراءة لمذكرة "تاريخ الدولة الإسلامية" لأفرد منها بعض الهنات والزلات ، التى فيها الهمز واللمز والطعن فى خلفاء رسول الله ﷺ وخاصته كأبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم كثير رضى الله عنهم جميعا ، ولذلك وجدت من الضرورة قراءة ما تيسر من كتاب "العواصم" - المومأ إليه آنفا - إذ فيه برد القلب الملتهب بشبهات المستشرقين وسلامة الصدر المشدوخ بترهات الجهلاء والحاقدين. وأيضا لما كانت قضية تزوير التاريخ الإسلامى ، أحداثا وأعلاما ، على يد الشعوبيين(*) والمستشرقين والحاقدين ، لم تقتصر على عهد الصحابة ، بل تعدى غيظهم هذا العصر ، ليصلوا إلى العصور التالية ، أردت أن أبين ذلك، بقراءة ما ذكروه من سطوات ألسنتهم اللافحة لأعراض نبلاء الأمة من العلماء والأمراء ؛ ولذا كانت ضرورة دراسة السيرة وتعليمها الأولاد

(*) الشعوبيون : هم من يحتقر أمر العرب ولا يجد لهم فضلاً على غيرهم من العجم وهي نزعة ظهرت في العصر العباسي . راجع لابن منظور **لسان العرب** (٤/ ٢٢٧٠) ، ولمحب الدين الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت:١٢٠٥هـ) : **تاج العروس** (٢/ ١١٩) ، **والمعجم الوسيط** (١/ ٥٠٣) .

وتوقيفهم عليها، قال زين العابدين علي بن الحسين بن علي: كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن (١).

والسيرة فيها ديوان وأخبار من تقدم من أسلافنا ، فكان دراستها وصلا للحاضر بالماضي ؛ لتكون لنا زاداً عند السير ، وتنشيطا للهمة عند استشراف المستقبل ، وهذا ما لحظه أيضا المتقدمون ، قال إسماعيل بن محمد بن سعد ابن أبى وقاص (ت ١٣٤هـ): كان أبي يُعلِّمُنا المغازي والسرايا ، ويقول : يا بَنِيَّ هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها (٢).

وأيضا فإن أهم ما يتميز به المسلم - وهو ما نرجوه له ، لاسيما في هذه الأعصار - أن يكون عقديا ، أعني : أن يتمثل معاني العقيدة : معرفة ، وحبا ، وصدقا ، واستمساكا ، وغيرةً وحماسة ، نصرة ونشرا ، وهذا كله لن يتأتى إلا إذا شاهد نماذج بشرية تمثلت هذه المعاني ، تحركت بها ، انفعلت بها ولها ، حملتها لتربط بها مصيرها. هذه النماذج تمثل أنماط الخير والسلوك إلى الله ، ومن ثَمّ يمكن لغيرها أن يحتذوا حَذْوَهَا ، وينهجوا نَهْجَهَا ، ومن هنا كانت أهمية دراسة "السيرة" إنها الواقع العملي لمعاني الاعتقاد (٣)، إنها المرآة المجلوة التي تعكس بصدق حياة السابقين ممزوجة بروحهم وجهدهم وجهادهم وحضارتهم وانفعالهم وفعلهم في عمارة الأرض بشرع الله ومنهجه!!

---

(١) انظر للخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٨٨ - رقم ١٦٤٦) تحقيق محمد عجاج الخطيب ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، ط٢-١٤١٤هـ.
(٢) البغدادي : الجامع (٢/ ٢٨٧ رقم ١٦٤٨).
(٣) انظر حول هذا د. مهدى رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، دراسة توثيقية تحليلية (١/ ١٦) دار إمام الدعوة ، الرياض ، المملكة العربية =

ومن جملة أسباب دراسة السيرة النبوية: الوقوف على الأسباب الحقيقية العملية التي جمعت العرب في ظل الإسلام وجعلت منهم قوة أسست حضارة سرعان ما انتشر نورها وأظلَّ ضياؤها أركان الكون ، بفضل هذا النبي محمد ﷺ الذي ربى الجيل الأول لهذه الأمة فحملوا الدين ونشروه وعمروا به الدنيا ، لا كما يقول لوبون : " وأما المتعصبون ذوو العقول الضيقة الممتازون بقوة الخلق وشدة الشهوة فهم الذين يقدرون على إقامة الأديان وتأسيس الممالك وقلب نظام البشر. هذا بطرس الراهب أقام صوته ألوف الألوف ورمى بهم نحو الشرق [١]، وهذا صوت محمد [٢] كان له قوة التأثير ما انتصر به على الدنيا القديمة الإغريقية الرومانية " [٣].

إن دراسة "السيرة النبوية" وقوف على مشاهد التكوين الأولى لنشأة دولة الإسلام وأنظمتها المتعددة ، وهذا مفيد للمسلم المعاصر في تصور حاضره واستشراف مستقبله.

ولدراسة السيرة دور فاعل في معرفة السياقات الخارجية للنصوص الدينية (القرآن والسنة) مثل: معرفة أسباب النزول ، ومعرفة مناسبات ومواقف وأقوال وأفعال النبي ﷺ والصحابة الكرام [٤]، وهذا كله مفيد في

= السعودية ، ط٢-١٤٢٤هـ.

(١) يقصد بطرس الناسك أو الراهب (١٠٥٠م - ١١١٥م) نادى بالحملة الصليبية على ديار الإسلام وكان على رأسها عام (١٠٩٦م).

(٢) صلى الله عليه وسلم.

(٣) د. جوستاف لوبون: سر تطور الأمم ص/ ١٣٨ ، ١٣٩ ، نقله إلى العربية أحمد فتحى زغلول باشا. دار النفائس ، بيروت ، ط١-١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

(٤) انظر في هذا د. مهدى رزق الله: السيرة النبوية (١/ ١٨).

دراسة دلالات هذه النصوص واستنكاه معانيها.

وإذا كانت السيرة يُتغيَّى من دراستها تحقيق هذه الأهداف العقدية والدعوية والعلمية ، فإن طلب هذا العلم يجب أن يستصحب فيه طالبه النية الحسنة كما قال رسول الله ﷺ : " إنما الأعمال بالنيات " [١]، يقول الحافظ المؤرخ السخاوي - عليه رحمة الله - : " وأمّا غايته - يقصد علم التاريخ ومنه تاريخ الصدر الأول وعلى رأسهم رسول الله ﷺ - فالترجّي لرضا الله ، فإنه لا يُضيع أجر من أحسن عملا ، والأعمال بالنيات " أ.هـ [٢].

ومما هَيَّج العزم في إتمام هذه الدراسة ما لاحظه الباحث من عدم وضوح المنهج العلمي عند دراسة السيرة - إلاّ ما ندر - بحيث لا يكاد يصفو قلبك عند قراءتها ، فإما كتاب مُطَوَّل يكاد قارئه أن يَمَلّ ، أو مختصر أسقط ما قد يكون مؤثرا مفيدا ، أو دراسة معمّقة في جزئية معينة ... حتى لا يكاد المرء أن يجيبَ سائلهُ عن أفضل كتاب في " السيرة النبوية " جمع بين الاهتمام بالنص التاريخي وتنزيل معاني أحداث السيرة على قرائنها في العصر الحديث !!

ثم تأتي الدراسة لتُجيبَ عن حزمة من الأسئلة المهمة في المجال : هل " السيرة " مصطلح قديم قِدَم الإخباريين المسلمين الأوائل أم مُحْدث بعد قرونهم؟ نعم ، وإن كان هذا المحور من الدراسة نظريا ، لكنه يؤصل لعنوان

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب السنن بألفاظ متقاربة ، ولمقيده - عفا الله عنه - دراسة موسعة لمسألة النية ، دار طابة للدراسات والنشر ، المنصورة ، ط١- ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م

(٢) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ص/ ٦٣ .

هـذا العلـم ، وهنا تـرجع أهميته . وهنـاك سؤال ثـان هـو : ما طـرق تنـاول المصنفين في "السيرة" قديما وحديثا؟ وترجع أهميته إلى أن إجابة السؤال رَصْد لسعة وتنوّع التصنيف في هذا الفن ، وهو ما حاولنا إجابته في هذه الدراسة.

ثم يأتي السؤال الأخير والمُلِحُّ -وهو عَصَب الموضوع وأصله- : ما هي المنهجية العلمية التي يجب أن يتبناها أصحاب الكتابة في هذا المجال ليفيدوا القارئ المعاصر ، وليقدموا له ثمرة هذا المنهج وحصيلته وإنتاجه؟ ثم هل من الممكن أن نوجد قراءة سردية ملخصة صحيحة تراعي المناسبات والسياقات التاريخية الزمانية وضميمتها الحضارية ، وهذا كله في اتساق دقيق؟ هل يمكن ذلك؟

لقد حاولت الدراسة -بصدق- إجابة هذه الأسئلة. من خلال هذين الفصلين التاليين:

الفصل الأول: السيرة النبوية ، المصطلح ، التناول ، المنهجية.

الفصل الثاني: قراءة سردية للسيرة النبوية.

** ** **

الفصل الأول

السيرة النبوية ، المصطلح ، التناول ، المنهجية

يُعنى هذا الفصل بدراسة الإطار العام العلمي للسيرة النبوية ، وللوصول إلى هذا الإطار الدقيق الواضح كانت دراسة هذا الفصل في المباحث الأربعة الآتية:

المبحث الأول: في " المصطلح " (السيرة).

المبحث الثاني: طرق تناول السيرة.

المبحث الثالث: الاستشراق وأثره في دراسة السيرة.

المبحث الرابع: منهجية دراسة السيرة.

** ** **

المبحث الأول

المصطلح "السيرة"

أول استخـدام لهذا المصطلـح قوله تعالى في عصا موسى - عليه السـلام - : ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه : ١٩-٢١] قـال الـطـبري رحمه الله : "سنعيدها لهيئتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نعيدها حية ، ونردها عصا كما كانت - ثم نقل عن ابن عباس أنها بمعنى حالتها الأولى ، وعن مجاهد أنها بمعنى هيئتها "-(١) ويقول القرطبي رحمه الله : "فأخذها بيده فصارت عصا كما كانت أول مرة ، وهي سيرتها الأولى" (٢)، ويقول ابن كثير رحمه الله : "ثم قبض فإذا هي عصاه التي عهدها ، وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين ... " (٣).

(١) الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (١٦/ ١٩٦) دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

(٢) القرطبي ، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ): **الجامع لأحكام القرآن** (١٤/ ٤٨) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١-١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

(٣) ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ): **تفسير القرآن العظيم** (٣/ ١٤٥) دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة (د.ت).

وإذا كان بعض المفسرين قد حاولوا التدقيق للوصول إلى عميق دلالة " السيرة " وحاموا حوله ، فإن طائفة كادت أن تقع على المعاني الواضحة للدلالات اللغوية المستكنّة في هذا اللفظ ، يقول الراغب الأصفهاني رحمه الله : "والسيرة: الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره غريزيا كان أو مكتسبا ، يُقال: فلان له سيرة حسنة وسيرة قبيحة ، وقوله: ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ ، أي: الحالة التي كانت عليها من كونها عصا " [1]. وزاد أبو حيان المعنى وضوحا في تفسير الآية سالفة الذكر فقال رحمه الله :" والسيرة من (السير) وهي الهيئة ؛ كالركبة والجلسة ، يقال: سار فلان سيرة حسنة ، ثم اتُّسِعَ فيها فتقلبُ إلى معنى المذهب والطريقة ، وقيل: سير الأولين ؛ أي: طريقة الأولين [2].أ.هـ

لقد لحظ المفسرون المعنى اللغوي للسيرة وزادوا عليه ووقفوا على الانتقال الدلالي لهذا اللفظ ليخرج من ضائقة اللفظية إلى سعة الدلالة ، وهذا أيضا ما وقف عليه اللغويون دون توسع ثم لحظه المتأخرون عنهم ، فالأزهري الهروي لم يلحظ المعنى المتوسع فيه ، وإنما أثبت اللفظ ودلالته الضيقة ، يقول: " سار البعير وسِرْته " ، وقال خالد [3]:

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد بن الفضل (ت ٥٠٣هـ): **معجم مفردات ألفاظ القرآن** ص/ ٢٥٩ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت (د.ت).

(٢) أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف (ت ٧٥٤هـ): **النهر الماد على هامش البحر المحيط** (٦/ ٢٢٩) وانظر له البحر المحيط (٦/ ٢٣٥) باللفظ نفسه ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط٢-١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

(٣) هو خالد بن زهير الذهلي ، انظر من شعره ، **طبقات فحول الشعراء** لمحمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ): قرأه وشرحه محمود محمد شاكر (١/ ٦٩) مكتبة المدني ، القاهرة - ١٩٧٤م.

فلا تغضبَنْ من سنة أنت سِرْتها وأول راضٍ سنةً من يَسيرها [1]

ثم يأتي "ابن منظور" بفكره اللغوي الثاقب ليلحظ لنا ما لحظه المفسرون اللغويون سابقا حيث يذكر أن "السيرة" بمعنى: السنة، مستدلا بقول خالد بن زهير، ثم يقول: "والسيرة: الطريقة، يقال: سار بهم سيرة حسنة، والسيرة: الهيئة، وفي التنزيل العزيز: ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه: ٢١]، وسَيَّر سِيرة: حَدَّث أحاديث الأوائل" [2].أ.هـ

ثم تأتي المعاجم الحديثة التي استفادت بكل زخم المتقدمين لتبلور دلالة هذا اللفظ فتذكر: "والسيرة النبوية وكتب السير مأخوذة من "السَّير" بمعنى الطريقة، وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك، ويقال: قرأت سيرة فلان: تاريخ حياته" [3].أ.هـ

لكن الاستخدام الأول لكلمة "السيرة: هو الاستخدام الذي جاء به القرآن ويعنى به الحالة والهيئة والطريقة، ففي المسند: قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنبر، فذكر رسول الله ﷺ فقال: قُبِضَ رسول الله ﷺ واستخلف

---

(١) الأزهري الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ): **تهذيب اللغة** (١٣/ ٤٦) تحقيق أ.أحمد عبد العليم البردوني، مراجعة أ. على محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة - ١٩٧٨م.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): **لسان العرب** (٣/ ١٦٩، ٢١٧) دار المعارف، القاهرة، وانظر أيضا للفيروزابادى، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ): **القاموس المحيط** (٢/ ٥٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م وهى مصورة عن الطبعة الأميرية - ١٣٠١هـ.

(٣) مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط** (١/ ٤٨٥) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣-١٩٧٨م.

أبو بكر رضي الله عنه فعمل بعمله وسار بسيرته حتى قبضه الله - عز وجل - على ذلك ، ثم استخلف عمر رضي الله عنه على ذلك ، فعمل بعملهما وسار بسيرتهما حتى قبضه الله - عز وجل - على ذلك [1]. ويؤيد ذلك ما قاله التابعي المدني عمر بن إسحاق: "لَمَنْ أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر مما سبقني منهم ، فما رأيت قوما أيسر سيرة ولا أقل تشديدا منهم" [2].

أمَّا رواة الأخبار - عموما - فإنهم ربما استعملوا في أول الأمر كلمة "السيرة" للدلالة على معنى الترجمة ؛ أي : أحوال الشخص وحياته سواء في السلم أو الحرب لما في ذلك من تعريف الأبناء مجد الآباء ؛ ليقتدوا بهم ، ويدل على ذلك قول إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص (ت١٣٤هـ): "كان أبي يعلمنا المغازى والسرايا ويقول: يا بَنِيَّ هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها" [3]. وينقل الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ): "قال المدائني [4] في خبره: وأخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال: قال لي خالد بن عبد الله القسري: اكتب لي النسب ، فبدأت بنسب مُضَر ، ... ثم أتيته ، فقال : ما صنعت؟ فقلت: بدأت بنسب مضر وما أتممته ، فقال: اقطعه ... واكتب لي السيرة ، فقلت له: فإنه يمر بي الشيء من سِيَر علي بن أبي

(١) أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): المسند (١/ ١٢٨) فهرسه ورقمه محمد ناصر الدين الألباني ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة (د.ت).
(٢) أخرجه الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ): **سنن الدارمي** (١/ ٦٣- باب كراهية الفتيا) دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط١-١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
(٣) ذكره الخطيب البغدادي : **الجامع لأخلاق الراوي** (٢/ ٢٨٧ - رقم ١٦٤٨) .
(٤) المدائني ، علي بن محمد (ت ٢١٥هـ).

طالب ... فأذكره ... [١].

فإذا علمنا أن خالد بن عبد الله القسري الأمير توفي (١٢٦هـ) أي كان هذا في بدايات القرن الثاني الهجري ، لكن لم يقصد بالسيرة هنا إلا مجرد جمع أخبار كل نبيل على حدة ، فيعرف القارئ أحواله وطرائفه وحياته ، ولعل هذا المفهوم كان هو الأقرب عند إطلاقه في القرن الثاني الهجري ، إلى بدايات القرن الثالث الهجري ، وبه يمكن فهم قول الزهري ، محمد بن مسلم بن شهاب المحدث الإخباري المتوفى (سنة ١٢٣هـ) : "في علم السيرة علم الدنيا والآخرة" [٢]؛ أنه لم يقصد "علم السيرة النبوية" لكن يقصد علم معرفة أحوال وأخبار الناس ، يعزز هذا أن العلوم لم تكن بعد قد عُرفت أو تصالح الناس على تسميتها ومعرفة حدودها وموضوعاتها!!

ويؤيد ما ذُكِرَ أيضا ما ذكره ابن النديم عن عوانة بن الحكم بن عياض (ت ١٤٧هـ) فيذكر أن من كتبه: كتاب سيرة معاوية وبني أمية [٣]. وعن إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري (ت ١٨٨هـ) ، يقول ابن النديم: "وله من الكتب: كتاب السير في الأخبار والأحداث" [٤]. ومما يدل على أن

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين الأموي (ت ٣٥٦هـ): **الأغاني** (٢٢/ ١٥) أشرف عليه/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة – ١٩٩٤م.

(٢) نقله الخطيب البغدادي: **الجامع** (٢/ ٢٨٧ – رقم ١٦٤٧).

(٣) ابن النديم ، محمد بن إسحاق الوراق (ت ٣٨٠هـ): **الفهرست** ص/ ٩١ . تحقيق: د. محمد عوني عبد الرؤوف و د. إيمان السعيد ، سلسلة الذخائر ، القاهرة ، عدد (١٤٩) – ٢٠٠٦م.

(٤) ابن النديم: **الفهرست** ص/ ٩٢ .

مصطلح "السيرة" و "السير" كان مشاعا للدلالة على جمع أخبار شخص ما أو دولة ما أو طائفة، ما نجده في كتب جامعي المصنفات والأسامي فيذكرون (سير الصحابة - سير النبلاء - سير الملوك: سيرة إسكندر ... سيرة المعتصم ... سيرة نور الدين ... سيرة قلاوون ...) [١].

وعندئذ يمكن فهم أن محمد بن إسحاق (ت ١٥٠هـ) عندما ألف كتابه "السيرة والمبتدأ والمغازي" لم يقصد وضع حدود لمادته وفق مفهوم دقيق، بل كان همه جمع ما يمكن جمعه عن شخص النبي ﷺ؛ لذلك حشاه بكل ما وقع له حتى من الأشعار التي كان يُؤتَى إليه بها فيدخلها في كتابه "السيرة"!![٢] ويظهر أن ابن إسحاق كان له اهتمام بجمع أخبار كلٍّ على حدة سواء كانت أخبار أحداث أو أعيان، فلم يكن يعرف عنه قبل كتابه "السيرة" إلا أنه إخبارى وربما اتهموه في أخباره [٣]، ومما يدل على تخصصه في "السِّيَر" بوجه عام [٤] قول الخُشَني: "وهو -يعنى ابن إسحاق - من

---

(١) انظر في هذا حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠١٧هـ): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** (١/ ٣١٨، ٣١٩) دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

(٢) ابن النديم: **الفهرست** ص/ ٩٢.

(٣) انظر مثلا ابن أبى حاتم الرازي، محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ): **كتاب الجرح والتعديل** (٧/ ١٩٢-١٩٤) مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الركن، الهند - ١٣٧٢هـ=١٩٥٢م، ولابن حجر: **تهذيب التهذيب** (٥/ ٢٧-٣٢) دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط٢-١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

(٤) ومن هذا التخصص العام أَلَّف "السيرة النبوية"؛ ولذلك لم يسم البعض كتاب السيرة بهذا الاسم بل سماه "كتاب السير لمحمد بن إسحاق - كما فعل الخزاعي، علي بن محمد (ت ٧٨٩هـ): **تخريج الدلالات السمعية** ص/ ٨١٤، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة - ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

كبار المحدثين لاسيما في المغازي والسِّير ، وكان الزهري يثني عليه بذلك ويفضله " [١]. وواضح هنا الفرق بين "المغازي" و "السير" ، فالمغازي هي مغازي النبي ﷺ خاصة ، بينما "السير" تشمل الأخبار كلها ويدخل فيها سيرة النبي ﷺ [٢]. ومع هذا فإن كتاب ابن إسحاق في "السيرة النبوية" هو أول كتاب جمع أشتات أخبار رسول الله ﷺ في نَسَق واحد وسمّاها بذلك الاسم "السيرة" [٣].

لقد كانت السيرة قبله مُوزعة غير مجموعة ، وكان الرواة وجامعو الأخبار في هذه الأعصار وما بعدها يأتون بأخبار رسول الله ﷺ موزعة مفرقة لاسيما عند المحدثين وجامعي السنة [٤]، فالمحدّث الشهير محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) - مثلا - : يوزع سيرته ﷺ في تضاعيف كتابه "الصحيح" ، لنجد علامات النبوة وصفاته وأسمائه في كتاب المناقب" [٥] وما أقطع النبي ﷺ من البحرين في كتاب "الجزية والموادعة" [٦]، وما لقي النبيُّ ﷺ وأصحابُه من المشركين بمكة في كتاب

---

(١) الخشني ، مصعب بن محمد بن مسعود (ت ٦٠٤هـ): شرح السيرة النبوية ص/ ٢ ، نشرة/ بولس برونله ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا - ١٣٢٩هـ.

(٢) سيأتي مزيد بيان لمسألة التفريق بين "السيرة" و "المغازي". ص/ ٢٩وما بعدها.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١٠١١).

(٤) انظر إلى هذه الفكرة عند د. محمد محمد أبو شهبة: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١/ ٢٧) دار القلم ، دمشق ، ط٨ - ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٥) انظر لابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ) : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٦٤١) أخرجه وصحح تجاربه/ محب الدين الخطيب ، دار الريان ، القاهرة ، ط١-١٤٠٧هـ=١٩٨٦م.

[illegible]

مناقب الأنصار(١)، وغـزوة بـدر وسلسـلة الغـزوات نجدهـا في كتاب المغـازي (٢)، وهـذا دليـل على جهـد ابن إسحـاق في جمع سيرة النبـي ﷺ وأخبـاره ومغـازيه في مصنف واحـد ، وتسميته ذلك "سيرة" على نسق المتقدمين ووفقا للمصطلح اللغوي بمفهومه ودلالته الواسعة. ولذلك قيض الله من خدم هـذا الكتاب ، فقد هذبه ونَقَّاه ابن هشـام (ت ٢١٣هـ) فيقول: "هـذا كتـاب سيرة رسـول الله ﷺ ..." (٣) ، ويـذكـر جهـده في اختصـاره وتهـذيبه وتـركيزه على حديث سيرة رسـول الله ﷺ ... (٤) وبـداية سيرة ابن إسحـاق : نسـب النبي ﷺ (٥) وتنتهـي بـوفـاته ﷺ (٦) مـرورا بـأحـداث العهدين المكي والمدني ... (٧).

لقد شُهِرَت "السيرة النبوية" لابن هشـام ، وصار كتابا معتبرا ، فالاسم واضح والموضوع محدد والمادة مقيدة بعناية ؛ لـذلك تـوافر اللاحقـون على شرحه وقراءته وقدّموه على أصله (أعني : سيرة ابن إسحـاق). ولعل أعظم عملين خدما "سيرة ابن هشـام" ما قام به السـهيلي في كتابه الماتع "الروض

---

(١) ابن حجر: فتح البارى (٧/ ٢٠٢-٢٠٧).

(٢) ابن حجر: فتح البارى (٧/ ٣٢٦) ح/ ٣٩٤٩ - ح/ ٤٤٧٣ .

(٣) ابن هشام ، عبد الملك (ت ٢١٣هـ): السيرة النبوية (١/ ٣) دار البيان العربى ، القاهرة (د.ت).

(٤) ابن هشام: السيرة (١/ ٦).

(٥) ابن هشام: السيرة (١/ ٣).

(٦) ابن هشام : السيرة (٤/ ١٧١ وما بعدها).

(٧) انظر بعض المُلاحظات حول هذا عند: و. مونتجمري وات: محمد في فتح مكة ص/ ٤٢ ، ٤٣ ، ترجمة د. عبد الرحمن الشيخ وحسين عيسى ، مراجعة د. أحمد شلبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٢م.

الأنف" فيقول عن سبب تأليفه كتابه : "فإني قد انتحيت في هذا الإملاء - بعد الاستخارة - ذى الطول ، والاستعانة بمن له القدرة والحول: إلى إيضاح ما وقع في سيرة الرسول ﷺ التي سبق إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحاق المُطلبي ولخصها عبد الملك بن هشام المعافري المصري [١]. وأما شرح الألفاظ اللغوية وغريبها - إن في الشعر أو في غيره - فقد قام بهذه المهمة العلاّمة مصعب بن محمد الخشني [٢].

إن الاتساع الدلالي للفظة "السيرة" [٣] وعمل ابن إسحاق ومن بَعدِه ابن هشام مجاوزين في ذلك ما عُرِف عن دلالة الكلمة من تعميم هذا نظرا ، وعلى مستوى التطبيق مجاوزين جهد المحدثين في بث الأخبار مشتتة غير مجموعة ، إن هذه المحاولة المتقدمة هي التي فتحت الباب لمن تلاهم للتصنيف في "السيرة" بهذا المفهوم ؛ الذي يشمل العهدين المكي والمدني من لدن مولده ﷺ أو ما قبل ذلك (أحيانا) إلى وفاته وخلافة أبي بكر (أحيانا)، وهذا ما نجده كمثال عند المحدث الإخباري ابن حبان البستي (ت ٢٥٤هـ)، يؤلف في السيرة النبوية من أول مولد رسول الله ﷺ [٤] إلى

(١) السهيلي ، عبد الرحمن بن الخطيب (ت ٥٨١هـ): **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام** (١/ ٣٢ ، ٣٣).

(٢) الخشني: **شرح السيرة النبوية** ، حيث جعل كتابه على عشرين جزءًا وأولع فيه بشرح الغريب ، انظر مثلا ص/ ٢٧٤ ، ٣٨٥ ، ٤٨٥ .

(٣) انظر للكفوي ، أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤هـ): **الكليات** ص/ ٥١٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢-١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

(٤) ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد (ت ٢٥٤هـ): **السيرة النبوية** ص/ ٢٧ ، خَرَّج أحاديثها: عبد السلام بن محمد عَلّوش ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط١-١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

وفاته ﷺ (١) ثم يذكر شمائله وأوصافه (٢).

وهذا ما نجده أيضا عند المحدث والإخباري والمفسر ابن كثير حيث يشير في مقدمة كتابه "البداية والنهاية" أنه سيذكر سيرته ﷺ كما ينبغي(٣)، ثم يبسط سيرته ﷺ فيقول: "كتاب سيرة رسول الله ﷺ وذكر أيامه وغزواته وسراياه والوفود إليه وشمائله وفضائله ودلائله الدالة عليه ..." (٤). ويؤلف الصالحي (ت ٩٤٢هـ) موسوعته "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" ليشمل أخبار السابقين من الأمم والأنبياء (٥) إلى مولده ﷺ (٦) إلى سراياه ومغازيه (٧) وشمائله وأخلاقه (٨) إلى أزواجه وأصحابه (٩).

ومع هذا الزخم، إلا أن لفظة "السيرة النبوية" كَعَلَم على فن أو عِلْم، لم يكن له حضور في القرون الخمسة الهجرية الأول، لقد كان علماء الأخبار

---

(١) ابن حبان: **السيرة** (ص/ ٣٠٠).

(٢) ابن حبان: **السيرة** (ص/ ٣١٣).

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ): **البداية والنهاية** (١/ ٦) تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١-١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

(٤) ابن كثير: **البداية والنهاية** (٣/ ٢٤٢) إلى (٩/ ٤١٤) وهو بداية خلافة الصديق رضي الله عنه.

(٥) الصالحي: محمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ): **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد (١/ ٨٩).

(٦) الصالحي: **سبل الهدى والرشاد** (١/ ٤٢٠ و٤٣٧).

(٧) الصالحي: **سبل الهدى والرشاد** (٦/ ٩ وما بعدها).

(٨) الصالحي: **سبل الهدى والرشاد** جـ٧.

(٩) الصالحي: **سبل الهدى والرشاد** جـ١٢.

والسِّير والحديث لا يبالون كثيرا في ضبط المصطلح المتصل بهذا الموضوع، فالمحدث المشهور محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) يقول: "كتاب الجهاد والسِّير" ويشرح ذلك ابن حجر قائلا: "والسِّير: جمع سيرة، وأطلق ذلك على أبواب الجهاد؛ لأنها متلقّاة من أحوال النبي ﷺ في غزواته "(١) إذن البخاري رحمه الله يُباين بين الجهاد والسير، فالأول: أحكام، والثاني: مغازي وجهاد، وهذا واضح من خلال تتبع مادة الكتاب؛ حيث امتزجت الأحكام الشرعية بأخبار وأحداث المغازي، والمغايرة بين السيرة والمغازي نجدها أيضا عند المحدث الإخباري ابن عبد البر يقول عن كتابه "الدرر في اختصار المغازي والسير": هذا كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبي ﷺ وابتداء نبوته وأول أمره في رسالته ومغازيه وسيرته فيها ...(٢). وينتهي الكتاب إلى وفاة النبي ﷺ(٣).

وهذا دليل على أن هناك فرقا بين "السيرة" و "المغازي" فالأول أعم من الثاني، فالمغازي خاصة بأحواله ﷺ بعد الهجرة حتى وفاته ﷺ، وهذا ظاهر مما سبق وهو صنيع المحدث والإخباري الكبير الإمام الذهبي، حيث يقول "ولقد لخصتُ أنا الترجمة النبوية والمغازي النبوية في أول تاريخي الكبير"(٤). وكلام المتقدمين مُشْعِرٌ بذلك، فقد قال مالك بن أنس:

---

(١) ابن حجر: **فتح الباري** (٦/ ٦).

(٢) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ): **الدرر** ص/ ٢٩، تحقيق د. شوقي ضيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة - ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

(٣) ابن عبد البر: **الدرر** ص/ ٢٨٧، ٢٨٨.

(٤) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ): **سير أعلام النبلاء** (٦/ ١١٦). تحقيق د. بشار عواد و د. محيى هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، =

"عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي" (١).

وموسى بن عقبة ، أدرك ابن عمر وغيره ، وكانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ ، وقال عنه محمد بن طلحة لم يكن بالمدينة أعلم بالمغازي منه. توفى سنة نيف ومائة (٢). ويظهر أنه كتب المغازي مختصرة ولم يكملها (٣). هذا الفهم ؛ أعني الفارق بين "السيرة" و "المغازي" موجود عند المتأخرين، ففي رده على ابن المطهر الحلي الشيعي الرافضي يقول ابن تيمية: "هذا الكلام يدل على أن قائله من أجهل الناس بمغازي رسول الله ﷺ وأحواله..." (٤) ويقول أيضا: "ولا ريب أن هذا الرافضي ونحوه من شيوخ الرافضة من أجهل الناس بأحوال الرسول ﷺ وسيرته وأموره ووقائعه ..." (٥).

وفي سياق بيان دلالة كلمتي "السيرة" و "المغازي" والعلاقة بينهما ،

= بيروت، ط١١-١٤٢٢هـ=٢٠٠١م وجعل رَحِمَهُ ٱللَّهُ سيرته ﷺ من ذكر نسبه حتى الوفود والوفاة وتركته ﷺ في الجزأين الأخيرين من هذه الموسوعة ، أما موسوعته الأخرى "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" تحقيق د. عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي ، بيروت - ١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م فلم يذكر أحداث العهد المكي بل ذكر من أول الهجرة (١/ ٢٧ - تاريخ الإسلام) إلى سرية أسامة ابن زيد سنة إحدى عشرة (١/ ٧١٤ - تاريخ الإسلام).

(١) نقله الذهبي: سير الأعلام (٦/ ١١٤).

(٢) انظر هذا مع ترجمته كاملة عند ابن حجر: تهذيب التهذيب (٥/ ٥٧٤ ، ٥٧٥).

(٣) انظر الذهبي: سير الأعلام (٦/ ١١٦).

(٤) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ): منهاج السنة النبوية (٨/ ٥٣٥) تحقيق د. محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط٢-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

(٥) ابن تيمية: منهاج السنة (٨/ ٢٩٧).

نرى أن بعضا يستعمل كلمة "مغازي" ويقصد بها الوقائع والأحوال والأحداث والمغازي ؛ أي يقصد بها "السيرة" ، ومن ذلك من المتقدمين أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) فقد سَمَّى ما جمعه بروايته من أخبار النبي ﷺ بالمغازي ، وضمنه روايته بذكر أحداث مثل: أمر الفيل [(١)] وأذى قريش للنبي ﷺ وما لقي منهم [(٢)] وإسلام الصحابة بمكة ... [(٣)]. إلى أن أتم مصنفه بذكر ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته في الردة وخلافة عمر ... وعثمان ... وعلي - رضي الله عنهم[(٤)] - .

وفي هذا الصدد عند كلامه على مراتب الأخبار ، يقول البيهقي: "وضرب لا يكون راويه متهما بالوضع ، غير أنه عرف بسوء الحفظ وكثرة الغلط في روايته ... فهذا الضرب من الأحاديث لا يكون مستعملا في الأحكام ... وقد يستعمل في الدعوات والترغيب والترهيب والتفسير والمغازي فيما لا يتعلق به حكم" [(٥)].

ولعل السبب في الخلط بين مصطلحي "السيرة" و "المغازي" أن المغازي ربما تسمى "سيرة" و "سِيَرا" ؛ لأن أول أمورها السَّيْر إلى

---

(١) ابن أبى شيبة: **المغازي** ص/ ٨٧ ، دار أشبيليا ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط٢-١٤٢١هـ.

(٢) ابن أبى شيبة: **المغازي** ص/ ١٠٧ .

(٣) ابن أبى شيبة: **المغازي** ص/ ١٢٥-١٤٣ .

(٤) ابن أبى شيبة: **المغازي** ص/ ٤٢١-٤٥٩ .

(٥) البيهقى ، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ): **دلائل النبوة** (٢/ ٣٤) دار الريان ، القاهرة ، ط١-١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

الغزو [١]، إذن الجانب المجازي في دلالات الألفاظ وَسَّع من استخدام كلا اللفظين دون محاولة التفريق أو وضع حدود ضابطة لأي من المصطلحين ؛ لذلك لم تبرز "السيرة" كعلم ، ولم تقدم الكتابات المصنفة فيه على أنها كتابات مصنفة في "علم" ، بل هي مجرد جمع أخبار!! ولذلك خصصت دلالة مصطلح "المغازي" ليُشير إلى أخبار الجهاد في عهد رسول الله ﷺ !!

يعزز هذا الفهم أن الخوارزمي عندما استعرض الباب السادس للعلوم في مصنفه "مفاتيح العلوم" وهو "باب الأخبار" جعل الفصل السابع منه: "ألفاظ يكثر ذكرها في الفتوح والمغازي وأخبار عرب الإسلام" [٢]. إذن لم يرد مصطلح "السيرة" في هذا الكتاب المصنف في ذكر أسامي العلوم حتى القرن الرابع الهجري ، بل غاير بين الفتوح والمغازي ، فالأعمال العسكرية في عهده ﷺ هي المغازي ، وما كان بعده ﷺ فهي الفتوح .

وهذا أبو هلال العسكري يؤلف كتابه "الأوائل" - في القرن الثالث الهجري - ولم يُشر إلى أن أول من صنف في السيرة النبوية ابن إسحاق ، ولم يذكر مصطلح السيرة أصلا ، بل ذكر أن أول من قَصَّ بمسجد النبي ﷺ تميم بن أوس الداري الصحابي ... [٣]. وأيضا ابن خلدون يؤلف تاريخه

(١) نقله التهانوي ، محمد علي الفاروقي (ت القرن ١٢): كشاف مصطلحات الفنون (١/ ٩٩٨) تحقيق د. على دحروج ، نقله إلى العربية د. عبد الله الخالدي ، مكتبة لبنان ، ط١-١٩٩٦م.

(٢) الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ): كتاب مفاتيح العلوم (ص/ ١١٨-١٢٥) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، تحقيق فان تشلوتن ، سلسلة الذخائر ، العدد (١٠٨) ، يناير ، القاهرة - ٢٠٠٤م.

(٣) العسكري (أبو هلال) ، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ): الأوائل ص/ ٣٧٠ ، =

ويذكر أقسام العلوم وترابطها ولا يذكر بينها علم السيرة [١] بل يقول: "أمر النبوة والهجرة والمولد الكريم وبدء الوحي ثم هجرة الحبشة ثم العقبة الثانية ثم الهجرة [٢] إلى أن يذكر وفاته ﷺ [٣] هذا مرورا بمغازيه ﷺ ... [٤].

وهذه النصوص تؤكد ما ذهبتُ إليه: أن الإخبار بأخبار النبي ﷺ وكتابة بعضها سبق ابن إسحاق، وبالتالي لم يكن ابن إسحاق أول من صنف في "السيرة" بالمعنى اللغوي الذي دَلّ عليه القرآن والآثار، بل سبقه غيره، أما أن يوجد كتاب مصنف في أخباره ﷺ من لدن مولده إلى وفاته فلعل ابن إسحاق لم يُسْبق إلى ذلك، وهذا ما حدا بمن بعده إلى أن ينسجوا نسجه.

إذن يمكن القول: إن مصطلح "سيرة" كان له مدلول في أذهان الإخباريين به نسجوا وجمعوا أخبارهم، ولهذا نجد المتأخرين من المتقدمين يصرحون أن "السيرة علم وفن" وهذا ظاهر صنيع ابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ) حيث أَلَّف كتابه "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِّير" وصَرَّح أنه سَمَّاه بذلك [٥].

= دار النشر للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، ط١-١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ): **تاريخ ابن خلدون** (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ...) انظر (١/ ٣٢٩ وما بعدها) و (١/ ٣٦٤ وما بعدها) سلسلة الذخائر، عدد (١٥٣)، القاهرة - ٢٠٠٧م.

(٢) ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون** (٢/ ٢-١٤ / بقية الجزء الثاني).

(٣) ابن خلدون: **التاريخ** (٢/ ٦٣، ٦٤ / بقية الجزء الثاني).

(٤) والعجب أن ينزع هذا المبحث ويطبع تحت اسم "السيرة النبوية" لابن خلدون!! مكتبة المعارف، الرياض، ط١-١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

(٥) ابن سيد الناس، محمد بن محمد (ت ٧٣٤هـ): **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير** (١/ ٧٢) حقق نصوصه: د. محمد العيد الخطراوي ومحيى =

إذن سمى ابن سيد الناس "السيرة" و "المغازي" فنونا!! لعل هذا خلطٌ !! أو ربما هو من باب عطف الخاص على العام !! لكن المؤكد أنه يريد من مصنفه ما سَمَّاه ابن هشام (سيرة)، وهي جملة أخباره ﷺ، يؤكد هذا ما ذكره السخاوي عن ابن سيد الناس " الأندلسي الأصل، القاهري، الشافعي، مؤلف السيرة النبوية وغيرها " [1]، ويقول الشوكاني عن ابن سيد الناس: "له تصانيف، منها "السيرة النبوية" المشهورة التي انتفع بها الناس من أهل عصره فمن بعدهم [2]. لكن المؤكد أن ابن سيد الناس لم يقصد بالفن جملة القواعد الضابطة لمادة السيرة أو "المغازي" لذلك لم يذكر شيئا من ذلك، وإنما قصد بالفن: مهارة جمع الأخبار وحُسْن تنسيقها وتهذيبها [3].

نخلص مما سبق أن المتقدمين واللاحقين كثر استخدامهم لمصطلح السِّير" ومفردها (السيرة)، لكن ليس كعلم أو فَنٍّ متخصص، لكن كمهارة في جمع الروايات الخاصة بأحداث أو أخبار أو وقائع أو أحوال أو مجهودات سلمية أو عسكرية لشخص ما أو طائفة ما أو دولة ما في زمن ما. لكن يُلاحظ أنه عند الاستعمال - في عرف جامعي أخبار النبي ﷺ - أنه إذا

= الدين مستو، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١-١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

(١) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ): **فتح المغيث شرح ألفية الحديث** (١/ ٧٩)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة (د.ت).

(٢) الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ): **البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع** (٢/ ٢٥٠) مكتبة ابن تيمية، القاهرة (د.ت).

(٣) للدلالة على معاني (الفن) انظر لمجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط** (٢/ ٧٢٩).

ذكرت (سيرة) مقترنة بـ (أل) فإنها تنصرف إلى معنى واحد ؛ وهى سيرة النبي ﷺ أو تذكر كلمة (سيرة) مضاف إليها ما تقيد به. يدل على ما سبق ، ما نقله ابن النديم: " قال العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره ، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس ، والواقدي بالحجاز والسيرة ، وقد اشتركوا في فتوح الشام " (١). ويقول ابن كثير عما جمعه عن رسول الله ﷺ : إنه كتاب سيرة رسول الله ﷺ وذكر أيامه ... (٢) ولابن كثير كتاب مستقل كتبه بيده في سيرة الرسول ﷺ حيث يقول ناسخه " سليمان المديني " : " هذا آخر ما وُجد في هذه السيرة النبوية مما ألفه وكتبه بيده الشيخ الإمام ... عماد الدين ، إسماعيل بن كثير " (٣).

لقد بان لنا أنه على مدار أكثر من عشرة قرون أن المصطلح الدوّار هو " السيرة " وأن أخبار السيرة لم تُتَناوَل كعلم له قواعده وضوابطه وحدوده ، بل يُزاد منها وينقص ، حتى من سماها " علما " كالزهري لم يقصد هذا المفهوم ، وأيضا من سماها " فناً " لم يقصد هذا المفهوم ، ولعلّ هذا المفهوم وهذا الاصطلاح لم يظهر إلا في القرن الحادي عشر الهجري على يد حاجي خليفة ، حيث يقول: " علم السير ويقصد به العلم المشتمل على فنون: فن أسمائه ، فن خصائصه ، فنّ فضائله ، فنّ شمائله ، فنّ مغازيه ، فنّ مولده

---

(١) ابن النديم: **الفهرست** ص/ ٩٣ .

(٢) ابن كثير: **البداية والنهاية** (٣/ ٢٤٢).

(٣) ابن كثير: **الفصول في سيرة الرسول** ﷺ ص/ ٣٦٢ . تحقيق د. باسم بن فيصل وسمية بنت أمين ، مكتبة المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط١- ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م. ولعل هذا الاسم " الفصول " من تصرف المحققين ، والله أعلم.

ومبعثه " [1]. ويذكُرُ أن ابن إسحاق هو أول من صنف فيه ثم يذكر من تلاه.

وهذا التعريف يذكرنا أيضا بتعريف ابن سيد الناس من ذكر كلمة " الفن " ؛ وبذا لا نعلم تحديدا اصطلاحيا لكلمة " السيرة " إلا ما ذكره بعض المتأخرين مستنبطين إيّاه من تتبعهم للمصطلح وما يدل عليه تطبيقيا، من ذلك تعريف " باسم بن فيصل " السيرة (اصطلاحا): معرفةُ جميع أحوال النبي ﷺ على التفصيل منذ ولادته إلى وفاته وما يتصل بذلك [2].

ومع التحفظ على كلمة (اصطلاحا) فإن التعريف دالّ على المقصود ، إذ التتبع الدقيق لما صُنِّف في الباب يدل عليه ويرشد ، ويمكن الانتهاء إلى أن المقصود بـ " السيرة النبوية " : معرفة كل ما يتصل بالنبي ﷺ من جملة أقواله وأخلاقه وهديه ومعاملاته في السلم والحرب ، ويدخل في ذلك أعماله العسكرية من الغزوات والبعوث والسرايا ، وأيضا الأعمال الإدارية من اتخاذ العمال والأمراء ، وأيضا الأعمال الصناعية كسائر الحرف والصناعات والارتفاقات الموجودة في دولة الرسول ﷺ ، وأيضا حياته من لدن مولده حتى وفاته ﷺ وما يتصل بذلك كله من نسبه ودلائل معجزاته ، وثمرة هذه الدراسة: الوقوف على تفصيل حياة رسول الله ﷺ لنزداد له حبا وليكون لنا قدوة في الدنيا وشفيعا يوم القيامة.

---

(١) حاجي خليفة: **كشف الظنون** (٢/ ١٠١٢).

(٢) د. باسم بن فيصل: **الفصول في سيرة الرسول لابن كثير** (المقدمة) ص/ ٥ . وانظر حول هذا أيضا د. محمد بن محمد العواجي: **مرويات الإمام الزهري في المغازي** ، (١/ ٣٦) الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط١-١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م ، وكلامه في علاقة السيرة بالمغازي يحتاج إلى تأمل!!

المبحث الثاني
طرق تناول السيرة

تتنوع مصادر السيرة النبوية لتشمل النصوص القرآنية والحديثية وكتب الشمائل والأخلاق ودلائل النبوة والمغازي والسير والمؤلفات في تاريخ الحرمين الشريفين وكتب التاريخ العام وكتب الأنساب وكتب الجغرافيا وربما كتب الأدب ... (١). وفى الوقت نفسه تتسع دولة الإسلام مكانا لتشمل مصر والشام والحجاز والعراق وبلاد فارس وما وراء النهر وشمال إفريقيا واليمن وغيرها ، وكل مصر كانت به مدارس لكتابة التاريخ العام وسيرة النبي ﷺ ، فإذا نظرنا مثلا إلى " مصر " لنعرف المؤرخين الكبار منذ العهد المملوكي أي بداية بالمنذري ، عبد العظيم بن عبد القادر (ت ٦٥٤هـ) (٢) - حتى عهد محمد على باشا ومؤرخ عصره: البكري الصديقي ، محمد بن أبى السرور (ت ١٠٠٧هـ) (٣) نجد أكثر من مائة وثمانين مؤرخا!! فما ظنك

---

(١) انظر في هذا د. مهدي رزق الله: **السيرة النبوية** (١/ ١٨-٤١).

(٢) انظر هذه الدراسة الماتعة لشاكر مصطفى: **التاريخ العربي والمؤرخون ، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام** (٣/ ١٠٥) دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١-١٩٧٩م.

(٣) انظر شاكر مصطفى: **التاريخ العربي** (٣/ ٢٦٦).

بالمؤرخين قبل العصر المملوكي في مصر كم عددهم!! وكيف يمكن تصور عددهم في سائر بلاد الإسلام في كل زمن حتى عصرنا هذا!!

لذا سنحاول في هذا المبحث وضع الخطوط العامة لطرائق كتاب السيرة موردا الطريقة مع أمثلتها دون استقصاء ، وسنشرط استبعاد نوعين من الكتابات ، الأولى: المتأثرة بالمستشرقين ، مثل كتاب د. طه حسين "على هامش السيرة" (١)، و "حياة محمد" للدكتور/ محمد حسين هيكل ، فقد امتلأ بالتفسيرات الغريبة مثل إصابة جيش أبرهة بوباء الجدري(٢)!! غافلا عما ذكره القرآن في سورة الفيل (٣). الثانية: ذات التوجه السياسي الصراح ، ففي فترة الستينات من القرن المنصرم تمددت الاشتراكية في مصر ، فكتب الكتاب عن التوجه الاشتراكي في الإسلام ، وحاولوا ربط هذا الفكر الاشتراكي السياسي والاجتماعي الوافد على سيرة الرسول ﷺ إنْ في وقائعه أو في أحداثه (٤)، وعندما تبدلّت الأمور وعصفت رياح التغيير ورحلت

---

(١) د. طه حسين: **على هامش السيرة** ، دار المعارف ، القاهرة - ١٩٨٤م ، مع أنه ذكر في المقدمة (ص/ ك جـ١) أنه التزم بما التزم به المتقدمون من أصحاب السيرة والحديث ورجال الرواية وعلماء الدين!! لكن لم يلتزم!!

(٢) د. هيكل ، محمد حسين: **حياة محمد** ﷺ (ص/ ١١٩ ، ١٢٠) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة - ١٩٩٩م.

(٣) انظر أيضا النقد العلمي الرصين للشيخ محمد زهران، وقد نقله بتمامه الشيخ رشيد رضا في مجلة "المنار" (٣٥/ ٦٤-٧٢)، مصر - ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م.

(٤) انظر مثلا محمود شلبي: **اشتراكية محمد** ، مكتبة القاهرة الحديثة - ١٩٦٢م. وانظر عنده كمثال ص/ ٣٣ (المال مال الله) ص/ ٣٩ يقول عن النبي ﷺ والصحابة أنهم اشتراكيون من أول يوم!! ص/ ٢٦٨ في قوله سبحانه ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٢] يقول "إنها أقامت أعلى الاشتراكيات" !!!

الاشتراكية ليحل محلها فكر آخر هو الفكر الرأسمالي الرافع شعار الديمقراطية، رأينا من انبرى ليخضع أيضا أحداث السيرة - بل نصوص الشرع الحنيف - إلى هذا التوجه الجديد!! (١)

ويمكن رسم هذا المخطط ليبرز الملامح الكلية لطرق تناول دراسة السيرة النبوية.

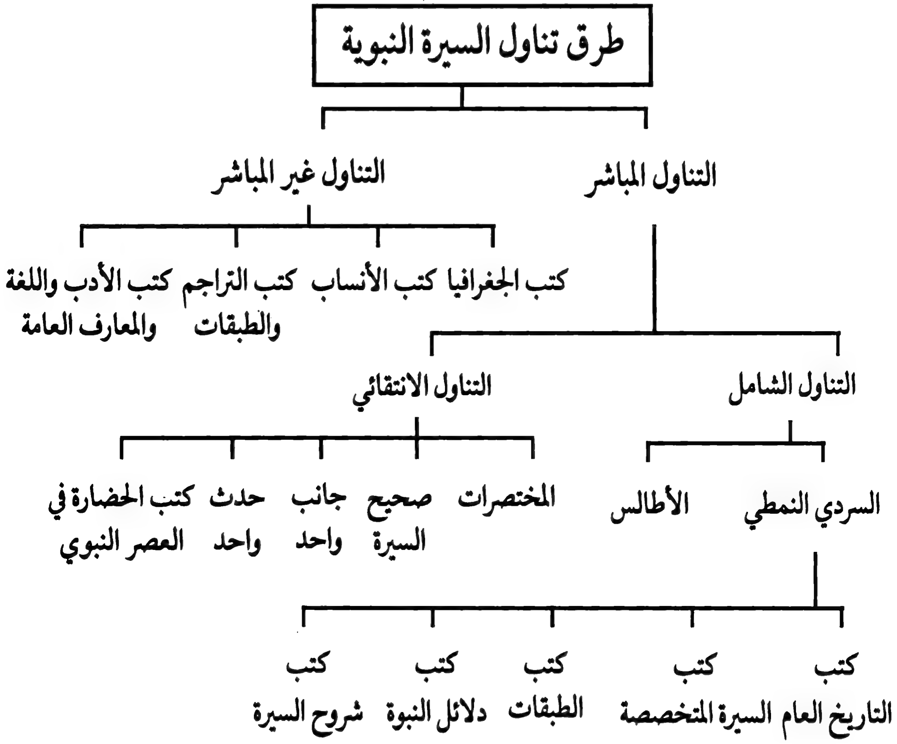

---

(١) انظر مثلا الحديث عن الشورى في عهد النبي ﷺ وعهد الصحابة الكرام عند د. منظور الدين أحمد: **النظريات السياسية في العصر الحديث (النظرية والتطبيق)** ص/ ١٤٩، ١٥٣، ١٦٨، ١٧٤، ١٨٠. نقله إلى العربية د. عبد الجواد خلف و د. عبد المعطي أمين، سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، ط١-١٤٠٩هـ=١٩٨٨م.

وبيانه من خلال هذين المطلبين:

المطلب الأول: التناول المباشر ، وأعني به أن تكون المادة موجودة مباشرة في مظانِّها ، وهذا المطلب ، يقسم إلى قسمين ، القسم الأول: التناول الشامل للسيرة ، وهو التناول الذي يشمل حياة النبي ﷺ من لدن مولده إلى وفاته ﷺ ، وهو مقسم إلى النوعين التاليين:

النوع الأول: السردي النمطي ، أعني به تتابع الأحداث وتواليها في سياق حسن جيد لا ركاكة فيه ولا قبح ، وقولنا: فلان يَسْرد الحديث سردا: إذا كان جيد السياق ، وسَرَد القرآن: تابع قراءته في حدر (يعني: سرعة) منه ، ومنه نجوم سَرْد ؛ أي متتابعة [(١)].

و "السَّرْد" ليس عملية سهلة ، بل السارد يعاني ويكابد ترتيب المعاني والأحداث والسياقات وإبراز الإشارات وفق منهج يعتمده السَّارد في ضميره أو ينص عليه ، ولهذا نصبت المعاجم اللغوية أن من معاني "السَّرد" : خرْز ما يخشُن ويلغظ كنسج الدروع وخرز الجلد ، واستُعيرَ لنَظْم الحديد ، قال سبحانه ﴿وَقَدِّرۡ فِى ٱلسَّرۡدِ﴾ [سبأ : ١١] [(٢)].

وإذا كان مصطلح "السرد" لم يستعمله المتقدمون ، فإن تَلَمُّس الأوجه اللغوية الصحيحة لضبط هذا اللفظ والوقوف على دلالته يعد ضروريا ،

---

(١) انظر للزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ): **تاج العروس من جواهر القاموس** (٢/ ٣٧٥) منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، وراجع أيضا لمجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط** (١/ ٤٢٨).

(٢) الراغب: **المفردات** ص/ ٢٣٥ .

وبذلك يتحصل أن "السرد" يُعنى به: طريقة لغوية تتابع بها الأحداث متتابعة متناسقة، تحمل كل ما يتصل بالواقع - حقيقة - من مضامين دينية وثقافية وحضارية ولغوية وغيرها، وهذه طريقة معظم الكتب المصنفة في الموضوع.

ومن كتب هذا النوع - دون التقيد بالترتيب الزمنى - :

أ- **كتب التاريخ العام**: مثل كتاب البداية والنهاية لابن كثير، حيث تقع السيرة النبوية بتمامها فيه من ذكر نسبه الشريف [1] إلى وفاته ﷺ [2].

ب- **كتب السيرة المتخصصة**: مثل "السيرة النبوية" لابن إسحاق، التي هذبها واختصرها ابن هشام (ت ٢١٣هـ). ومن كتب المعاصرين: نور اليقين للخضري [3]، وأيضا الرحيق المختوم للمباركفوري [4].

ج- **كتب الطبقات**، سواء كانت مختصرة ككتاب الطبقات لابن خياط، إذ تعرض لنسبه ﷺ وبيان مواليه [5]، أو كانت مطولة كطبقات ابن سعد، حيث اعتنى بسيرته ﷺ وعرضها على مدار مجلدين، امتدت المادة

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية** (٣/ ٣٥٣).

(٢) ابن كثير: **البداية والنهاية** (٩/ ٤٨٥).

(٣) الخضري، محمد: **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**، دار صادر، بيروت، ط١- ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

(٤) المباركفوري، صفي الرحمن: **الرحيق المختوم**، دار الوفاء، المنصورة، مصر (د.ت).

(٥) ابن خياط، أبو عمرو خليفة (ت ٢٤٠هـ): **كتاب الطبقات ص/ ٢٥-٣٧**، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

فيه من نسب النبي ﷺ [1] إلى وفاته ﷺ [2] إلى ما بعد الوفاة من التسجية والتعزية والتغسيل وقبره ﷺ ... [3].

د- **كتب دلائل النبوة:** وإن كانت تركز في عنوانها على الدلائل فقط ، إلا أن هذه الدلائل والمعجزات صحبت النبي ﷺ من لدن ولادته ، بل قبلها، حتى وفاته ﷺ ، ومن أمثلة ذلك: كتاب "دلائل النبوة" للبيهقي ، فقد ذكر أبواب مولد النبي ﷺ [4] إلى ذكر وفاته [5] إلى تركته ﷺ [6] وتسمية أزواجه وأولاده رضى الله عنهم جميعا [7].

هـ- **كتب شروح السيرة:** لعل من أسعد الكتب التى حظيت بذلك "السيرة النبوية لابن هشام" حيث قام السهيلي بشرحها تماما ، وبَيَّن ألفاظها ووجوه الإعراب فيها مع تنبيهه على المسائل الفقهية واللغوية والتاريخية [8].

النوع الثانى: الأطالس ، ومفرده "أطلس" وهى كلمة أجنبية دخلت

---

(١) ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ): **كتاب الطبقات الكبير** (١/ ٤) تحقيق د. على محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١- ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

(٢) ابن سعد: **الطبقات** (٢/ ٢٢٦).

(٣) ابن سعد: **الطبقات** (٢/ ٢٣١-٢٨٨).

(٤) البيهقي ، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ): **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** (١/ ٧١) نشره د. عبد المعطى فلعجي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط١-١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

(٥) البيهقي: **دلائل النبوة** (٧/ ٢٣٣).

(٦) البيهقي: **دلائل النبوة** (٧/ ٢٧٣).

(٧) البيهقي: **دلائل النبوة** (٧/ ٢٨٢).

(٨) انظر كلام السهيلي عن طريقته في شرح السيرة: الروض الأنف (١/ ٣٣).

العربية دون تغيير وهذا ما يسمى بـ "الدخيل" [1] ويقصد بها: مجموع مصورات جغرافية [2]، ومن هذه الأطالس: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ للمغلوث، وهو شامل للوضع الجغرافي المتناغم مع الدرس التاريخي من خلال المصورات والتخطيط الهيكلي، وعرض السيرة من لدن حملة أبرهة قبل مولده ﷺ حتى حجة الوداع وحملة أسامة بن زيد؟ [3].

وللدكتور/ شوقي أبو خليل أطلسان، الأول: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، وحظ السيرة فيه قليل، حيث اكتفى بالمغازي فقط [4] والثاني: أطلس السيرة النبوية، وهو أوعب من الأول، حيث شمل موضوعات السيرة والأماكن الجغرافية التي وقعت فيها هذه الأحداث [5] مع الرسوم التخطيطية للإيضاح والبيان [6].

القسم الثاني (من التناول المباشر): **التناول الانتقائي**؛ وأعني به أن ينتقي المصنف من جهة السيرة جانبا معينا أو حَدَثا معينا أو فكرة معينة أو

---

(١) انظر لمجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط** (١/ ١٦).

(٢) **المعجم الوسيط** (١/ ٢٠).

(٣) المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد: **الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ**، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٣-١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

(٤) د. شوقي أبو خليل: **أطلس التاريخ العربي والإسلامي** ص/ ٣٠-٤١، دار الفكر، دمشق، سورية، ط١٢-١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م.

(٥) د. شوقي أبو خليل: **أطلس السيرة النبوية**، دار الفكر، دمشق سورية، ط٤-١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م. ونجد مثلا ص/ ٤٧ [مكان وفاة والدي النبي ﷺ] وفي ص/ ١٠٣ [غزوة العُشَيْرة].

(٦) انظر مثلا ص/ ١٨٠ **سرية عمر بن الخطاب** (سرية تُرَبَة سنة ٧هـ).

أن يقوم بانتقاء الصحيح من السيرة ، ومن أمثلة ذلك:

أ- **المختصرات**: ومن ذلك كتاب "الدرر" لابن عبد البر ، حيث يقول: "هذا كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبي ﷺ وابتداء نبوته وأول أمره في رسالته ومغازيه وسيرته فيها ... (١). وينتهي الكتاب بوفاته ﷺ (٢). ومنها كتاب "جوامع السيرة" لابن حزم ، ومن لطائفه أنه يجمع أشتات الموضوع الواحد تحت عنوان واحد (٣) ، ومنها "مختصر سيرة الرسول ﷺ" لابن عبد الوهاب (٤)، وأيضا "تهذيب سيرة ابن هشام" لعبد السلام هارون (٥).

ب- **صحيح السيرة** ، ومن أفضل هذه المحاولات ، السيرة النبوية الصحيحة للدكتور العمري (٦) ، ولإبراهيم العلي "صحيح السيرة

---

(١) ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ): **الدرر في اختصار المغازي والسير** ص/ ٢٩ ، تحقيق د. شوقي ضيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة - ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

(٢) ابن عبد البر: **الدرر** ص/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٣) انظر لابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ): **جوامع السيرة** ص/ ٢٣ (كمثال) تحقيق د. إحسان عباس ، ود. ناصر الدين الأسد ومراجعة أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر.

(٤) محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ): **مختصر سيرة الرسول ﷺ** تخريج وتعليق: بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ط٣-١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

(٥) عبد السلام هارون: **تهذيب سيرة ابن هشام** ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط٦-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م. وقد نص على هدفه من الكتاب وهو الاختصار والتهذيب ، انظر ص/ ١٤ ، ١٥ .

(٦) د. أكرم ضياء العمري: **السيرة النبوية الصحيحة** ، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط٦-=

النبوية"، وتنتهي أحداث الكتاب إلى وفاته ﷺ (١) ثم تأتي محاولة الألباني وكتابه "صحيح السيرة النبوية"، حيث ابتدأ بنسب النبي ﷺ وانتهى إلى قصة الإسراء والمعراج (٢) ولم يتمه.

ج- **جانب واحد**، سواء كان ذلك متعلقا بفكرة عامة أو نظام محدد، ومن ذلك مثلا: "الأنوار في شمائل النبي ﷺ المختار" للبغوي، ويمتاز بجمع كل المرويات في كل خلة أو خصيصة من خصائصه ﷺ بإسناده، انظر مثلا أخلاقه في قصة إسلام عمر (٣). ولأبي الشيخ (ت ٣٦٩هـ) كتاب "أخلاق النبي ﷺ وآدابه" مرتبة على ثمانية أجزاء (٤)، وللشيخ رشيد رضا مقالاته عن: التحليل النفسي لحياة النبي ﷺ قبل البعثة (٥). و "أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين وحكمة تعددهن بعد الهجرة وفوائده" (٦)، ومثل

= ١٤١٥هـ=١٩٩٤م وانظر (١/ ٢٠) حيث يذكر "أن مصنفه" انتقاء للقوي من الروايات ...

(١) العلي، إبراهيم: **صحيح السيرة النبوية** ص/ ٧١٤. دار النفائس، الأردن، ط٧-١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح السيرة النبوية** ص/ ٢٣٤. المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط١-١٤٢١هـ.

(٣) البغوي، الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ): **الأنوار في شمائل النبي المختار** (١/ ١٣١) حققه/ إبراهيم اليعقوبي، دار المكتبي، دمشق، ط٣-١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

(٤) أبو الشيخ، عبد الله بن محمد الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ): **أخلاق النبي ﷺ وآدابه**. دراسة وتحقيق/ مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب، بيروت، ط١-١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

(٥) رشيد رضا: **المنار** (٣٥/ ٢٦٧-٢٧٩) مصر ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م.

(٦) رشيد رضا: **المنار** (٣٢/ ٤٣٣-٤٦٥) مصر ١٣٥١هـ=١٩٣٢م.

" الاستخبارات في غزوات الرسول ﷺ " لمحمد البيلي [1]. ولعرموش: " قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية " [2]. ومن ذلك أيضا لمُنير الغضبان: " المنهج الحركي للسيرة النبوية " [3] والمنهج التربوي للسيرة النبوية [4].

د- حدث واحد، من ذلك لحماد بن إسحاق مصنف " تركة النبي ﷺ " [5] وللحافظ المقدسي " حديث الإفك " [6]. ولابن ناصر الدين الدمشقي " سلوة الكئيب بوفاة الحبيب ﷺ " [7]، وللصالحي الشامي: " خلاصة الفضل الفائق في معراج خير الخلائق " [8]. وللدكتور/ شوقي

(١) البيلي ، محمد محمد: **الاستخبارات في غزوات الرسول ﷺ** ، مكتبة السندس ، الكويت ، ط١-١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

(٢) عرموش ، أحمد راتب: **قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية**. دار النفائس ، بيروت ، ط١-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

(٣) الغضبان ، منير محمد: **المنهج الحركي للسيرة النبوية** ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط٢-١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

(٤) الغضبان: **المنهج التربوي للسيرة النبوية** ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط٢-١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

(٥) حماد بن إسحاق بن إسماعيل (ت ٢٦٧هـ): **تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها**. دراسة وتحقيق د. أكرم ضياء العمري ، ط١-١٤٠٤هـ=١٩٨٤م ، وهي تشمل خيله وسلاحه وسريره ولقاحه ...

(٦) الحافظ المقدسي ، عبد الغني بن عبد الواحد (ت ٦٠٠هـ): **حديث الإفك** ، حقق نصوصه/ سليم الهلالي ، دار غراس ، ط١-١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

(٧) ابن ناصر الدين الدمشقي ، محمد بن عبد الله (ت ٨٤٢هـ): **سلوة الكئيب بوفاة الحبيب ﷺ** ، تحقيق ودراسة د. صالح يوسف معتوق. دار البحوث للدراسات الإسلامية ، دبي ، دولة الإمارات ، ط٢-١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

(٨) الصالح الشامي ، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ): **خلاصة الفضل الفائق في** =

أبو خليل: "الهجرة حدث غير مجرى التاريخ" ، حيث تناول الهجرة إلى الحبشة وأسبابها [(١)]، ثم هجرة النبي ﷺ إلى الطائف ونتائج هذه الهجرة [(٢)]، ثم بيعة العقبة وهجرة المسلمين إلى المدينة [(٣)]، ثم هجرته ﷺ إلى المدينة وتفاصيلها ونتائجها [(٤)].

هـ- **كتب الحضارة في العصر النبوي** ، من أبرز من كتب في ذلك: الخزاعي وكتابه "تخريج الدلالات السمعية" ، حيث تناول الجوانب الإدارية والسياسية والعلمية والصناعية والحرفية في دولة الرسول ﷺ [(٥)]، وللكتاني: "نظام الحكومة النبوية" ؛ حيث أبرز جوانب الحضارة ومظاهرها في المدينة عهد رسول الله ﷺ ، انظر مثلا: العمليات الكتابية [(٦)] والعمليات الحربية [(٧)] وذكر الحرف

= **معراج خير الخلائق** ، اعتنى به/ حسن أحمد إسبر. دار ابن حزم ، بيروت ، ط١-١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

(١) أبو خليل، د. شوقي: **الهجرة حدث غير مجرى التاريخ** ص/ ١٧ . دار الفكر ، دمشق ، ط٥-١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

(٢) أبو خليل: **الهجرة** ص/ ٣٨ .

(٣) أبو خليل: **الهجرة** ص/ ٥٢ ، ٧٤ .

(٤) أبو خليل: **الهجرة** ص/ ٨١-١٢٤ .

(٥) الخزاعي ، على بن محمد التلمساني (ت ٧٨٩هـ): **كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية** ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة - ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

(٦) الكتاني ، محمد عبد الحي بن عبد الكبير (ت ١٣٨٢هـ): **نظام الحكومة النبوية "التراتيب الإدارية"** ص/ ١٩١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١-١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

(٧) الكتاني: **التراتيب** ص/ ٣٤٣ .

والصناعات [1]. ولشَرَّاب كتاب: "المدينة النبوية"؛ حيث مزج أحداث السيرة بالجوانب الحضارية المتعددة، فانظر فيه فضلا: مبحث التجارة [2]، ومؤسسات الحكومة الإسلامية في المدينة النبوية [3]. ومن ذلك أيضا دراسة محمد حميد الله: "مجموعة الوثائق"؛ مثل رسائله ﷺ وكتب العهود أو الرسائل المرسلة من غير المسلمين إلى النبي ﷺ، وأيضا خطبه ﷺ، لاسيما وثيقة خطبة الوداع [4]. ودراسة العلي: "دولة الرسول ﷺ في المدينة"؛ حيث أسهب في أسس تكوينها وتنظيمها وتطورها وتوسعها، وهو في ذلك يدقق في الأحوال الاجتماعية والجغرافية والسكانية، انظر مثلا دراسته لتأمين السيادة في المدينة [5]، وللموارد المائية [6]، وانظر بيانه علاقة الدين بالأمة [7].

المطلب الثاني: التناول غير المباشر للسيرة النبوية، وهي التي يمكن أن نأخذ مادة السيرة منها بالانتزاع؛ إذ هي غير مصنفة في هذا الموضوع، ومنها:

---

(١) الكتاني: **التراتيب** ص/ ٥٠٣.

(٢) شَرَّاب، محمد محمد حسن: **المدينة المنورة، فجر الإسلام والعصر الراشدي (الرواية الصحيحة)** (١/ ٣٢٣) دار القلم، دمشق، ط١-١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

(٣) شَرَّاب: **المدينة المنورة** (١/ ٣٤٩).

(٤) انظر هذا عند محمد حميد الله: **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** ص/ ٣٧-٣٦٨. دار النفائس، بيروت، ط٧-١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

(٥) العلي، د. صالح أحمد: **دولة الرسول في المدينة، دراسة في تكوينها وتنظيمها** ص/ ١٤٩، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط٢-٢٠٠٤م.

(٦) العلي: **دولة الرسول** ص/ ٣٥٥.

(٧) العلي: **دولة الرسول** ص/ ٤٠٩.

أ- **كتب الجغرافيا**: ومادة السيرة فيها مبعثرة جزئية ، لكن ربما لا نجدها في كتب السيرة المباشرة!! ومن ذلك: "كتاب أخبار مكة" للأزرقي ، حيث نجد مثل هذه المعلومات: الصلاة في الكعبة وأين صلى النبي ﷺ منها (١). وأيضا: ما جاء في الصلاة في وجه الكعبة (٢). ولأسامة بن منقذ كتاب: "المنازل والديار" حيث نتتزع مثل هذه الأخبار: خبر قتل كعب بن الأشرف (٣)، قريش تبني الكعبة والنبي ﷺ يسهم في بنائها قبل مبعثه (٤).

ب- **كتب الأنساب**: ومادة السيرة فيها أيضا مبعثرة جزئية ، ومن ذلك كتاب "الأنساب" للسمعاني ، حيث نجد خبر طواف النبي ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء (٥) ، وانظر في نسبه الهاشمي (٦).

ج- **كتب التراجم والطبقات**: وهي أسعد حظا من سابقيها ، حيث نجد جملة صالحة من سيرته ﷺ من خلال تراجم صحابته الكرام في كتب الطبقات والتراجم - وذكر هذا يطول جدا - لكن يمكن الإشارة إلى بعض الكتب المعاصرة المصنفة في هذا الاتجاه ، ومنها: "كُتَّاب الوحي" للدكتور/

---

(١) الأزرقي ، محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠هـ): **أخبار مكة** (١/ ٢١١) تحقيق د. علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١-١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م.

(٢) الأزرقي: **أخبار مكة** (١/ ٢٨٠).

(٣) أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ): **المنازل والديار** ص/ ٥٦ ، تحقيق/ مصطفى حجازي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

(٤) أسامة بن منقذ: **المنازل** ص/ ٣٥٨ .

(٥) السمعاني ، عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ): **كتاب الأنساب** (١/ ٢١) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١-١٤١٩هـ=١٩٩٩م.

(٦) السمعاني: **الأنساب** (٤/ ٤٩٨).

أحمد عبد الرحمن عيسى ، حيث يدرس طريقة تربية النبي ﷺ لكُتَّاب الوحي كعلي وأبي بن كعب وغيرهما [١]، وكذلك تربيته لرسله إلى الملوك والأمراء [٢]، ومن ذلك: اللواء خطاب وكتابه " قادة النبي ﷺ " ، حيث أحصاهم بنحو من واحد وثلاثين قائدا ، ثم ذَكَرَ جيشه ﷺ [٣] والأسلحة المستخدمة آنذاك سواء كانت فردية [٤] أم جماعية [٥]. أيضا د.عائشة عبد الرحمن: " تراجم سيدات بيت النبوة " ، حيث لم تقتصر على زوجاته ، بل ذكرت أيضا أمه [٦] وبناته [٧]. ولمنير الغضبان: " التربية القيادية " [٨].

د- **كتب الأدب واللغة والمعارف العامة** ، وهذا حقل واسع جدا ، حيث يضم كتب فقه اللغة ومتنها ، وكتب غريب اللغة ، ودواوين الشعر وشروحه ، وكتب النوادر ، وكتب الغرائب ، ودوائر المعارف عربية كانت أو

---

(١) د. أحمد عبد الرحمن عيسى: **كتاب الوحي** ص/ ٧٢-٨٩ . دار اللواء ، الرياض ، ط١-١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

(٢) د. أحمد عبد الرحمن عيسى: **كتاب الوحي** ص/ ١٠٥-١٩٣ .

(٣) خطاب ، اللواء محمود شيث: **قادة النبي ﷺ** ص/ ٥٧٣ ، دار القلم ، دمشق ، ط٢-١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

(٤) اللواء خطاب: **قادة النبي ﷺ** ص/ ٦٠٧ .

(٥) اللواء خطاب: **قادة النبي ﷺ** ص/ ٦١٥ .

(٦) د. عائشة عبد الرحمن: **تراجم سيدات بيت النبوة** ص/ ١٧-١٨٥ . دار الريان للتراث ، القاهرة ١٩٨٧م.

(٧) د. عائشة عبد الرحمن: **تراجم سيدات بيت النبوة** ص/ ٤١٩ .

(٨) الغضبان ، منير محمد: **التربية القيادية (جيل الحديبية)** ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط١-١٤١٨هـ=١٩٩٨م (الجزء الرابع).

أجنبية ...

لقد لاح أن طرائق تناول السيرة تعكس جهد كل مصنف في مجاله وموضوعه ؛ ولا يوجد أيضا منهج واحد به تم تناول السيرة ، وهذا مفيد في تنوع موضوعاتها وتوثيق مادتها واكتمال أبعاضها.

** ** **

المبحث الثالث
الاستشراق وأثره في دراسة السيرة

لقد نبه غير واحد من مفكرى الإسلام ومثقفيه ودعاته إلى أن الإنتاج الاستشراقى (على ما يبدو من زهاء ظاهره) كان شرا على المجتمع الإسلامى، وأن اكتشاف أوربا للفكر الإسلامى عن طريق المستشرقين "لم يكن من أجل تعديل ثقافى ، بل من أجل تعديل سياسى ؛ لوضع خططها السياسية ، مطابقة لما تقتضيه الأوضاع فى البلاد الإسلامية من ناحية ، ولتفسير هذه الأوضاع طبق ما تقضيه هذه السياسات فى البلاد الإسلامية ؛ لتسيطر على الشعوب الخاضعة فيها لسلطانها " (١).

ومن جملة ما ألفه المستشرقون فى مجال التاريخ بوجه عام والإسلامى بوجه خاص وسيرة الرسول ﷺ بوجه أخص (٢):

١ - موسوعة دائرة المعارف الإسلامية.

---

(١) مالك بن نبى: **القضايا الكبرى** ص/ ١٨١ ، دار الفكر ، دمشق ١٩٩١م ، وانظر له أيضا: **وجهة العالم الإسلامى** ص/ ٢١ ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، دار الفكر دمشق ٢٠٠٢م.

(٢) وانظر فى هذا عقيقى، نجيب: **المستشرقون** (٣/ ٥٣١-٥٤٩) ، دار المعارف، القاهرة، ط٤ - ١٩٨٠م وبعض هذه الكتب تحت يدى بمكتبتى الخاصة.

٢- أرنولد توينبى: موسوعة " دراسة فى التاريخ " .

٣- و.منتجمرى وات: محمد فى مكة.

٤- هنرى لامنس: الإسلام.

٥- مرجليوث: التطورات المبكرة فى الإسلام (بالإنجليزية).

٦- سير وليام موير: حياة محمد.

٧- و.مونتجمرى وات: القضاء والقدر فى فجر الإسلام وضحاه (القرون الثلاثة الأولى).

٨- كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية.

هذا كله بخلاف المجلات [١] والدوريات والنشرات العلمية ومراكز الأبحاث والأقسام المتخصصة لدراسة اللغات والآداب الشرقية والأديان واللهجات وعلم الاجتماع ... وهذا كله ليس لله ، كما أنه ليس خدمة للعلم، ولا حتى خدمة للدنيا طلبا للمال ، ولكن هذا كله من أجل تقديم الدراسات المناسبة من كافة جوانبها لصناع القرار السياسى والعسكرى لاتخاذ التدابير المناسبة لمناهضة المسلمين واجتثاث شأفة الإسلام ...!!!

---

(١) ومن أخطر هذه المجلات "مجلة العالم الإسلامى" الإنجليزية ، التى تصدر منذ شهر فبراير سنة ١٩١١م وكان القس "زويمر" رئيس إرسالية البحرين يتولى إدارتها ، وكانت تهتم برصد المؤتمرات والدراسات العالقة بشئون العالم الإسلامى من تعليم ومواقف من المنصرين عبدة الصليب ، ودراسة موقف المنصرين ومشاكلهم فى العالم الإسلامى ، ودراسة أرضية الصراع ومن ثمَّ كيفية شن الغارة على العالم الإسلامى ، انظر فى هذا ا.ل. شاتليه: **الغارة على العالم الإسلامى** ص/ ٤٢-٤٦ لخصها إلى العربية: محب الدين الخطيب ومساعد اليافعى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط٤-١٣٩٨هـ.

لقد درس هؤلاء المستشرقون مادة التاريخ - لاسيما الإسلامى منه - وأخضعوه لما سموه بالمنهج العلمى !!! ، وهذا المنهج المزعوم الذى روجوا له، وتلمذوا عليه صنائعهم فى بلادنا وديار المسلمين ، وجعلوه ميزان العلم ومنتهى جودة العقل ، أسسوا أصوله ، التى يمكن أن نرصد بعض الملامح المميزة له فى:

١- نشر وإحياء الأفكار والثقافات الدينية واللغوية والأدبية الهدامة أو البائدة ، تحت مظلة "حرية الفكر" و "النقد الحر" و "الموضوعية" ، و "المنهجة" ، ومن هذه الآراء والأفكار: فصل الدين عن الدولة ونظام الحياة ، سيادة اللهجات ، اتهام الغيب فى النصوص الدينية الإسلامية بالخرافة والأساطير ، تحريف النصوص من الكتاب والسنة باسم "العقلانية" و "التفكير الحر" ... ومن ذلك أيضا إحياء الفرعونية ، والفكر الاعتزالى والرافضى ، والإلحادى الصوفى ، والصوفى المبتدع ، بل إحياء الملل الشركية بتزكية جوانبها الأخلاقية والوجدانية ، كما يفعلون مع "البوذية" !! ، ونرصد فى الصدد نفسه إحياء العامية ولهجاتها ، والمناداة بأن تكتب العربية كتابة صوتية لكن باللهجة العامية ، بل المناداة بأن يكتب القرآن كتابة صوتية عامية(١)!!!

٢- النظر إلى كل كتب التراث الأدبى باعتباره وثيقة مقبولة ، يحكمون بمقتضاها على اللغة والأدب والتاريخ ، بل والدين!! دون تمييز بين

(١) انظر المقالة التى سطرها بقلبه وروحه وغيرته وإخلاصه أستاذ العربية الشيخ محمود محمد شاكر ، ونوّه إلى بعض المهزومين المنادين بذلك كـ: سلامة موسى ولويس عوض ، وهذا كله فى كتابه الرائع "أباطيل وأسمار" ص/ ١٣١-١٩٥ ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، ط٢-١٩٧٢م.

الأخبار، فليس عند "المستشرقين" كافة ما عند المُحدِّثين الإخباريين من منهج نقدى محكم للأخبار؛ ولذا تراهم يحكمون على أمور الدين والدنيا ويحاكمون التاريخ وأهله بمثل كتب "الأغانى" و "تاريخ الطبرى" و "الحيوان" ، ولا يلتفتون إلى مصادر الحديث النبوى كمصدر أساس من مصادر المعرفة واستلهام البراهين ... يتمم ذلك الملمح التالى:

٣- التشكيك فى أصول وثوابت الإسلام ، أيضا تحت ستار: العلمية ، والموضوعية ، والمنهجية ... الخ هذا الكذب والتلفيق ، ومن هذه الأصول: الطعن فى سنة النبى محمد ﷺ ، فالتشكيك فى إسناد الأخبار ، ورمى الأخبار بالانتحال باب من أبواب هدم السنة ، وأول من أثار هذا الموضوع "انتحال الأخبار" من المحدثين المستشرقين "مرجوليوث" حيث تكلم عن وضع الشعر الجاهلى ، ثم ذكر أن لغة القرآن مشابهة كبيرة للغة الشعر الجاهلى ، وأن طريق وصول القرآن إلينا بل والسنة كطريقة ورود الشعر الجاهلى (يقصد الرواة) ، ولما كان الشعر الجاهلى مرميًا بالانتحال والوضع ، أيضا يمكن رمى القرآن والسنة بما رُمى به هذا الشعر!!! [(١)] والطعن فى رسول الله ﷺ ذاته وأن رسالته لم تنهض العرب والعالم ، بل كان العرب أصحاب حضارة وتاريخ ، لكن أتى رسول الله ﷺ فأيقظهم وأقامهم بعد طول رقدة!!! العداء الواضح لكل رموز الإسلام من رجاله المميزين ؛ أصحاب المناقب الشريفة والأعمال المنيفة ؛ كالصحابة الأجلاء ومن بعدهم

---

(١) انظر ما نقله د. ناصر الدين الأسد –جزاه الله خيرا– من ردّ وتفنيد لشبه المستشرقين وأصَّل لمسألة نقل التراث العربى من الشفاهة إلى الكتابة ، وهذا فى كتابه الماتع "مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية" لاسيما ص/ ٣٥٢-٣٧٧ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦-١٩٨٢م.

يقول الشيخ الدكتور/ مصطفى السباعى - عليه من الله الرحمة والرضوان - رأوا - يقصد الصليبيين الراجعين بالهزيمة والخذلان من جهاد المسلمين إبَّان الحروب الصليبية - بعد الإخفاق فى الاستيلاء عليها (يقصد: ديار الإسلام) عسكريا - أن يتجهوا إلى دراسة شؤونها وعقائدها، تمهيدا لغزوها ثقافيا وفكريا، ومن هنا كانت النواة الأولى لجمعيات المستشرقين التى مازالت تواصل عملها حتى اليوم، والتى كانت حتى عهد قريب تتألف من رجال الدين المسيحى [1] أو اليهودى الذين هم - ولا شك - أشد الناس كرها للإسلام وتعصبا عليه، ولئن كان فريق من العلماء المنصفين قد غزا هذا الوسط (التبشيرى المتعصب) فعنى بالدراسات العربية والإسلامية فى جو يتسم أكثره بالإنصاف، إلا أنه لا يزال - حتى اليوم - أكثر الذين يشتغلون منهم بهذه الدراسات من رجال الدين الذين يعنون بتحريف الإسلام وتشويه جماله، أو من رجال الاستعمار الذين يعنون ببلبلة بلاد الإسلام فى ثقافتها، وتشويه حضارتها فى أذهان المسلمين، وتتسم بحوث هؤلاء بالظواهر الآتية:

١- سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام فى أهدافه ومقاصده.

٢- سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم.

---

(١) هكذا فى الأصل، ولو عدلت إلى "النصرانى" لكان أولى، فإن المسيح - عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام - متبرئ ممن عبدوه من دون الله، فلا ينبغى أن ننسب هؤلاء إليه!! وتأمل قوله سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١١٦].

٣- تصوير المجتمع الإسلامى فى مختلف العصور ، وخاصة فى العصر الأول ، بمجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله وعظماءه.

٤- تصوير الحضارة الإسلامية تصويرا دون الواقع بكثير ، وتهويننا لشأنها واحتقارا لآثارها.

٥- الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامى على حقيقته ، والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم.

٦- إخضاع النصوص للفكرة التى يفرضونها حسب أهوائهم ، والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص.

٧- تحريفهم للنصوص فى كثير من الأحيان ، تحريفا مقصودا. وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف.

٨- تحكمهم فى المصادر التى ينقلون منها ، فهم ينقلون مثلا من كتب الأدب ما يحكمون به فى تاريخ الحديث ، ومن كتاب التاريخ ما يحكمون به فى تاريخ الفقه ، ويصححون ما ينقله "الدميرى" فى كتاب "حياة الحيوان" ويكذبون ما يرويه "مالك" فى "الموطأ" ، كل ذلك انسياقا مع الهوى ، وانحرافا عن الحق.

بهذه الروح التى أوضحنا خصائصها بحثوا فى كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين من تاريخ وفقه وتفسير وحديث وأدب وحضارة ، وقد أتاح لهم تشجيع حكوماتهم ، ووفرة المصادر بين أيديهم ، وتفرغهم للدراسة ، واختصاص كل واحد منهم بفن أو ناحية من نواحى ذلك الفن ، يفرغ له جهده فى حياته كلها ، ساعدهم ذلك كله على أن يصبغوا بحوثهم بصبغة

علمية ، وأن يحيطوا بثروة من الكتب والنصوص لم يحط بها كثير من علمائنا اليوم الذين يعيشون فى مجتمع مضطرب فى سياسته وثورته وأوضاعه ، فلا يجدون متسعا للتفرغ لما يتفرغ له أولئك المستشرقون!!! وكان من أثر ذلك أن أصبحت كتبهم وبحوثهم مرجعا للمثقفين منا ، ثقافة غربية والملمين بلغات أجنبية ، وقد خدع أكثر هؤلاء المثقفين ببحوثهم ، واعتقدوا بمقدرتهم العلمية وإخلاصهم للحق .. وجروا وراء آرائهم ينقلونها كما هى ، ومنهم من يفاخر بأخذها عنهم ، ومنهم من يلبسها ثوبا إسلاميا جديدا. ولا أريد أن أضرب لك الأمثال ، فقد رأيت من صنيع الأستاذ "أحمد أمين" فى "فجر الإسلام" (١) مثلا لتلامذة مدرسة المستشرقين من المسلمين.أ.هـ(٢)

ويجدر بنا بعد هذا التأصيل النظري أن نغوص في دراسة تطبيقية لبيان

---

(١) ومن صنيع أبى رية فى كتابه "أضواء على السنة المحمدية" ، حيث نجد مثلا طعنه فى رواية الأخبار ورواتها من الصحابة وغيرهم لاسيما الصحابى الجليل أبو هريرة رضي الله عنه ، انظر له ص/ ١٧٢ وما بعدها. وللعجب قدَّم له عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين مزكيا ، حيث قال فى صدر الكتاب المشار إليه "هذا كتاب بذل فيه مؤلفه من الجهد ما لا يبذل مثله إلا الأقلون - ثم أخذ يثنى على جهده وموضوع كتابه - إلى أن قال: "وأنا بعد ذلك أجدد اعترافى للمؤلف بجهده العنيف الخصب فى تأليف هذا الكتاب وإخلاصه الصادق للعلم والحق فى بحثه عن الحديث!! ، ص/ ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥-١٩٨٠م ، وهنا أذكر قوله عز وجل: ﴿ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ [البقرة : ١١٨]، وهناك غير واحد من فضلاء أهل العلم من تصدوا لهؤلاء النوكى ، منهم الشيخ الدكتور/ محمد بن محمد أبو شَهْبة وكتابه : "دفاع عن السنة ، ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين" مكتبة السنة، القاهرة ، ط١-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م

(٢) د.مصطفى السباعى: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ، ص/ ١٨٨، ١٨٩ ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط٤-١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

أثر الاستشراق في دراسة السيرة.

وهذه الدراسة عبارة عن قراءة في مذكرة تاريخ الدولة الإسلامية المقررة على طلبة كلية الآداب بإحدى الجامعات المصرية سنة ١٩٨٤م ، وقام على إعدادها أحد أساتذة التاريخ الإسلامى ، وامتد عرض مادته العلمية ليشمل امتدادا زمنيا واسعا ، منذ عصر النبوة إلى آخر الدولة الأموية ، الذى ينظر إليها أنها آخر حكم عربى إسلامى خالص ؛ وكأن الأستاذ الدكتور - رحمه الله الآن - يؤرخ للدولة الإسلامية العربية ، أما الدولة العباسية فهى دولة إسلامية ، لكن كان الحكم والسلطان فيها لغير العرب ؛ لذا لم يدخلها فى محتواه العلمى!!

والمادة العلمية المعروضة تحوى تحليلات تاريخية قائمة على تأويلات وآراء أصولها المغالطة والاستناد إلى الأخبار الواهية المتلقاة عن الأساتذة المستشرقين ، لذا سميت قراءتى لهذه المذكرة بـ "القول الراشد فى الرأى الفاسد" وسودت فيها كراريس عدة ، كنت أعارض بها آنذاك صاحب المذكرة ، فلم أكن أريد الدراسة الأكاديمية المتخصصة فى كل نقطة ، بل أردت أن أبين وجه الحق سريعا فى كل مسألة ، وإلا فهذه النقاط المعروضة ، كل واحدة تحتاج إلى دراسة مستقلة بنفس أطول ، وأحب التنويه إلى أن وقفاتى مع هذه المذكرة تجاوزت الخمسين ، وقد تخيرت منها إحدى عشرة وقفة وهى الوقفات الأولى على الترتيب [١].

وإنى إذ أقدم هذه الوقفات أريد أيضا إظهار ما وصل إليه علماء

---

(١) ولم أقم بتحريرها من جديد عند تقديمها فى هذا الكتاب ، إلا ما ندر ؛ نظرا لضيق الوقت .

التاريخ الإسلامى المعاصرون من دَرَك ، به لم ينصفوا تاريخ أمتهم ، ولم يرفعوا نصرة ملتهم ، زاعمين أنهم أرباب المنهج والموضوعية والنزاهة والإنصاف ... الخ من العبارات الواسعة الضبابية!!! وإليك أيها القارئ الحبيب بعض هذه الوقفات:

الوقفة الأولى:

يقول فى ص٧ ، ص٨ : "ثم جمع القرآن ورتب سوره مرتين مرة فى أيام أبى بكر والمرة الأخيرة أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان ٢٤/ ٣٥هـ ..." .

الرد:

لنا فى هذه العبارة ملاحظتان هما:

أ- جمع القرآن مرتين ... ب- رتبت سور القرآن مرتين. وإليك التفصيل:

أ- جَمَع القرآن مرتين:

نود أن نسأل الدكتور ما معنى الجمع هنا؟ فإن قال المراد بالجمع هنا هو جمع ما تفرق فى شىء واحد يتعين المصير إليه دون المساس بما ثبت توقيفه عن النبى ﷺ من ترتيب لآى السور ، وترتيب السور بعضها وراء بعض ...

قلنا: إن كان كذلك فهذا هو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولكن يكون الدكتور قد وقع فى تناقض رهيب فهو يقرر فى الفقرة الثانية أن الجمع تناول ترتيب سور القرآن ، وهذا ترده الفقرة الأولى بالمعنى الذى قلناه فوقع فى التناقض.

ولكن الظاهر أن الجمع فى كلام أهل القرآن يطلق إما:

١- على حفظه جميعه عن ظهر قلب ، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٧].

٢- على جمع متفرقه فى صحف ، ثم جمع تلك الصحف فى مصحف واحد مرتب الآيات والسور على النحو الذى تلقته الأمة من النبى ﷺ (١).

قلت: والمستساغ لغة هو الثانى الذى يكون لتجميع الشىء المتفرق ومنه سميت "الجماعة" جماعة وأيضا "الجَمْعُ". وتسمى المزدلفة "جَمْعٌ" إما لأن الناس يجتمعون بها وإما لأن آدم اجتمع هناك بحواء. ومنه "الجُمُعة" سمى بذلك لاجتماع الناس به ..." (٢).

وبذلك نرى أن الدكتور لو قال:

١- إن الجمع بالمفهوم الصحيح هذا ما أقصده ، ردته الفقرة الثانية وأصبح متناقضا ، وينبغى للعاقل الواعى فضلا عن الذى تبوأ أحسن المناصب العلمية ألا يوقع نفسه فى تناقض جلى مثل هذا.

٢- إن الجمع بما فيه ترتيب السور ، وهذا ما توحيه العبارة ، فإننا نقول هذا جهل عظيم بالدين والتاريخ ولا يقرره إلا مغرض بعيد عن الحق كما سنبين الآن - إن شاء الله - .

---

(١) د. لبيب السعيد: **الجمع الصوتى الأول للقرآن** (ص/ ٣١) ، دار المعارف ، القاهرة، ط٢-١٩٧٨م. نقلا بتصرف عن ابن حجر فى الفتح ٩/ ٨ (ط البهية).

(٢) لابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): **لسان العرب** (١/ ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٢) دار المعارف ، القاهرة.

ب- رتبت سور القرآن مرتين:

نود أن نسأل سيادته ما المراد بالترتيب؟ فإن قال:

أ) إن الترتيب أقصد به نسخ ما فى المصاحف بالترتيب نفسه الكائن قبل ذلك ، قلنا: إن هذا لا يستقيم مع صريح العبارة [1]، وكان الأولى أن تعدل بهذه العبارة كلها بالنسخ فنقول ونسخ القرآن وجمع مرتين بدلا من وجمع ورتب فلا وجه بين الترتيب والنسخ ، فالنسخ: هو النقل ، بينما الترتيب هو جعل شىء وراء شىء فى نظام وإحكام - وسنوفى الرد على هذه النقطة إن شاء الله عز وجل بعد قليل.

ب) فإن قال نعم الترتيب حدث مرتين وأقصد به هو ترتيب سور القرآن دون توقيف ، فنقول: وهذه طامة كبرى وذلك لأسباب عدة:

١ - أن هذا يصادم النصوص الشريفة من السنة ويصادم كذلك ما تواترت عليه الأخبار التاريخية من أن الصحابة أخذوا القرآن من فى النبى ﷺ غضا طريا كما أنزل ، وكان النبى ﷺ يرتب لهم آياته فى سورها ، وبذلك حفظ القرآن الصحابة مرتبة سوره ، ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان ، والحاكم عن ابن عباس عن عثمان رضي الله عنه : قال: كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشىء يدعو بعض من يكتب عنده

---

(١) ويخالف أيضا ما قرره الدكتور فى مذكرته ص٩٣: "كان زيد هذا هو الذى تولى جمع القرآن للمرة الأولى فى أيام أبى بكر غير أن زيدا رتب السور فى الجمع الثانى بحسب طولها على ما هو فى المصاحف إلى يومنا هذا" . وسوف نتعرض لهذا السخف فى وقته فإن سورة التوبة أكبر من الأنفال وأتت بعدها !

فيقول: ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا [١]...

والثابت أيضا أنه فى زمن النبى ﷺ كان تأليف ما نزل من الآيات المفرقة فى سورها وجمعها بإشارة منه، فقد أخرج الحاكم بسنده على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف [٢] القرآن من الرقاع [٣]. قال البيهقى: الشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة فى سورها وجمعها فيها بإشارة من النبى ﷺ [٤] [*].

٢- إن هذا يصادم اللغة والعقل حيث نجد أن (رَتَبَ) الشىءُ (رُتُوباً) من باب قعد: استقر ودام [٥] أى أن الذين رتبوا القرآن هم الذين يرجع إليهم الفضل فى استقراره ودوامه على هذه الصورة التى نراه عليها الآن، وهذا محال، بل إنى لا أريد أن أذهب فأقول إن من اعتقد أن الصحابة هم

---

(١) ابن حجر الفتح ج٩/ ٢٢ ط محب الدين الخطيب. والحديث المذكور فيه نكارة، لكن معناه صحيح مقررعند كافة أهل العلم، إسناده لا يصح: أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٣٩٩)، والترمذي (٣٠٨٦)، وأبي داود (٧٨٦، ٧٨٧)، والنسائي في "سننه الكبرى (٨٠٠٧)، والحاكم فى "المستدرك" (٣٣٣٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ورد هذا الكلام العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند فقال: "فى إسناده نظر كثير، بل هو عندى ضعيف"، وانظر للعلامة الألباني ضعيف سنن أبي داود (١٤٠). ومع ضعف الخبر إلا أن معناه مُقَّرر مجمع عليه بين أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم، إذ إن ترتيب سور القرآن توقيفي؛ أي بإذن من رسول الله ﷺ.

(٢) نؤلف منه الائتلاف وهو الالتئام والاجتماع. المصباح ١/ ١٨ والمعنى نجمع القرآن من الرقاع، والله أعلم.

(٣) صحيح. أخرجه الحاكم فى "المستدرك" (٢/ ٦١١).

(٤) السيوطى، جلال الدين (ت ٩١١هـ): **الإتقان فى علوم القرآن** (١/ ٥٧) دار التراث، القاهرة (د.ت).

(*) راجع ذلك الكلام فى الجامع الصوتى ص٣٢، ٣٣.

(٥) المصباح ١/ ٢١٨ باب "رَتَبَ".

الذين رتبوا القرآن بمفهومه الخاطئ هذا وأقيمت عليه الحجة الشافية الكافية واستمر يكون كافرا حادا عن سبيل الله وسبيل المؤمنين؛ وذلك لأن هذا مرفوض شرعا وعقلا ، شرعا كما أسلفنا خطأه وهناك الأدلة الكثيرة على ذلك ولكن فى ما قدمنا كفاية وشفاء ، وعقلا: لأنه مستحيل أن يقع هذا من ذوات البشر العاديين حتى ولو كانوا هم أبو بكر وعمر ... وغيرهم من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم لعدة أسباب منها:

أ- إذا كان القرآن قد رتب فى عهد أبى بكر رضي الله عنه فلماذا رتب فى عهد عثمان رضي الله عنه ؟ ألم يكفِ الترتيب الأول؟ يقولون: لأنه حدث اختلاف بين القوم فى الشكل والضبط مما اضطر عثمان رضي الله عنه إلى فعل ذلك ، نرد قائلين: " إن عثمان رضي الله عنه - حقا - فعل ذلك بسبب ذلك - ولكن ما علاقة هذا بالترتيب؟! إن الترتيب (أى سور القرآن) لا يتوقف على الشكل والضبط. وهذه مغالطة وقعوا فيها.

ب- لو افترضنا جدلا سلامة ما ادعاه هؤلاء من أن الترتيب كان فى عهد أبى بكر وعثمان رضي الله عنهما - حيث رتب سور القرآن بحسب طولها كما ذكر جامع المذكرة ص٩٣ ، فماذا كان حال القرآن قبل ترتيب هذا؟! هل كان يقرأ قراءة عشوائية ، وهل كان النبى ﷺ يقرأ القرآن دون معرفة لترتيب مواضع السور؟ فلا يدرى أى السورتين يسبق الأخرى لأن المصحف غير مرتب؟ ثم كيف رضى النبى ﷺ أن يكون المصحف عشوائيا هكذا؟ ألم يقدر النبى ﷺ - وهو الذى يوحى إليه وهو الذى أعطى جوامع الكلم وهو الحق الذى أجلى الله به الظلمات وهدى به الخلق - ألم يقدر على ترتيب القرآن؟ إن هذا فيه جهل كبير وغلط فاحش ينم على سوء السريرة ، فإن النبى ﷺ هو الذى رتب سور القرآن وآياته كذلك وكان يقرأ ويقرأ الصحابة هذه السور ، ولم يقبض النبى ﷺ إلا والقرآن مكتمل مرتب .

ج- لو افترضنا أن القرآن قد رتبه الصحابة ، فما هو الدليل الظنى - لا أريد أن أقول اليقينى - على ذلك؟ وهو يا سيادة الدكتور ما رأيك إذا قدمت سورة الأعلى على سورة البقرة ؟ ماذا يكون الوضع؟ ثم أقول لك: يا سيادة الدكتور لو نظرت هذا وتدبرته لتبين لك فساد ما أنت عليه.

* والخلاصة: أن القرآن جمع مرتين ، الأولى: أيام أبى بكر رضي الله عنه عند استحرار القتل فى قراء المسلمين فى حروب الردة ، لاسيما عند قتال مسيلمة الكذاب ، والثانية: أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه وكانت بمعنى النسخ لا الجمع ، وذلك بسبب اختلاف ألسن القوم فى النطق بالقرآن (١).

الوقفة الثانية:

يقول ص/ ٩ : "وقد دون الحديث فى وقت متأخر فى أواخر القرن الثانى الهجرى بدقة تامة اتبعت فى نقله".

والتعليق: لابد لنا وأن نعلم أن فرقا كبيرا بين الكتابة والتدوين ، فإن التدوين - أى تدوين العلوم الإسلامية وجمعها جميعا فى مصنفات تخصصية - لم يكن إلا فى وقت متأخر عن الكتابة ولا نريد أن يذهب بنا الوهم لنظن أن الصحابة كانوا مأمورين بعدم كتابة الحديث ، بل إن الأحاديث التى وردت فى ذلك كانت خشية الخلط بالقرآن ثم تلاها أحاديث الجواز ، فنسخت الأخيرة الأولى ؛ وذلك لأن النسخ هو نسخ حكم سابق بحكم لاحق له بدليل شرعى ظاهر (٢)، وقد ظهر الدليل ،

---

(١) يراجع العواصم من القواصم للقاضى أبى بكر ابن العربى (ص٦٦-٧١) ففيه فوائد سنوضحها فى حينها.

(٢) انظر الغزالى ، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ): **المستصفى من علم الأصول** (١/ ١٠٧) دار الكتب العلمية ، بيروت ، المصورة عن الطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٢٢هـ ، وأيضا للشوكانى ، محمد بن على (ت ١٢٥٥هـ): **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول** (٢/ ٧٨٣، ٧٨٥) تحقيق/ سامى العربى ، دار =

وهذا ما كان عليه الصحابة والأدلة على هذا كثيرة ، منها، حديث عتبان بن مالك وفيه: " قال رسول الله ﷺ : لا يشهد أحدٌ أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فيدخل النار أو تَطْعَمَهُ. قال أنس: فأعجبنى هذا الحديث فقلت لابنى: اكتبه . فكتبه " (١).

قال الإمام النووي معلقا على الحديث: وفى هذا الحديث أنواع من العلم تقدم كثير منها، وأخذ يعدد بعض فوائده، إلى أن قال: وفيه جواز كتابة الحديث وغيره من العلوم الشرعية لقول أنس لابنه: اكتبه ، بل هى مستحبة ، وجاء فى الحديث النهى عن كتب الحديث وجاء الإذن فيه ، فقيل: كان النهى لمن خيف اتكاله على الكتاب وتفريطه فى الحفظ مع تمكنه منه. والإذن لمن لا يتمكن من الحفظ ، وقيل: كان النهى أولا لما خيف اختلاطه بالقرآن والإذن بعده لما أمن من ذلك. وكان بين السلف من الصحابة والتابعين خلاف فى جواز كتابة الحديث. ثم أجمعت الأمة على جوازها واستحبابها. والله أعلم (٢)أ.هـ محل الغرض منه بلفظه.

الوقفة الثالثة:

وعند حديث الدكتور عن المصادر الأصلية التى يستقى حضرته منها مادته العلمية يقول: ص/ ٢ ونعتمد أيضا على ما ألفه المؤرخون الأوائل فى

=الفضيلة، الرياض ، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى في مواضع (١١٨٦، ٥٤٠١، ٦٤٢٣، ٦٩٣٨) ومسلم (٣٣) ، ومحل الشاهد عند مسلم.

(٢) انظر مسلم بشرح النووى ١/ ٢٠٥-٢٠٧ ط الشعب تحقيق: عبد الله أحمد أبو زينة. وهذه المسألة تحتاج إلى بسط مودع في كتابنا: **كفاية القارى بتفسير كلام البارى** (المقدمة) دار الدعوة الإسلامية ، المنصورة ، ط١ - ١٤٢٠هـ=٢٠٠١م.

المغازى والفتوح ... ولدينا منه عدة كتب هامة ، ويعتبر أبو عبد الله محمد المعروف بالواقدى (توفى ٢٠٦ أو ٢٠٧هـ) (٨٢١ أو ٨٢٣م) أقدم من ألف فى هذا الموضوع ومن كتبه "كتاب التاريخ والمغازى والمبعث".

الـرد:

من المهم جدا أن تكون المصادر التى يعتمد عليها المرء قوية وصحيحة بحيث تصير هى المعين الحقيقى الذى لا تكدره الدلاء ولا تعكر صفوه الشوائب ، فيتغذى فى أمن ويشرب فى دعة ويسر ، أما إذا كانت مصادر الإنسان فيها الخلل والعيب والنقص فهو كمن يشرب من عين كدرة ويأكل من طعام فاسد. والدكتور - هداه الله - الظاهر فى كلامه أنه مقلد كبير ويا ليته يقلد بحكمة بل إنه يقلد دون تمييز لغث أو سمين ، فهو كالقماشين الجامعين الذين يدورون على الحوانيت فيشترون أفسد ما فيها ويَتَّجِرون فيه، وهنا لا أكون متحاملا ، فإنى أسرد دليلى فى ذلك أولا وهو الفقرة المبينة أعلاه ، إنه يعتمد على ما يقوله محمد الواقدى ، ولا يدرى من هو الواقدى هذا؟ ولكن بفضل الله سأبين - بأقوال العلماء الراسخين فى الجرح والتعديل - من هو:

يقول المحدث العلامة الألبانى فى ترجمة هذا الرجل من طريق الحافظين الذهبى وابن حجر: قال الإمام الذهبى فى كتابه "الضعفاء والمتروكين": محمد بن عمر بن واقد الواقدى ، قال النسائى: يضع الحديث. وقال ابن عدى: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه". وقال الحافظ ابن حجر فى "التقريب": "متروك مع سعة علمه" - يعنى أنه شديد الضعف فى الرواية.أ.هـ محل الغرض منه بلفظه.

وفى الهامش: وقد اتهمه الإمام الشافعى وأبو داود وأبو حاتم وقال أحمد: كذاب [1]. أ.هـ. بتصرف.

وكذلك:

قال الإمام النسائى فى كتاب "الضعفاء والمتروكين" تحت رقم ٥٣١: محمد بن عمر الواقدى، متروك الحديث [2].

وقال الإمام البخارى فى كتاب "الضعفاء" تحت رقم ٣٣٤: محمد بن عمر الواقدى: قاضى بغداد، عن مالك ومعْمَر، متروك الحديث. مات سنة تسع ومائتين أو بعدها بقليل [3].

الوقفة الرابعة:

يتحدث عن غزوة بدر ص ٥٩، ٦٠، فيقول فيها: كان المسلمون والمكيون منذ السنة الأولى للهجرة فى حالة حرب ... وبلغ الرسول ﷺ أن قافلة للمكيين راجعة من الشام فعزم على اعتراضها عند بدر، فخرج فى ثلاثمائة أو يزيدون قليلا بعد أن احتاط لكتمان خروجه باتباع طريق فرعية وبإرسال العيون لاستطلاع أخبار المكيين، ولم يكن المكيون غافلين عن مقاصد الرسول، ولذلك كان عددهم فى تلك القافلة نحو ألف رجل مما يزيد على حاجة القافلة إلى الرجال فى الأحوال العادية زيادة كبيرة. ومعهم

---

(١) انظر دفاع عن الحديث النبوى لفضيلة العلامة الألبانى ص/ ٢١ .

(٢) محمود إبراهيم زايد: تحقيقه للضعفاء والمتروكين للنسائى ص/ ٩٣، ط دار الوعى بحلب.

(٣) محمود إبراهيم زايد: تحقيقه للضعفاء والمتروكين الصغير للإمام البخارى ص/ ١٠٤، ط دار الوعى بحلب.

زعيمهم أبو سفيان شيخ بنى أمية. ويبدو أن الرسول قد أدرك أن اللقاء فى معركة مكشوفة مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المكيين غير محمود العاقبة، فأمر الرسول جماعات من المسلمين بالهجوم على الإبل المحملة لكى يهتم كل تاجر بالدفاع عن تجارته فيقع الاضطراب فى المكيين وتختل صفوفهم ويستحيل عليهم حينئذ أن ينتظموا فى معركة يستطيعون أن يتغلبوا فيها على المسلمين أو أن يدافعوا فيها عن أنفسهم، وهكذا روت لنا المصادر التاريخية أنه لم يستشهد من المسلمين سوى أربعة عشر رجلا ..." أ.هـ محل الغرض منه بلفظه.

الـرد:

أقول وبالله التوفيق: إن هذا الكلام غريب عجيب لا أدرى - على حد علمى - مصدر هذا الكلام الذى يخالف المأثور، وفى هذا الكلام نكتة سوداء ينبغى أن أجليها بمدد وعون من الله وهى تعليق النصر فى بدر بخطة النبى ﷺ بالهجوم على قافلة التجار حتى يلهو كل تاجر بتجارته، أقول فى هذا الكلام إنه فاسد ولم يحدث ذلك، بل إن الوارد صحيحا فى كتب من يعتد بهم من العلماء والمؤرخين بل وقبلهم فى القرآن والسنة، أن الله عز وجل أنزل ملائكة تحارب مع المسلمين وتثبتهم، والدليل على ذلك:

١- قال الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٦].

" وأنتم أذلة: أى وأنتم قليلو العدد لتعلموا أن النصر من عند الله ، إذ تقول للمؤمنين ... الآية روى ابن أبى حاتم عن الحسن فى قوله: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ قال: هذا يوم بدر ، مسومين: أى لهم علامات وأمارات وتروى فى ذلك أحاديث نذكر منها أن عليَّ بن أبى طالب رضي الله عنه قال: كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض ، وكان سيماهم أيضا فى نواصى خيولهم. رواه ابن أبى حاتم ، وقيل كانت الملائكة تلبس عمائم أرسلوها على ظهورهم "[1].أ.هـ بتصرف شديد. وذلك كله لتثبيت المسلمين.

٢- ويتحدث ابن اسحاق عن غزوة بدر ؛ فبعد أن ذكر استطلاع المسلمين لخبر القافلة وخروج المسلمين بعد ندبهم لها النبى ﷺ يتحدث عن نجاء قريش فيقول: وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فقال لمجدى بن عمرو: هل أحسست أحدا ؟ فقال: ما رأيت أحدا أنكره ، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا ، فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيرهما ففته ، فإذا فيه النوى ، فقال: هذه والله علائف يثرب فرجع إلى أصحابه سريعا. فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها ، فترك بدرا بيسارٍ وانطلق حتى أسرع.

قال ابن اسحاق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش أنكم قد خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ؛ فقد نجاها الله ، فارجعوا. فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدرا - وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام - فنقيم عليه ثلاثا

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٠٠-٤٠٢).

فننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فامضوا... ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى (١)... الخ كلامه (قلت: وأين أبو سفيان؟ أَتَزَّعمَ القومَ وهاجم بهم المسلمين؟ وهل كان المشركون فى هذه المعركة رجال القافلة؟ سبحان الله!).

ثم ابتدأت المعركة وحمى وطيسها وكان النبى ﷺ يدعو الله عز وجل ويقول: " اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد " (٢) فأنزل الله عز وجل الفرج - الملائكة - فكانت ثباتا وسكينة. قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن ابن عباس قال: حدثنى رجل من بنى غفار قال: أقبلت أنا وابن عم لى حتى أصعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننهب مع من ينتهب قال: فبينما نحن فى الجبل إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم (*) فأما ابن عمى فانكشف كقناع قلبه ، فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت. ثم أخذ يروى الروايات التى تفيد نزول الملائكة مع المؤمنين فى غزوة بدر " (٣).أ.هـ محل الغرض منه بتصرف شديد.

وأجمع العلماء على مدد الله عز وجل المؤمنين بالملائكة فى بدر واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال : ٩] وقد تحقق ذلك والحمد لله والمنة ، والنصر

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٨٨-٢٠٣ وانظر فقه السيرة د. سعيد البوطى ط٧ دار الفكر ص ١٦٨، ١٦٩ ، وانظر أيضا زيادات قليلة زاد المعاد ٢/ ٨٥-٩٠ .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٣) .

(*) حيزوم: هو فرس جبريل عليه السلام.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٨٨-٢٠٣ .

بيده والخير والفضل منه وإليه.

مما سبق نقف على الحق الذى لا مراء فيه وهو أن الله سبحانه أعز رسوله وجنده بتمسكهم وتوكلهم على الله : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد : ٧].

وقد نصر الله عز وجل جنده بملائكته وذلك ثابت كما قدمنا ، فكانت الهزيمة والدائرة على الكفار الذين خذلهم الله عز وجل ، فلم يحدث قط أن النبى ﷺ أمر صحابته أن تهاجم القافلة فيهتم كل تاجر بالدفاع عن تجارته فيقع الاضطراب فى المكيين - على حد زعمه - لم يحدث ذلك البتة ، ولكن ما حدث هو ما بيناه آنفا مختصرا.

وأنا إذ كنت أبحث فى هذه الجزئية كنت أتمنى أن أجد مستندا للدكتور يقف عليه فلم أجد إلا أنه أحد أمرين :

(١) إما أنه ينقل عن مصادر غير موثوقة ولا مؤهلة للبحث العلمى الشريف وذلك لما يقع فى صدورهم من حقد وتحامل على الإسلام والمسلمين.

(٢) أو هو الظن والتخمين القائم على الهوى الفاسد.

ولا ثالث لهما ، وكلاهما فاسد نسأل الله عز وجل العافية فهو نعم المولى ونعم النصير.

الوقفة الخامسة:

وفى حديثه عن غزوة الخندق قال فى ص ٦٦ : وكذلك فقد أسلم فى هذه الفترة فيما بعد (الخندق وقبل صلح الحديبية) كلٌّ من عمرو بن العاص

وخالد بن الوليد.

الـرد:

نقول وبالله التوفيق: إن الثابت فى المرويات التاريخية أن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما قد أسلما قبل فتح مكة وبعد صلح الحديبية لا بعد الخندق وقبل الصلح ، وليس هذا الكلام من زعمى بل هذا هو الحق الذى يدعمه التاريخ الصحيح ومن هذه الأدلة المدعمة ما ذكره ابن إسحاق قال بسنده إلى عمرو بن العاص قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش ، كانوا يرون رأيى ... الخ كلامه وفيه ذهابه إلى النجاشى وإسلامه على يد النجاشى ثم خروجه من عند النجاشى إلى الرسول ﷺ .

فيقول: " ثم خرجت عامدا إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل فتح مكة وهو مقبل من مكة فقلت: إلى أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم ، وإن الرجل لنبى ، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ " [1] أ.هـ محل الغرض منه.

ونحن لا نشطط إذا قلنا بل إن خالدا رضي الله عنه كان شديد الوطء على المسلمين ونرى ذلك جليا فى غزوة أحد حين كر بالخيل على المسلمين.

وتتجلى مواقف خالد العدوانية نحو الإسلام فى أنه كان على رأس الذين يريدون مهاجمة الرسول ودفعه عن دخول مكة وذلك قبيل صلح

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٠-٢٠٣ ط. دار التراث العربى ت: د. أحمد حجازى السقا.

الحديبية ، وهذا ما يقرره الدليل التاريخى ، وهذا الدليل التاريخى تتوافر كتب التاريخ على نقله ونحن سنذكر ما قاله ابن إسحاق. قال الزهرى: وخرج [1] رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى - قال ابن هشام: ويقال بسر - فقال: يا رسول الله هذه قريش ، قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل [2]، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم ، قال: فقال رسول الله ﷺ : يا ويح قريش: لقد أكلتهم الحرب ...] [3] أ.هـ محل الغرض منه بلفظه.

وإذا رجعنا إلى قصة إسلام خالد كما يرويها هو عن نفسه سنعلم أنه قد أسلم بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة وهو يذكر ذلك فيقول: [لما أراد الله بى من الخير ما أراد: قذف فى قلبى حب الإسلام وحضر فى رشدى، وقلت: قد شَهِدتُ هذه المواطن كلها على محمد ، فليس موطن أشهده إلا وأنصرف وإنى أرى فى نفسى أنى مُوضِعٌ فى غير شىء ، وأن محمدا سيظهر فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت فى خيل المشركين ، فلقيت رسول الله ﷺ فى أصحابه بِعُسْفَان فقمت بإزائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر إماما، فهممنا أن نغير عليه ثم لم يُعزَم لنا ... فلما صالح قريشا بالحديبية ودافعت قريشٌ بالراح قلت فى نفسى: أى شىء بقى؟ أين المذهب؟ أإلى

---

(١) وذلك كان عام الحديبية عندما كان يريد زيارة بيت الله الحرام وكان آخر السنة السادسة من هجرته ﷺ .

(٢) العوذ: جمع عائذ وهى من الإبل الحديثة النتاج ، والمطافيل: التى معها أولادها ، يريد أنهم خرجوا معهم النساء والصبيان.

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٣٠ ط. دار التراث العربى.

النجاشى؟ فقد اتبع محمدا، وأصحابه آمنون عنده، أفأخرج إلى هرقل؟ ... وبينما أنا كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فى عمرة القضاء، وتغيبت فلم أشهد دخوله ... [وعند ذهابه للمدينة للإسلام] يقول: فغدونا (١) حتى انتهينا إلى الهدَّة، فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال: مرحبا بالقوم. قلنا: وبك، فقال: أين سيركم؟ قلنا: ما أخرجك؟ قال: فما الذى أخرجكم؟ قلنا الدخول فى الإسلام واتباع محمد. قال: وذاك الذى أقدمنى، فاصطحبنا جميعا حتى قدمنا المدينة فأنخنا بظاهر الحرَّة ركائبنا، وأخبرنا رسول الله ﷺ فسر بنا ...] (٢) أ.هـ محل الغرض منه بلفظه.

أقول: والظاهر من الكلام السابق أن خالدا وعَمْرًا لم يسلما بعد الخندق وقبل صلح الحديبية ولكن الحق أنهما أسلما قبيل فتح مكة، وبذلك لا أذهب مذهبا بعيدا لو قلت وما سوى ذلك باطل ولا أساس له من الحق ولا دليل يدعمه، بل من العجيب أن نجد أن الدكتور ذاته يقرر ما قررناه هنا فى موضع آخر فى مذكرته فيقول فى معرض حديثه عن صلح الحديبية وما ترتب عليه من آثار فيقول فى ص ٦٨ : " ... كما أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص - كما سبق أن ذكرنا - وذهبا (٣) إلى المدينة وأسلما على يدى الرسول ﷺ ".أ.هـ محل الغرض منه بلفظه.

فلا أدرى ما هذا التناقض الغريب الذى يقع فيه رجل يدعى البحث العلمى والسعى وراء الحقيقة!!

---

(١) غدونا: أى غدا خالد وعثمان بن أبى طلحة لأنه كان مرافق خالد فى سفره ذلك وقد أسلم معه.

(٢) انظر لابن هشام: السيرة النبوية (٣/ ١٧٢-١٧٤) ط. مكتبة الإيمان بالمنصورة.

(٣) فى أصل المذكرة (وذهب) ولكن الصواب (وذهبا).

الوقفة السادسة:

وفى حديثه عن صلح الحديبية يقول ص ٦٦ ، ٦٧: " وقد احتج على عقد هذه الهدنة نفر من المسلمين فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب ، ولكن الرسول أقنعهم بصواب عقد الهدنة فى ذلك الحين ... " .

الـرد:

أقول: لم يحدث قط أن أبا بكر وعمر ونفرًا من المسلمين اعترضوا على عقد الهدنة ، بل إننا نجد أن بعض المصادر التاريخية تشير إلى أن أبا بكر وعمر وغيرهم من المسلمين والكافرين كانوا شاهدين على هذا العقد وفى ذلك يقول ابن إسحاق [فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبى وقاص ومحمود ابن مسلمة ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك وعلى بن أبى طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة] (١) أ.هـ محل الغرض منه بلفظه.

فكيف إذا يمتعض أبو بكر وعمر ونفر من الصحابة من هذا العقد وهم شهود عليه؟ أأجبرهم النبى ﷺ على الموافقة؟ فإن كانت فهذا والله لهو القهر والظلم والاستبداد الفكرى القائم على الرأى الواحد.

ولكن الحق أن النبى ﷺ هو المؤيد بالوحى فلا ينطق عن الهوى ولا يجوز لأحد كائنا من كان أن يخالف أمرا رآه النبى ﷺ ، ولكن ما حدث من اعتراض ليس من أبى بكر ، بل إن الثابت أن أبا بكر كان من أرسخ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٣٧ ط. دار التراث العربى.

الرجال، وأصدق الرجال بالمصطفى الكريم ﷺ وسوف نورد الأدلة على ذلك فالزم.

ولكن الحق أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد ثار وفعل الأفاعيل ليس لمجرد الصلح ولكن ثمت أشياء أثارته منها أنه كان يأمل أن يعتمر المسلمون ويطوفوا بالبيت ، فلما لم يحدث ذلك حزن وثار ولكن في النهاية سلم لما رآه النبي ﷺ ويدل على ذلك ما ثبت [1] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " فأتيت النبي ﷺ فقلت ألست نبي الله حقا؟ قال: بلى ، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى ، قلت: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى ، قلت: ففيم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ، قلت: أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟ قلت: لا ، قال: فإنك آتيه ومطوف به. فلم يصبر حتى أتى أبا بكر رضي الله عنه فسأله مثل ما سأل النبي ﷺ فقال له يا ابن الخطاب ، إنه رسول الله ولن يعصي ربه ولن يضيعه الله أبدا. فما هو إلا أن نزلت سورة الفتح على رسول الله ﷺ فأرسل إلى عمر فأقرأه إياها. فقال: يا رسول الله ، أو فتحٌ هو؟ قال: نعم ، فطابت نفسه " [2].أ.هـ وفي الزاد [3] نفس القصة وفي أولها قول عمر " والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ فأتيت النبي ﷺ... " الحديث بتغيير قليل.

إذن وجدنا أن عمر رضي الله عنه قد ثار عندما علم أنه لن يعتمر في هذا العام مع أن النبي ﷺ وعده – دون أن يحدد له الزمن – أن المسلمين سيطوفون

---

(١) راجع البخاري (٢٧٣١).

(٢) البوطي : فقه السيرة ص/ ٢٤٧ .

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ): زاد المعاد في هدى خير العباد (٣/ ٢٦٢) تحقيق:شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٤ – ١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م.

بالبيت الحرام.

ووجه الثورة عند عمر رضي الله عنه هو التشكك الذى عراه كيف يعدهم الرسول ﷺ بأمر لن يحدث؟ وبسبب مَنْ لن يحدث هذا الوعد؟ بسبب حفنة من المشركين الموتورين!! كل هذا أثار عمر رضي الله عنه وجعله يقدم على ما أسلفنا بيانه ، ولعلك تلحظ صدق ما قلناه من خلال المناقشة التى دارت بينه وبين النبى ﷺ، وبينه وبين أبى بكر رضي الله عنه ، وكيف كان حاله عندما نزل القرآن يبشر المؤمنين ليس بدخول مكة فحسب بل بالفتح أيضا ؛ لذلك نجد فى الحديث " ... فطابت نفسه " مما يدل على أن الأمر الذى به لم تطب نفسه: قد زال وانمحى ، وهذا ظاهر لأصحاب العقول الواعية.

أما ما ورد عن ثورة عمر رضي الله عنه لخلاف ذلك، إنما هى أشياء فرعية، وهى لا تعدو مجرد مواقف معينة معدودة لمن يفعلها ، تدل على حيوية الإيمان والأخوة الصادقة (١) ، وليس فيها أدنى برهان لكى نقول إن هناك بنودا رفضها عمر رضي الله عنه فى الاتفاقية مما جعله يفعل ما فعل ، بل كل ما فى

---

(١) من ذلك أنه عندما جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، رده المسلمون حسب العقد ، " فجعل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين ، أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم ، قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ، ويقول: اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دب كلب ، قال: ويدنى قائم السيف منه ، قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، قال: فضن الرجل بأبيه. ونفذت القضية " أ.هـ محل الغرض منه بلفظه ، انظر السيرة لابن هشام ٣/ ٢٣٧ ط. دار التراث العربى.

الأمر هو ما قدمناه آنفا.

ومما سبق أيضا نعلم تماما أن أبا بكر ﷺ لم يعترض على العقد ولم يرد ما يدل على ذلك ، بل على العكس كان تام التأييد حتى نجده يحاول إقناع عمر ﷺ وتهدئته.

الوقفة السابعة:

يقول حضرة الدكتور أثناء حديثه عن سَرية مؤتة ص ٦٩: " ولا ريب فى أن معركة مؤتة كانت هزيمة شديدة للمسلمين " .

الـرد:

قال الإمام ابن القيم: " وقد ذكر ابن سعد أن الهزيمة كانت على المسلمين ، والذى فى صحيح البخارى أن الهزيمة كانت على الروم والصحيح: ما ذكره ابن إسحاق أن كل فئة انحازت عن الأخرى ... " (١) أ.هـ هو محل الغرض منه

ولكنى أقول: " وأرجح ما ذكره الإمام البخارى وذلك لعدة اعتبارات ، هى:

١- عدم تكافؤ كلا الجيشين فالروم مائتا ألف والمسلمون ثلاثة آلاف فقط ، وهذا ما ذكرته بعض المصادر ، الروم معهم أسلحتهم وآلياتهم ومترسون تترسا جيدا ، بينما المسلمون فى قلة من هذه الوسائل ، الروم على مسافة قريبة من مراكز إمدادهم حيث كانت المعركة بالشام وهى ولاية رومانية آنذاك ، بينما كان بين المسلمين ومركز إمدادهم مئات الأميال فى الفيافى والصحراء ، وهذا كله مما يجعل طلب المسلمين المدد سريعا من أعسر

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٣٨).

ما يمكن!!! ومن هنا تكون كفة الروم هى الظاهرة على كفة المسلمين.

ولكن نرى أن المسلمين استطاعوا أن لا يمكنوا عدوهم منهم ، بل ردوه ودفعوه وأرهبوه ، فالمسلمون حين انسحابهم لم يجرؤ الروم أن يتبعوهم لخشيتهم إياهم والخوف منهم ، أفلا يعد هذا الانحياز والانسحاب المظفر انتصارا؟! نعم إن المسلمين قد انحازوا ولم يحرزوا النصر بمفهومه المتبادر إلى الأذهان لكنهم أحرزوا النصر بثباتهم وعدم خوفهم من هذه الجحافل الجرارة ، وبذا لا يكون هناك تعارض بين رأيي البخارى وابن إسحاق ، فالمسلمون قد انحازوا وهذا هو النصر ؛ وذلك كما يقول الأستاذ العقاد فى موقف خالد فى سرية مؤتة: " فاتفقت الكلمة على خالد بن الوليد فإذا هو يتولى القيادة فى حينها ، ويضع لساعته خير ما يصنع فى ذلك الحين. وخير ما يصنع فى ذلك الحين هو الارتداد المأمون ... وهو أصعب من النصر فى بعض المآزق ؛ لأن النصر ميسور مع اجتماع العدة له واحتمال الشدة فيه ، ولكن الارتداد المأمون غير ميسور لكل من يريده ... " (١) أ.هـ

٢- أن هذا البعث كان نصرا مؤزرا من حيث نتائجه ، فهو أول تصادم بين جيش المسلمين وجيش الروم الضخم اللجج ، ولم يستطع فيه الروم التغلب - مع كثرة العدد والعدة - على المسلمين ، وأدى ذلك إلى كسر الحجاب النفسى بين العرب والروم ، إذ إن العرب كانت تهاب بنى الأصفر (الروم). فإذا كانت العرب قد كسرت الفرس فى " ذى قار " فإن المسلمين قد فَلُّوا عَضُد الرومان - وهم أقوى وأعتى من الفرس - وكسروا كبرياءهم.

٣- كان لهذا البعث نجاح كبير فى الجزيرة العربية حيث تسامعت

---

(١) عبقرية خالد ص/ ٧٣-٧٨ ط الوزارة سنة ١٩٧٠م .

القبائل بجيش محمد الصغير الذى وقف شامخا كالجبل الأشم أمام هذا السيل الجارف والطوفان المستعر من الروم ، وقفوا أمامهم بشجاعة وصلابة وإيمان وعقيدة ، تسامعت القبائل بذلك فهابت محمدا ، بل إن هذا مكن لدين الله عز وجل فى قلوب الضعفاء ، كما مكن لدين الله عز وجل فى شتى قبائل الجزيرة العربية.

٤- أخرج البخارى فى الجنائز (٢/ ٩٢) ، وفى الجهاد (٤/ ٢١) ، وفى (٤/ ٨٨) وفى علامات النبوة (٤/ ٢٤٩) وفى فضل خالد (٥/ ٣٤). وفى المغازى (٥/ ١٨٢) من طريق أيوب عن حميد بن هلال عن أنس قال: خطب النبى ﷺ فقال "أخذ الراية زيد فأصيب ... الحديث وفيه فأخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له.

وموضع الشاهد: قوله ﷺ ففتح له. وقد رجح الحافظ فى الفتح عند شرحه لحديث أنس هذا فى المغازى هذا القول بأدلة قوية ، منها: أن ابن عمر أخبر أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل قال: فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء فى ظهره [1].

وقال أيضا: "كنت فيهم فى تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبى طالب ووجدنا ما فى جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية [2]. والجمع أنه - أى ابن عمر - عد بنفسه خمسين وأكمل غيره العد حتى وجدهم تسعين. والشاهد أنهم ما كانوا ليقفوا ليلتمسوا جعفر ويعدوا فيه كل هذه الطعنات والرميات وهم مهزومون مطلوبون ...!!

---

(١) أخرجه البخارى فى المغازى.

(٢) رواه البخارى (٥/ ١٨٢).

إذن نستطيع أن نقول: " إن هذا البعث كان نصرا مؤزرا من عند الله عز وجل لجنوده المخلصين المحتمين به المتوكلين عليه ، وكان له صدى واسع فى بقاع كثيرة وذلك كما وضحنا " .

وبعد ، فهناك عشرات الوقفات مع هذه المذكرة فى تاريخ الدولة الإسلامية ، وكانت هذه القراءة النقدية بعرض هذه الوقفات أنموذجا لما لم يذكر ، وبيانا لخطورة دراسة التاريخ الإسلامى دون وعى أو بحث أو دراسة ، أو أن نسلم أنفسنا لمقاود المغرضين لندلف معهم إلى تزييف الحقائق وتزوير الوقائع ، والله المستعان.

** ** **

المبحث الرابع

منهجية دراسة السيرة النبوية

سيرة الرسول ﷺ تمثل صفحة غير مطوية ، آثارها باقية ، ودلالاتها واضحة ، ولا خير في أمة لا تاريخ لها ، وقد كتب تاريخ هذه الأمة أئمة بذلوا جهدهم واستفرغوا وسعهم في جمع كل ما علموه ، دون تمحيص أو تدقيق سطروه ونقلوه ، ولم يميِّزُوا بين الصحيح والموضوع المختلق ، تاركين ذلك للقارئ ، ظانين أنهم قد أدوا ما عليهم ، ويمكن أن ندلل على هذا بإيرادهم قصة "الغرانيق" بمكة ، ومفادها أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم : ١٩] قرأها رسول الله ﷺ فألقى الشيطان عليه: "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترجى" وسجد رسول الله ﷺ وسجد المشركون معا ... الخبر.

إن هذه القصة قد ذكرتها بعض المصادر التاريخية دون تعليق [١]، وهمزتها مصادر أخرى [٢]، وقد بَيَّن فسادها سندا بعد ذكر طرقها وأسانيد

---

(١) انظر مثلا: الطبري ، محمد بن جرير (٣١٠هـ): **تاريخ الأمم والملوك** (١/ ٥٥٠-٥٥٢) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣-١٤١١هـ=١٩٩١م وانظرها أيضا عنده في تفسيره: جامع البيان عن تأويل آى القرآن (١٧/ ٢٤٤-٢٤٩).

(٢) كصنيع القرطبي ، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ): **الجامع لأحكام القرآن** =

رواياتها الألباني [1]، ثم بَيَّن بطلانها متنا بنقول أهل العلم بالتفسير كابن العربي والقاضي عياض والشوكاني ، والكلام يدور حول عصمة الأنبياء في معظمها [2]، أيضا نقدها الشيخ رشيد رضا بأن جَمَعَ مرويات هذه القصة وبَيَّن فسادها رواية ودراية [3]. وهناك من بَيَّن فسادها باتباع المنهج السياقي اللغوي والثقافي [4].

وهذه القصة كنموذج على ما حفلت به كتب الأخبار والمغازي والسير من الأخبار الهالكة والباطلة ، وقَلَّ أن يعمد المؤرخ المسلم - غالبا - إلى نقدها أو همزها ، شأن أهل التخصص بالحديث ، يقول ابن تيمية عن أهل الحديث: إنهم "يُسْنِدون ما ينقلونه عن الثقات أو يرسلونه عمن يكون مرسله يقارب الصحة بخلاف الإخباريين ، فإن كثيرا مما يسندونه عن كذاب أو مجهول ، وأما ما يرسلونه فظلمات بعضها فوق بعض" [5]، ولذلك " رُبَّ رجل مجروح عند أهد الحديث وهو ثقة عند أهل السير ، وهذا

=(١٤/ ٤٢٤-٤٢٨) تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م وأيضا ابن كثير: **البداية والنهاية** (٤/ ٢٢٣) حيث قال: " وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحا " .

(١) الألباني: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق (ص/ ٤-١٨) ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط٢-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

(٢) الألباني: **نصب المجانيق** ص/ ٢٦-٣٨ .

(٣) رشيد رضا: **مجلة المنار** (٤/ ٨١-٩٩) مصر - ١٣١٨هـ=١٩٠١م.

(٤) انظر لمحمد حسين هيكل: **حياة محمد** ص/ ١٨٠ .

(٥) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى** (٢٧/ ٤٧٩) ، طباعة ورثة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الرياض ، ط١-١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

يرجع إلى اختلاف الغَرَضَيْن ... [1].

ومع هذا ، فإن دفق المنهج الإسلامي في كتابة التاريخ كان مستمرا معتمدا على المادة الإسلامية الخالصة ، نعم يشوبها كثير من الأساطير والخرافات ، نعم يكتنف أخبارها المسندة كثير من الأباطيل والأراجيف ، لاسيما حول الشخصيات المؤثرة البارزة فى تاريخ الأمة ، نعم اختلطت فيها المرويات بالأحدوثات بالأساطير والخرافات ، وقلّ أن تجد على مدار تاريخ الأمة كتابا محققا منقحا فى التاريخ!!!

ولله در هذا المؤرخ الاجتماعى المسلم " ابن خلدون " حيث قال: " وإن فحول المؤرخين فى الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجموعها ، وسطروها فى صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخلفها المتطفلون بدسائس من الباطل وهِمُوا فيها وابتدعوها ، وزخارف من الروايات المُضْعَفَة لنقوها ووضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وأَدَّوْها إلينا كما سمعوْها ، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يُراعوها ، ولا رفضوا تُرَّهات الأحاديث ولا دفعوها ، فالتحقيق قليل ، وطرف التنقيح فى الغالب كليل ، والغلط والدهم نسيب للأخبار وخليل ، والتقليد عريق فى الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون عريض طويل [2].

فمع أن للمسلمين جهابذة وفحولا كتبوا فى التاريخ ، إلا أنهم لم يحققوا ولم يدققوا ولم يمعنوا النظر ، بل اكتفوا بإيراد ما وصلهم مسندا تارة وتارة غير

---

(١) د. محمد محمد أبو شهبة: **السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة** (١/ ٣٤).

(٢) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ): **مقدمة ابن خلدون** ص/ ٤ ، دار القلم ، بيروت ، ط٥-١٩٨٤م.

مسند ، وما جمعوه كم هائل ضخم ، إن هذا الاتساع فى كمية المادة ، وهذا التنوع فى التصنيف التاريخى له: من الأسباب التى جعلت المؤرخ المسلم يجعل همه في رصد كل ما وصل إليه دون تدقيق ، ليجعل أمر التدقيق إلى المنقول إليه ، ليكون هذا جهد رجال العلم ونقد الرجال تارة ، وجهد العقلاء أرباب العقول وأصحاب الْحِجَا ثانية.

هذه السمات نجدها عند كل المؤرخين - غالبا - من أول من دوَّن التاريخ الإسلامى إلى الصِّديق المصرى ، محمد بن أبى الحسين على بن عبد الرحمن (ت ١٠٢٨هـ) الذى أرخ للدولة العثمانية فى أكثر من كتاب ، ككتاب " فيض المنان فى دولة آل عثمان " ومن كتبه " الكواكب السائرة فى أخبار مصر والقاهرة " . والجبرتى ، عبد الرحمن بن حسن الحنفى المصرى (ت ١٢٤١هـ) ، وكان من أذكياء أهل مصر وأعظم مؤرخيهم ، أرخ فى موسوعته لأهل مصر من أول القرن الثانى عشر الهجرى (١٢٠٦هـ) إلى (١٢٣٦هـ) وهى فترة أواخر العصر المملوكى والاحتلال الفرنسى لمصر ثم ولاية محمد على باشا ، وهذه الموسوعة سماها " عجائب الآثار فى التراجم والأخبار " ، وقد استفاد من أستاذه اليمنى السيد مرتضى الزبيدى صاحب كتاب " تاج العروس " ، وتقع هذه الموسوعة فى أربعة مجلدات ، وطبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٢٩٧هـ=١٨٨٩م ، ثم صودرت نسخه وأعدم الباقى ، وأعيد نشره بعد ذلك بمطبعة الأنوار المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٨٦م.

مرورا بالنويرى ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم الشافعى المصرى (ت ٧٣٢هـ) ومن كتبه العظيمة " نهاية الأرب فى فنون الأدب " وهو موسوعة فى التاريخ والفقه والأدب والاجتماع والجيولوجيا والفلك

وسائر ذلك من العلوم ، والقلقشندى ، أحمد بن على بن أحمد المصرى الشافعى (ت ٨٢١هـ) ومن كتبه: موسوعته فى التاريخ والأدب واللغة والتراجم " صبح الأعشى فى كتابة الإنشا " وهو مطبوع فى أكثر من ثلاثة عشر جزءا ، و " نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب " ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة برلين. وابن حجر العسقلانى ، أحمد بن على بن محمد الشافعى المصرى (ت ٨٥٢هـ) وله كتب كثيرة فى التراجم والرجال والتاريخ، ومن هذه الكتب: "الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة" فى عدة مجلدات ، والسخاوى ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر الشافعى المصرى (ت ٩٠٢هـ) وهو من تلامذة ابن حجر العسقلانى ، وكان لاذع العبارة ، ومن أعظم مؤلفاته " الضوء اللامع فى علماء القرن التاسع " ، والذيل على دول الإسلام للذهبى ، ومنتقى تاريخ مكة. والسيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد الخضيرى الشافعى المصرى (ت ٩١١هـ) ، وقد جلس للإفتاء فى الخامسة والعشرين وقد تبحر فى العلوم وسائر الفنون ، وكان لانقطاعه الكامل للعلم طلبا وبحثا وتحريرا وتحقيقا: أثر واضح فى موسوعية معارفه ومصنفاته ، ولو وزع ما كتب هذا الإمام على أيام عمره ، لكان نصيب كل يوم من جملة ما كتب ما يساوى أربعين ورقة!!! ومن جملة مصنفاته "تاريخ الخلفاء" - مطبوع - و "تاريخ الصحابة" أشار إليه فى مصنفاته [1].

ويبس نبع الدرس التاريخى فى بلاد المسلمين خلال القرن الثالث عشر

---

(١) انظر فى هذا كله ، شاكر مصطفى: **التاريخ العربى والمؤرخون** ج١ ، ج٢ ، ج٣ (بالتمام) .

الهجرى ، لنجد جهد المستشرقين الذين [١] انكفأوا على درس التاريخ العام والمشرقى بوجه خاص والإسلامى بوجه أخص ، نعم ، لقد درسوا التاريخ الإسلامى ، ودرسوا عادات المسلمين وأفكارهم وتصوراتهم وثقافتهم ولغتهم وشعوبهم ، ونشروا كثيرا مما وقعت عليه أيديهم من كنوز المخطوطات وأفرادها ، كما قاموا - فى الوقت نفسه - بالكشف عن الآثار - أياً كان نوعها ...

إن هذا الاحتفاء بثقافة وتاريخ ولغة واجتماع المسلمين وإخراج تراثهم ؛ بتحقيق المخطوطات ونشرها [٢] ، ليس مرده معرفة الحق ، أو الوقوف على

---

(١) فى الفصل الأول من كتابه "أساليب الغزو الفكرى" دار الاعتصام ، القاهرة ، ط٣-١٣٩٩هـ=١٩٧٩م ، يقسم الدكتور على جريشة مراحل الغزو الفكرى الغربى لديار الإسلام إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل إسقاط الخلافة الإسلامية (وقد تمت حلقات هذه المرحلة فى صورة: الحروب الصليبية - الاستشراق - التنصير والدعوة إلى النصرانية). المرحلة الثانية: مرحلة الإجهاز على الخلافة الإسلامية ، وفيها نجد الحلقات الآتية (فصل الدين عن الدولة - إسقاط الخلافة). المرحلة الثالثة: ما بعد إسقاط الخلافة ، ولم يأت فيه بتصور أو رأى!!! انظر الكتاب سالف الذكر ص/ ١٥-٤٥ . وانظر كلامه حول خطورة الاستشراق ص/ ١٨-٢٩ . وهو مبحث جيد. ومن أوعب من كتب عن المستشرقين تأصيلا وترجمة وتأريخا ورصدا لجهدهم وبحثهم وتبيانا لمنهجهم (مع إعجابه بعلمهم ومنهجهم ...) نجيب عقيقى: المستشرقون (مرجع سابق).

(٢) انظر اغترار بعض الفضلاء بجهد المستشرقين فى تحقيق التراث مثل أستاذنا عبد السلام هارون: قطوف أدبية حول تحقيق التراث ص/ ٣٧-٣٩ مكتبة السنة ، القاهرة ، ط١-١٤٠٩هـ=١٩٨٨م ، وهذا لا يعنى عدم تتبعه لهم بالنقد ، بل فعل ذلك ، فانظر مثلا فى المصدر السابق تعقباته على باول كراوس ومحمد طه الحاجرى فى نشرتهما مجموع رسائل الجاحظ ص/ ٢٦٣-٢٧٤ .

روعة حضارة الإسلام ، كلا والله ... بل كان مرده ومهيجه البغض والكره للإسلام والمسلمين!! ألم يكتب المستشرق الفرنسى "كيمون" فى " باثولوجيا الإسلام " : " إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هى مرض مريع وشلل عام ، وجنون ذهولى يبعث الإنسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ، ويدمن على معاقرة الخمور ، ويجمح فى القبائح!! وما غير محمد إلا عمود كهربائى يبعث الجنون فى رؤوس المسلمين ، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلى ... ويقول " سفوك هيرنمارنجه " : " يجب أن نقرر أن قيمة محمد منحصرة فى سائر ما يميزه عن جميع الهيستيريين " (١).

إن هذه الكلمات والتصريحات التى تعكس كرها شديدا للإسلام ورسوله وكتابه وأهله ترجمت فى حروب صليبية طاحنة دامت عدة قرون ولا زالت حتى يومنا هذا تدار الحرب العوان بين الإسلام وأعدائه على هذه الخلفية العقدية ، وما تصوير النبى ﷺ والرسومات المزرية به وبأهل الإسلام فى الدانمارك وفرنسا وهولندا وألمانيا وسائر أوربا فى الأيام والشهور الماضية منا ببعيد!!

لقد أدرك أعداء الدين أنهم لن يستطيعوا بحال أن يحاربونا عسكريا (إلا ما ندر) ، ومن هنا كانت الحرب الفكرية والمؤامرات العلمية لمحو عقولنا واستبدال ديننا بدين آخر يريدونه لنا ، هذا كله تحت ما يسمى بـ " الموضوعية " ، و " العلمية " و " منهجة البحث العلمى " و " حرية

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها عند د. محمد البهى: الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص/ ٥٥٠ ، دار الفكر ، بيروت ، ط٦ .

النقد" ...الخ هذه العبارات الرنانة الطنانة التى ظاهرها ربما يبدو حلوا ، لكن فى باطنها السم الزعاف .. الموت الناطق!!

وكان من جملة ما ركز عليه الأوربيون لاكتشافه ومعرفته لإحكام سيطرتهم على العالم الإسلامى دراسة تاريخه ، ولذا ندبوا المستشرقين لدراسة هذا الجانب الخطير.

نعم ، مع ما بذله المنصرون والمستشرقون ومن كانوا أتباعا لهم من فلول المنهزمين فكريا ودينيا وعقليا وعلميا ، مع ما بذلوه من خدمة للتراث ونشر له ، إلا أننا نقرر أنه لا يمكن أبدا الاطمئنان إلى هؤلاء القوم لا فى المنهج ولا فى القصد ولا فى العلم ، إن منهجهم مشوش مغلوط ، وقصدهم فاسد ضال ، وعلمهم ضعيف ركيك ؛ إلا ما ندر وشذّ ؛ ومن هنا كان لابد للمسلمين أن يأخذوا زمام المبادرة فى صياغة منهج العلوم والمعارف لا أن يسلموا أعناقهم إلى أعدائهم يسوقونهم إلى حيث يريدون ، وإن مما يعينهم فى اكتشاف ومن ثَمّ تأصيل المنهج العلمى الإسلامى الخاص بهم فى دراسة العلوم - لاسيما التاريخ - : تأمل السنن الكونية ؛ ولذلك فإن من أعظم ما ينبغى أن تتوفر عليه همم المسلمين فى عصرنا هذا أن يجتهدوا فى دراسة التاريخ عموما والإسلامى خصوصا ، لاسيما سيرة الرسول ﷺ وصحابته. ولابد لهم أن يقفوا على بعض السنن الكونية التى أجراها الله تعالى فى كونه لعموم خلقه ، وما جعله الله تعالى من هذه السنن خصيصة لأوليائه وأحبابه من المؤمنين.

وقد نبه الله سبحانه فى أكثر من آية على ضرورة الاتعاظ بهذه السنن الكونية التى أحدثها مع جملة خلقه من الكافرين والمؤمنين ، من أعداء

الدين وأوليائه ، من ذلك قوله سبحانه : ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾ [هود : ١٠٠] وقوله : ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف : ١٠٩] وقال سبحانه : ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [الإسراء : ١٧] وقال تعالى : ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف : ١١١] وقال سبحانه : ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٧] وقوله : ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج : ٤٦] ومن ذلك أيضا قوله ﷺ " ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله " (١).

ومن جملة هذه السنن كما تبدى لى من تدبرى لبعض النصوص الدينية وقراءاتى لجمل ليست قليلة من التاريخ العام وتاريخ المسلمين:

١ - العاقبة للتقوى ، والغلبة لمن حقق الولاية الشرعية ، قال الله سبحانه : ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه : ١٣٢] وقال سبحانه : ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [القصص : ٨٣] وقال سبحانه : ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: ٢١] وهذا واضح لمن قرأ التاريخ وتدبره ، فانظر كيف

---

(١) إسناده حسن . أخرجه أحمد في المسند (٣٨٩) وانظر للألبانى صحيح الجامع (٢/ ٩٨٤) ح/ ٥٦٣٤ .

كانت العاقبة للطائفة المؤمنة فى قصص الأنبياء، وفى سيرة نبينا ﷺ، وكيف كانت العاقبة للصحابة فى جهادهم المرتدين، وفى فتوحهم للأمصار، وانظر أيضا كيف كانت العاقبة للإمام أحمد فى محنته خلق القرآن، حيث دانت الكافة ورجعت إلى الحق الذى ثبت عليه!!!

٢- الحق والباطل يتدافعان ويتصارعان، فهما كالنقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، ولابد من هذا التدافع بلاء واختبارا؛ لتكون العاقبة أيضا لمن حقق الولاية الشرعية ولو بعد حين، قال سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤] وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١] وقال سبحانه: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وهذا ظاهر لا يحتاج إلى مثال.

٣- المخالفون للحق من الكفار وأعوانهم يتحالفون لإزهاقه وإهلاك أهله، ولو كانوا فى الباطن متنازعين، قال سبحانه عن اليهود وحلفائهم: ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ

ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة : ٦٧].

أرأيت كيف كان هذا الحلف الشركى اليهودى ضد الإسلام والمسلمين فى غزوة الأحزاب؟!! مع أن اليهود يكفرون المشركين ويرمونهم بالأميين!! ويستحلون منهم ما لا يستحلون من أنفسهم!! لكنه التحالف من أجل حرب الإسلام وأهله. ونرى صور هذا فى كافة العصور، تحالف الرافضة مع الصليبيين فى مصر والشام ضد جند الإسلام زمن الدولة الأيوبية ودولة المماليك، ثم تحالف الرافضة فى بلاد فارس مع الصليبيين الهولنديين والبرتغال ضد العثمانيين ... ثم تحالفهم الباطن بل والظاهر أحيانا فى العصر الحديث مع الصليبيين ضد المسلمين السنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله!!!

٤- تحقيق الأمن والاستقرار بالدين لا بغيره، أما الاضطراب والدمار فيكون لمن حاد عن الدين أو حاربه، قال الله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢] والظلم هو الشرك بالله سبحانه كما فسره رسول الله ﷺ وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨]. فالدول التى أقامت السنة وحاربت البدعة، الدول التى زهت بنور التوحيد وأزهقت ظلمة الشرك والكفر، رفلت فى السعادة التامة والأمن المقيم، نرى هذا جليا فى عصور الإسلام المختلفة، وهذا ظاهر.

٥- قبل النصر والتوفيق والتمكين وما كان فى معنى هذا - يكون الابتلاء والتمحيص وتحدث الشدة والزلزلة، قال سبحانه: ﴿أَمْ

حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] وقوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠] لقد رأينا ما أصاب المسلمين فى مكة من العنت والبلاء ما إن وُزع ما وقع على واحد منهم على أمة من أناسى هذا العصر ما تحملوه ولا أطاقوه ، فصبروا وصابروا وهاجروا وجاهدوا ، ثم كانت الغلبة وحصل النصر والتمكين ، وفتحت مكة ، ودخلت العرب الإسلام ، ومن ثَمَّ عَمَّ العالم الإسلام بنور الحق الذى حمله الفاتحون الصحابة لأمصار الأرض ؛ مصر والشام والعراق وفارس وشمال أفريقيا ، وآسيا الصغرى ، وجزر البحر المتوسط وغيرها كثير، فجزى الله الصحابة عنا خير الجزاء.

٦- ينصر الله تعالى الكافر صاحب المظلمة على المسلم الظالم المقصر فى دينه ، فالله تعالى لا يحب الظلم ، ويمقت أهله ولو كانوا من المسلمين ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة : ٥] ، ولما ظلم المشركون المسلمين وأخرجوهم من ديارهم ، ضمن الله للمظلومين النصر والتمكين قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤١] قال أهل العلم : الحسنة: نزول المدينة ، والرزق الحسن ، والنصر على عدوهم ، واللسان الصدق ، وما استولوا عليه من فتوح البلاد ، حيث صارت لهم فيها من الولايات ، وما بقى لهم فى الدنيا من الثناء وما صار لأولادهم من الشرف، قال القرطبى - رحمه الله تعالى - : كل ذلك اجتمع لهم بفضل الله ،

والحمد لله " (١).

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن: " وإياك ودعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " (٢) قال أهل العلم: " واتق دعوة المظلوم " أى اجعل بينك وبينها وقاية بالعدل وترك الظلم ، وهذان الأمران يقيان من رزقهما من جميع الشرور دنيا وأخرى. وفيه: التنبيه على التحذير من جميع أنواع الظلم (٣). وعن أبى ذر رضي الله عنه ، عن النبى ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : " يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ... " (٤). قال النووى شارح صحيح مسلم - عليه رحمة الله - : " لا تظالموا " والمراد: لا يظلم بعضكم بعضا ، وهذا توكيد لقوله تعالى : " يا عبادى ... وجعلته بينكم محرما " وزيادة تغليظ فى تحريمه (٥).

وهذا ما نراه فى غير موطن من التاريخ من ذلك مثلا ، أن سلطان المسلمين فى بلاد ما وراء النهر - خوارزم شاه - لما ظلم عمالُه التجارَ المغول، فقتلوهم واستولوا على أموالهم ، فوجه سلطان المغول " جنكيزخان " إلى " خوارزم شاه " يطالبه أن يقتص من القتلة ، فقتل المسلمون رسول ملك المغول ، فوقع المسلمون فى قتال المسالمين وظلمهم دون وجه حق ، فسلط الله سبحانه المغول عليهم جزاءً وفاقا ؛ والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا

---

(١) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٣٢٧).

(٢) متفق عليه . أخرجه البخارى (٤٣٤٧) ومسلم (١٩) و (٢٩).

(٣) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٨٥هـ): فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (١/ ١٠٧، ١٠٨) مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ط١-١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

(٤) رواه مسلم فى (٢٥٧٧ - كتاب البر والصلة والآداب).

(٥) النووى: شرح مسلم (١٦/ ١٣٢).

بالله [1].

٧- يُنصر المسلم الآخذ بالأسباب - وإن كان عاصيا - على المسلم المفرط فى الأسباب وإن كان تقيا ورعا. فالأخذ بالأسباب المادية بعد الاستعانة بالله من جملة ما أمر الله سبحانه به ، ولترى هذا جليا فى حادثة الهجرة ، ولننظر إلى تعليم المسلمين فنون القتال واستخدامها فى مواجهة الأعداء ، مثل: حفر الخندق ، واستعمال الدبابات ونحوها فى حصار الطائف ، قال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٠].

وليس هذا فى مجال القتال ، ولكنه فى كافة المجالات: العسكرية ، والحضارية ، والتعليمية ، والاجتماعية ، والتجارية ، والتربوية ، والإدارية ، فلابد من مباشرة الأسباب ، وبذل الجهد واستفراغ الوسع فى تتميم القدرة على تملك هذه الأسباب وتوظيفها لما فيه الخير والصلاح.

فمن ضعف فى تتميم هذه القدرة غُلِب وإن كان صالحا طائعا ، ومن تممها نُصِرَ ، وإن كان عاصيا معاندا ، إلا إذا أراد الله شيئا ، ونرى ذلك فى قيام الدولة الزبيرية ، حيث ملكت مصر والحجاز واليمن والعراق وبلاد السواد وما وراء النهر ، لكن استطاعت الدولة الأموية بقيادة عبد الملك بن مروان إزالتها مع أن عبد الله بن الزبير كان أورع وأعلم وأصلح وأكثر طاعة لله تعالى منه ، ولكنها سنن الله سبحانه!!! لقد كان عبد الملك صاحب بذل

---

(١) انظر فى هذا لابن كثير: **البداية والنهاية** (١٣/ ١١٩) دار الفكر العربى ، القاهرة .

وتدبير وكيد وقدرة ، بينما لم يكن عبد الله بن الزبير كذلك ، بل دون ذلك بكثير ، فانظر كيف كانت العاقبة!!.

٨- من أعظم أسباب انهيار الأمم والحضارات والدول: مبارزة الله بمخالفة شرعه ، قال سبحانه : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف : ٥٩] وقال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس : ١٣] وقال عز وجل : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة : ٥٩]. ورأينا هذا جليا فى غزوة أحد ، لما حدثت المخالفة لأمر رسول الله ﷺ وقعت الهزيمة ، وأيضا نرى ذلك عند دراسة أفول الدولة الأموية ، وأيضا أفول الدول المستقلة عن الدولة العباسية كالطاهرية والإخشيدية والطولونية وغيرها ... ورأينا ذلك فى قتل رسل التتر ، وفى هذا مخالفة شرعية ، فوقعت هزيمة المسلمين ، ورأينا ذلك فى انتشار جيوش الصليبيين فى ديار المسلمين لما قلت الديانة وفشت البدعة وظهرت الجهالة ورفعت السنة وعمت المظالم وتلبس الناس بالذنوب ظاهرا وباطنا : سلط الله على المسلمين - وهم أحب الناس إليه وأفضل من على وجه الأرض - أعداءهم من الصليبيين ، فانتقصوا ديارهم وسلبوهم أموالهم وأرزاقهم وسبوا نساءهم وأولادهم وشبابهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ... السبب واحد ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٤-٤٥].

٩- لا يبقى إلا الأصلح لعمارة الكون، فإن الله تعالى أنزل آدم إلى الأرض ؛ ليعمرها بمنهج الله ، قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] لقد خشيت الملائكة أن يكون آدم من جملة المفسدين ، ولم يعلموا ما علمه الله فى سالف الأمر ، ولما وقفت الملائكة على الحكمة قالت : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢] والله سبحانه لا يحب الفساد قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص : ٧٧] وقال سبحانه : ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة : ٦٤].

فما من أحد يفسد فى الأرض إلا وقصمه الله - وإن كان مسلما - ، وما من أحد يعمر الكون إلا أعانه الله ولو كان من أفسق الفاسقين والكافرين ، شريطة ألا تكون عمارة الأرض من باب الترفيه والتوسع فى المباحات ، وإنما عمارة الأرض بما يصلحها ويصلح من عليها وما عليها من سائر الأناسى والمخلوقات ؛ لذلك لما أفسد اليهود فى الأرض شتت الله شملهم وجعلهم أيادى الدهر!! ولما فسد التتر وأفسدوا البلاد وقتلوا العباد: أزالهم الله وهزمهم وقصمهم ، بل أدخلهم بَعْدَ ذلك فى دين الإسلام ، وصاروا بعدُ من جملة حماته وناصريه ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

١٠- الائتلاف على الدين والصبر على المكاره: سمتان فارقتان للتمكين والنصر ، وآية ذلك قوله سبحانه : ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال : ٤٦] ، ومن مفردات ذلك أن الله ينصر المؤمنين آنذاك ، قال سبحانه : ﴿فَلَمْ

تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، وهذه منة من الله على عباده الموحدين إذا أراد بهم الخير ، قال سبحانه : ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٣].

فكما أن لله سبحانه المنة وحده فى ائتلاف قلوب عباده على توحيده وطاعته ومحبته ، ومن ثم تآلفهم على ذلك ، فله سبحانه المنة فى نصرهم وإمدادهم بالصبر والثبات ، بل والملائكة معهم يدفعون ويقاتلون : ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال : ١٢] والمنهج الإيمانى الذى ينصر به صاحبه وفق سنن الله التى لا تختلف ولا تتبدل : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح : ٢٣] يقصد بهذا المنهج أن يلتزم المسلمون أفرادا ومجتمعات بما يلى:

١- معرفة الإيمان.

٢- محبته والانفعال به والتحول إليه كلية لنصل إلى درجة " الاصطباغ " قال سبحانه : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

٣- إقامة الإيمان ، بممارسته ، وذلك بالعمل الصالح والدعوة الصادقة والتعاون البناء المنتج المخلص.

٤- تحديد الموقف من المخالفين للمنهج ، حتى ولو أفضى هذا الموقف

إلى مجابهتهم بالدعوة والحكمة وغيرها من الأساليب الشرعية المناسبة في هذه المسألة ، وهذا كله لتكون كلمة الله هي العليا.

٥- الصبر على المنهج إن فى المعرفة أو فى الطاعة أو فى نشره أو فى نصره.

فواجب المسلم أن يتأمل سنن الله فى الكون ؛ ليستخلص منها الدروس الإيمانية والتربوية والاجتماعية التى تعينه فى الارتقاء بذاته كإنسان وبمجتمعه رفعة لدينه وإعزازا لأمته (١).

تبين مما سبق أن كثيرا من المغرضين هَوى على مواطن الضعف والركاكة التي لم تُمَيز في تاريخنا ، سقطوا على هذه المواطن سقوط العقاب على فريسته، فأخذوها وجعلوها أصول التاريخ الإسلامي ، وهيهات أن تكون كذلك!! وهذه مدرسة المستشرقين، لاسيما المغرضين منهم الذين تشدقوا بالمنهج العلمي في دراسة التاريخ وتلمذوا عليه صنائعهم في ديار المسلمين ، وجعلوا أصوله: اتهام الغيب بالخرافة والأساطير دون دراسة نصية ؛ لأنهم عجزوا عن ذلك (٢)، واعتبار كل كتب التراث وثيقة يحكمون بمقتضاها دون وجود

---

(١) فى مسألة السنن الكونية وأهمية استخلاص الدروس منها ، انظر مقالة محمد العبدة " معالم حول كتابة التاريخ الإسلامى " ص/ ١٤ وما بعدها ، مجلة البيان ، لندن ، العدد الأول ، غرة ذى الحجة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م ، وانظر أيضا لمحمد قطب: **حول التفسير الإسلامى للتاريخ** ص/ ٦٧ ، دار الشروق ، مصر ، ط١- ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

(٢) انظر حول هذا حبنكة الميداني ، عبد الرحمن حسن: **الحضارة الإسلامية** ص/ ٣١٦، دار القلم ، دمشق ، ط١-١٤١٨هـ=١٩٩٨م ، وفى ضعف منهج المستشرقين وسقطاتهم في التأليف والتحقيق انظر لمحمود محمد شاكر: **المتنبي** =

منهج نقدي - كما عند المحدثين - أيضا؛ لأنهم يعجزون عن ذلك [١]، والتشكيك في أصول الإسلام وثوابته تحت ستار العلمية والموضوعية ... وانتهى بهم الأمر إلى الدعوة إلى تدريس اللهجات البائدة ، ودعوة المختصين باللغة لا إلى دراسة اللغة وإنما إلى دراسة اللهجات العامية ، ثم امتد بهم التبجح إلى الدعوة إلى كتابة العربية (كتبا - مجلات - رسائل- مكاتبات -...) بالأصوات العامية ، ثم انتهى بهم الفجور إلى الدعوة إلى كتابة القرآن نفسه كتابة صوتية عامية!! [٢].

ولا عجب! فإن هذه المدرسة تأصلت وتأثلت ونُهِّج نهجها في رحم الكنيسة برعاية الباباوات والأساقفة والرهبان [٣]، وهذا ما حدا ببعض

= ص/ ٦٦ وما بعدها. مكتبة الخانجي ، القاهرة - ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م ، وله أيضا: **طبقات فحول الشعراء** لمحمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ) (١/ ١١٩ وما بعدها) مطبعة المدني ، القاهرة (د.ت). وفى تتبع سقطات المستشرقين انظر ، جهد عبد السلام هارون في تعقباته على باول كراوس: **قطوف أدبية حول تحقيق التراث** ص/ ٢٦٣-٢٧٤ ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط١-١٤٠٩هـ=١٩٨٨م. وراجع أيضا ، تعقبات الشيخ رشيد رضا على مرجليوث وعدم معرفته باللغة وتعصبه ضد رسول الله ﷺ في "سيرته" انظر له: **مجلة المنار** (٩/ ٥٣٣-٥٣٨) مصر -١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م.

(١) مثلا في دراسة وات مونتجمري: محمد في مكة ، يضيق صدره عن تحمل مناقشة طرق الأسانيد فيطرحها ويميل إلى الدراسة الانتقائية للحدث دون النظر إلى صحته (انظر ص/ ١٠٥) ويقول في الموضع نفسه عن أحد الأسانيد الصحيحة للخبر: "ومع ذلك فليس هناك فائدة كبيرة في مناقشة هذا الإسناد"!!

(٢) راجع المبحث الثالث : الاستشراق وأثره في دراسة السيرة .

(٣) راجع في هذا نجيب عقيقي: **المستشرقون** (١/ ١٠٤ وما بعدها) ، وانظر (٣/ ٥٧٧ وما بعدها).

الغيوريين المسلمين إلى القول بأن الاستشراق لم يكن إلا وسيلة لإخضاع شعوب البلاد الإسلامية لسلطان دول الغرب (١).

إن تراثنا القديم بما فيه من مرويات ضعيفة وربما أسطورية!! حدا بأحد الباحثين المؤرخين أن يُعَنْوِنَ "تنقية أصول التاريخ الإسلامى" ويذكر أن القدامى كانوا ساذجين (هكذا قال سامحه الله!!) ينقلون إلينا كل ما سمعوه، واستدل الباحث بما أورده الطبري في "تاريخه" تعليقا على قصة "إلقاء الشيطان بعض ما ألقى في روع النبي ﷺ" (٢)، ثم قال الباحث: "كُتُبُنَا القديمة حافلة بأخبار مثل هذه تسيء إلينا ، ولست أريدُ بذلك أن نراجع هذه الكتب لتشطب منها هذه الأخبار والإشارات ، فليس من رأيي أن نمس النصوص ، بل يكفي أن نحذّر من مثل هذا الخبر إذا نحن نشرنا الطبري أو غيره ، ونؤكد للناس أنها أخبار غير صحيحة ، ونقدم لهم أسباب آرائنا ؛ لكي نحمي الإسلام من أعدائه ... (٣)، وكلامه هذا منضبط - كما سنبين ضوابط المنهج.

ويقرر أن أصولنا القديمة تروي - بحسن نية - أخبارا تسيء إلينا ... فكانت النتيجة أننا اليوم نجد المستشرقين يأخذون أخباره - يقصد الطبري وغيره الذين وصفهم (سامحه الله) بالسذاجة وعدم التدقيق - ويستعملونها

---

(١) في هذا انظر مالك بن نبي: **القضايا الكبرى** ص/ ١٨١ ، دار الفكر ، دمشق - ١٩٩١م. وله أيضا: **وجهة العالم الإسلامي** ص/ ٢١ ترجمة د. عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، دمشق- ٢٠٠٢م.

(٢) د. حسين مؤنس: **تنقية أصول التاريخ الإسلامى** ، ص/ ٧ ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ٢٠٠٥م.

(٣) د. حسين مؤنس: السابق ص/ ١٤ .

في حربهم ضد الإسلام ورسوله ﷺ ... ولابد - إذن - أن نعيد النظر في أصول تاريخنا الإسلامي [1].

ويؤكد هذا المفهوم غير واحد من المهتمين بالتراث الإسلامي تعليما أو دعوة ، فالشيخ رشيد رضا يرى أن تهذيب السيرة وتنقيتها من الخرافات والغرائب مطلب ... [2] ، والألباني يدعو إلى تنقية كتب السيرة والتفسير مما فيها من خرافات وأساطير وأخبار واهية لا تصح ... [3] ويذكر رحمه الله الأثر الذي فيه : " أن رجلا أتى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك ، فإنهم قد هلكوا ، فأتى الرجل في المنام ، وقال له: ائت عمر ... " [*] وقد روى " سيف " في " الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني؛ أحد الصحابة.

يعلق الشيخ رحمه الله في عدم حجية هذه القصة : " لأن مدارها على رجل لم يسم ، فهو مجهول أيضا ، وتسميته بلالا في رواية " سيف " لا يساوي شيئا ؛ لأن سيفا هذا ، هو ابن عمر التميمي: متفق على ضعفه عند المحدثين ، بل قال ابن حبان فيه: " يروي الموضوعات عن الأثبات ، وقالوا: إنه كان يضع الحديث " ، فمن كان هذا شأنه لا تقبل روايته ولا كرامة ، لاسيما عند المخالفة.

(تنبيه) [**]: سيف هذا يرد ذكره كثيرا في تاريخ ابن جرير وابن

---

(١) د. حسين مؤنس: السابق ص/ ١٩ .

(٢) رشيد رضا: **مجلة المنار** (١/ ٦٠٤) مصر - ١٣١٥هـ و ١٣١٦هـ.

(٣) انظر له مقدمة السلسلة الضعيفة أو الموضوعة (المجلد الثانى) ، منشورات لجنة إحياء السنة ، ط١-١٣٩٩هـ.

(*) راجع مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٠٠٢) .

(**) هكذا في الأصل ، فهى من جملة كلام الشيخ - عليه رحمة الله - .

كثير وغيرهما ، فينبغى على المشتغلين بعلم التاريخ أن لا يغفلوا عن حقيقة أمره حتى لا يعطوا الروايات ما لا تستحق من المنزلة ، ومثله "لوط ابن يحيى ، أبو مخنف" ، قال الذهبي في "الميزان" : "إخباري تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره ، وقال الدارقطنى: ضعيف ، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة ، وقال ابن عدى: شيعي محترق صاحب أخبارهم" ومثله محمد ابن عمر المعروف بالواقدي ، شيخ ابن سعد ، صاحب "الطبقات" الذي يكثر الرواية عنه ... [1]

ويجمل الأستاذ العبدة المشكلة بإنصاف قائلا: "إن ما كتبه علماؤنا قديما - وإن كان عملا ضخما - قد حفظوا لنا فيه كل جزئيات وتفاصيل تاريخنا الإسلامى ، وجمعوا روايات كثيرة جدا - إلا أن هذه الروايات تحتاج إلى غربلة وتمحيص ؛ لأن فيها الصحيح والضعيف، بل والموضوع ، وقد ذكروا لنا مصادرهم حتى يعذروا ولا نحملهم المسئولية" [2].

ومن هنا كانت ضرورة الاهتمام بمرويات السيرة ، فالسيرة ليست شيئا تافها أو قليل الشأن ، بل هي مُظْهِرَةُ الدين وحاكيته ، وسبق ذكرنا أن دراستها من الدين ، ولذلك قال عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ): "العلم دين ، فانظر عمن تأخذ [3]، وقال أيضا: "الإسناد من الدين ، ولولا

---

(١) الألبانى ، محمد ناصر الدين: **التوسل ، أنواعه وأحكامه** ص/ ١٢٣، ١٢٤ دار العلم ، بنها ، مصر ، ط٤-١٤٠١هـ=١٩٨١م.

(٢) محمد العبدة: مقال "**معالم حول كتابة التاريخ الإسلامى**" ص/ ١١٣ . مجلة البيان، لندن ، العدد الأول ، غرة ذى الحجة - ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

(٣) أخرجه ابن عساكر ، على بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ): **تاريخ دمشق الكبير** (٥٨/ ٢٦٠) تحقيق على عاشور الجنوبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، =

الإسناد لقال من شاء ما شاء " (١). والإسناد للخبر كالنسب للمرء (٢)، وقد شبه بعضهم الحديث من غير إسناد بالبيت بلا سقف ولا دعائم ، ونظموه في قولهم:

والعلم إن فاته إسنادُ مسنده كالبيت ليس له سقفٌ ولا طُنُبُ (٣)

حتى إن منصفي المستشرقين يؤمنون بأهمية الإسناد في توثيق الخبر ، يقول مونتجمرى: " فإن دراسة الإسناد تساعد على تقييم الحديث ومدى موثوقيته ، كما تساعد على تقدير اتجاهاته ... " (٤). وبالجملة ، فإن " الإسناد " خصيصة هذه الأمة - كما جاء في خلاصة الطيبي (٥) ؛ لذلك كان عمل المحررين المدققين أنهم يجمعون روايات الخبر الواحد وينظرون فيها، فيؤخذ خبر الثقة ويطرح غيره (٦)، وهذا شبيه بما كان يفعله المتقدمون، يقول محمد بن سيرين (ت ١١٠هـ): " لم يكونوا - يقصد السلف - يسألون

= ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم (٣٢-مقدمة) ، وراجع الترمذي ، علل الترمذي بذيل سنن الترمذي (٥/ ٥٤٧) .

(٢) الخطيب ، د. محمد عجاج: **السنة قبل التدوين** ص/ ١٤٦ ، دار الفكر ، بيروت ، ط٦-١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

(٣) الخطيب: **السنة** ص/ ١٤٩ .

(٤) و. مونتجمرى وات: **محمد في مكة** ص/ ٤٨ .

(٥) نقله إبراهيم العلي: **صحيح السيرة النبوية** ص/ ١٦ .

(٦) انظر مثلا إلى: جمع روايات إسلام النجاشي وبعض قومه [رشيد رضا: مجلة المنار (١٧/ ٧٣٣) مصر-١٣٣٢هـ=١٩١٤م] وروايات شق صدره ﷺ وتطهير قلبه ، وأيضا: رحلة الإسراء والمعراج [رشيد رضا: مجلة المنار (١٩/ ٥٢٩-٥٣٧) مصر-١٣٣٥هـ=١٩١٧م] وروايات سبب غزوة حنين وهزيمة المسلمين ونصر الله لهم [رشيد رضا: مجلة المنار (٣٠/ ٣٤٦-٣٥٧) مصر - ١٣٤٨هـ=١٩٢٩م].

عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا: سمُّوا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، ويُنظر إلى أهل البدع فلا يُؤخذ حديثهم " [١].

وهذا سَلاَّم بن أبى مُطيع يقول: " بلغ أيوب (يعنى: السختياني) أنِّي آتي عَمْرا (يعنى: عمرو بن عبيد المعتزلي) فأقبل علي يوما فقال: أرأيت رجلا لا تأمنه على دينك كيف تأمنه على الحديث؟!![٢] .

وهنا تبرز المعضلة: أن كثيرا من الإخباريين ورواة الأخبار التاريخية متهمون - وسبق ذكر بعضهم - فهل تُقْبل أخبارهم في هذا الباب أم لا؟ هناك من تشدد فأبطل رواياتهم مطلقا ولم يعتبرها أبدًا إن في الأحكام أو في الفضائل أو في السير ، وهذا مثل الإمام مسلم [٣]، ويحيى بن معين [٤]، وابن حزم الظاهري [٥]، وابن العربي المالكي [٦]، والسبكي الكبير [٧] ،

---

(١) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢٧-مقدمة) بإسناد صحيح، وأبو نعيم في الحلية (٢٣٨١) ، والدارمي في سننه (٤٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٧٠-مقدمة).

(٣) انظر لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ): **مقدمة صحيح مسلم** (١/ ٨٢ ، ٨٣) دار المعرفة ، بيروت ، ط١٥-١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

(٤) نقله عنه ابن سيد الناس: **عيون الأثر** (١/ ١٥).

(٥) ابن حزم ، علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ): **الإحكام في أصول الأحكام** (١/ ١٤٠). دار الحديث ، القاهرة ، ط١-١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

(٦) ابن العربي المالكي ، محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣هـ): **أحكام القرآن** (٢/ ٥٨٠) تحقيق/ علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط١-١٣٧٦هـ=١٩٥٧م.

(٧) نقله السبكي ، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ) عن والده تحت عنوان " قاعدة في المؤرخين " ، انظر: **طبقات الشافعية الكبرى** (٢/ ٢٢ ، ٢٣) تحقيق د. عبد الفتاح الحلو ، و د. محمود الطناحي ، دار هجر ، القاهرة ، ط٢-١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

والكافيجي [١]، والسخاوي [٢]، والألباني [٣]، ولعل مستندهم - بالإضافة إلى أن الإسناد من الدين وضرورة التحري - ما ثبت أن رسول الله ﷺ قال: " سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم " [٤]. ومن أهل العلم من تساهل في رواية الخبر الضعيف بل والعمل به في فضائل الأعمال والسِّيَر ونحو ذلك، وشرطهم ألاّ يعلق به حكم شرعي أو عقدي، من هؤلاء: أحمد بن حنبل[٥]، وعبد الرحمن بن مهدي[٦]، وابن المبارك [٧]، والبيهقي [٨]، وابن الصلاح، والعراقي، وابن قدامة ... وغيرهم كثير [٩] بل نقل ابن عبد البر: أن أهل العلم بجماعتهم

---

(١) الكافيجي (ت ٨٧٩هـ) ، ونقل الخبر عنه د. عبد الكريم الخضير: **الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به** ص/ ٣١٤ ، ٣١٥ ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، ط٣-١٤٢٦هـ.

(٢) السخاوي: **الإعلان بالتوبيخ** ص/ ٦٣ - في شرط المعتني بالتاريخ.

(٣) الألباني: **مقدمة السلسلة الضعيفة** ، المجلد الثاني ، دمشق ط١-١٣٩٩هـ وأيضا له: **صحيح الجامع** (١/ ٥٠) المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣-١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

(٤) **حسن**: أخرجه مسلم (١٥-مقدمة) من حديث أبي هريرة مرفوعا به، وأخرجه أحمد في المسند (٨٢٦٧) .

(٥) رواه عنه البيهقي: **دلائل النبوة** (٢/ ٣٤).

(٦) نقله الخطيب البغدادي: **الكفاية** (٢/ ١٦٣).

(٧) نقله عنه ابن رجب الحنبلي ، عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ): **شرح علل الترمذي** (١/ ٣٧٢) تحقيق ودراسة د. همام عبد الرحمن سعيد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط٤-١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

(٨) البيهقي: **دلائل النبوة** (٢/ ٣٤) في كلامه عن مراتب الأخبار.

(٩) انظر البحث الماتع لـ الأبيض ، محمد عبده: **العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال** ص/ ٢١-٢٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

يتساهلون في الفضائل ، فيروونها عن كلٍ ، وإنما يتشددون في أحاديث الأحكام [١].

وهناك من تشدد نظريا لكن تساهل وتسامح عند التطبيق أو البيان العلمي، وذلك مثل ابن تيمية حيث يشدد قائلا: " وليس في المسلمين من يَحتَجُّ بكل حديث رواه كل مصنف ، فكل حديث يحتج به نطالبه من أول مقام بصحته [٢]. ثم يقرر التساهل في رواية الضعيف للفضائل ونحوها [٣]. ويمكن التوفيق أن التشدد كان في معرض الرد على الرافضي الخبيث ابن المطهر الحلي ، فكان المقام مقام رد عن اعتقاد ودين فلزمه ذلك ، والأصل عنده هو ما قرره من تساهل عند الرقاق والفضائل ، والمتتبع ترجمته وأحواله يعلم ذلك. ومن هذا أيضا صنيع الإمام ابن حجر العسقلاني ، حيث يشدد قائلا: " لا فرق في العمل بالحديث في الأحكام أو في الفضائل إذ الكل شرع " .أ.هـ[٤] ، لكنه يضبط شروط قبول الضعيف للعمل به في الفضائل ونحوها بألا يكون موضوعا ، وألاّ يعتقد العامل به ضعفه ، وألاّ يُشْهره حتى لا يَغْتر به الجهال فيظنوه سنة صحيحة [٥].

إن الخبر الضعيف في " الأخبار والسيرة " ركن مهم جدا ، إنه يمثل ما لا

---

(١) ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ): **جامع بيان العلم وفضله** (١/ ١٠٣) تحقيق/ أبي الأشبال الزهيري ، مكتبة التوعية الإسلامية ، الجيزة ، مصر ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

(٢) ابن تيمية: **منهاج السنة النبوية** (٧/ ٤٢) تحقيق د. محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية ، الجيزة ، مصر ، ط٢-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

(٣) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى** (١/ ٢٥٠ ، ٢٥١) و (١٥/ ١٩٢-١٩٤).

(٤) ابن حجر العسقلاني: **تبيين العجب بما ورد في شهر رجب** ص/ ٢٦ تحقيق/ طارق ابن عوض الله ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة (د.ت).

(٥) انظر لابن حجر: **تبيين العجب** ص/ ٢٣ .

يتم الواجب إلا به ، إنه يعطي الحركة ويكمل الصورة ويستصحب ويُتَابَعُ به في الباب [(١)]، ولذلك من جرد السيرة من كل الضعيف بدا عمله شبه جامد!! أو يضطر إلى إدخال الضعيف حتى لو التزم إيراد الصحيح فقط من السيرة!! [(٢)] إذن لا بأس بإيراد الضعيف أو حتى ما لا أصل له في السيرة لكن بشروط ومعايير:

(١) أن يكون مندرجا تحت أصل عام ، فلا يترتب عليه حكم أو اعتقاد - على الانفراد [(٣)] -

(٢) أن يُنَبَّه على ضعفه حتى لا يُظَنَّ صحيحا ولا يجوز عدم البيان [(٤)] ،

---

(١) هناك مع تساهله في إيراد الضعيف في "السيرة" يرى أنه لا داعي لوزنه وتحقيقه ؛ لأنه تعب ليس وراءه أرب. انظر هذا عند د. عبد الكريم الخضير: **الحديث الضعيف** ص/ ٣١٦ .

(٢) انظر ما شرطه د. عماد الدين خليل ص/ ٧ من إيراد المتفق عليه والذي لا يتعارض مع آيات القرآن والسنة الصحيحة ورفض ما عدا ذلك. ثم تراه في ص/ ١١٢ يأتي بخبر البراق وله جناحان في فخذيه ... ، وهو خبر ضعيف جدا. راجع له: **دراسات في السيرة** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٦-١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

(٣) انظر في هذا المعنى ابن الصلاح (أبو عمر) ، عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ): **علوم الحديث** ص/ ٩٣ حققه نور الدين عنتر ، المكتبة العلمية ، بيروت - ١٤٠١هـ=١٩٨١م ولابن رجب: **شرح علل الحديث** (١/ ٣٧١) ، وللسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ): **تدريب الراوي شرح تقريب النووى** (١/ ٢٢٣) المكتبة التوفيقية ، القاهرة (د.ت). وللسخاوي: **الإعلان بالتوبيخ** ص/ ٦٣، وللألباني: **صحيح الجامع** (١/ ٥٦).

(٤) انظر في هذا المعنى الذهبي: **سير أعلام النبلاء** (٨/ ٥٢٠) والمباركفوري ، محمد عبد الرحيم بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣هـ): **شفاء الغلل في شرح كتاب العلل** (٩/ ٤٢٧) وهو ذيله (تحفة الأحوذي) دار الحديث ، القاهرة ، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠٢م والألباني: **تمام المنة في تخريج أحاديث فقه السنة** ص/ ٣٢ دار=

وهذا صنيع المتقدمين من النقاد والمحدثين ، فهذا الشعبي يقول: "حدثني الحارث الأعور الهَمْداني ، وكان كذابا " [١]. وقال سفيان الثوري: "اتقوا الكلبي!" فقيل له: فإنك تروي عنه ، قال: "أنا أعرف صدقه من كذبه " [٢].

وهذا مفيد في تدريب الناس على سماع الأخبار ومعرفة صحيحها من ضعيفها ، فيتميز الخبر الصحيح من غيره [٣].

بهذين الضابطين يمكن تتميم المنهجية العلمية لدراسة السيرة التي يُعتقد أنها الطريقة المثلى للتعامل مع مرويات السيرة والتاريخ [٤]، وهذا المنهج قائم على أصلين:

الأصل الأول: الجانب النقدى لمرويات السيرة: حيث يجتهد المؤرخ والباحث التاريخى الدؤوب على القيام بـ:

١- جمع كل المرويات لحادثة أو خبر ، دون النظر إلى الصحة أو الضعف. وتبدأ السيرة من مولد النبي ﷺ وما سبقه أو لابسه من أحداث كونية ، وتنتهى بخلافة أبى بكر رضي الله عنه ودفن رسول الله ﷺ .

= الراية ، الرياض ، ط٥-١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

(١) أخرجه مسلم (٤٤-مقدمة) بسنده إلى الشعبي به.

(٢) نقله ابن رجب: **شرح علل الترمذي** (١/ ٢٧٣).

(٣) انظر في هذا المعنى ابن تيمية: **مجموع الفتاوى** (١٨/ ٢٦ ، ٢٧).

(٤) وهذا ما دعا إليه المؤرخ الكبير ابن خلدون حيث أشار إلى ضرورة وجود قواعد وأصول تعرض عليها الروايات والأخبار ليتميز الغث من السمين وإلا وقع الضلال والبعد عن الحق، انظر له: **تاريخ ابن خلدون** (١/ ٧ ، ٨).

٢- الاجتهاد في ترتيب الأحداث بمروياتها. ذلك أن كتب السيرة اضطربت بشدة في ترتيب بعض الأحداث ، وبذا بات على المؤرخ المسلم ألا ينقل إلينا إلا ما حُرِّر ودقق فيه.

٣- نقد مرويات السيرة ، سواء كان النقد متصلا بالسند أو بالمتن:

أولا: على مستوى الإسناد ، وذلك كله بغية تحري صحة الخبر عن الرسول ﷺ أو عن الصحابي رضي الله عنه فمن دونه ، فإن كان الخبر صحيح الإسناد - بالطريقة المعروفة عند المحدثين ؛ وهى ما اتصل إسناده بنقل العدل الضابط (أو خفيف الضبط) من أوله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة [1] - اعتمدنا هذا الخبر وقبلناه ، ومن ثَمّ نظرنا في نصه ومتنه.

وإذا كان الخبر ضعيف السند ، نظرنا ، هل هذا الخبر مما يتعلق بالاعتقاد؟ وهى المباحث المتعلقة بدراسة (الله - الأنبياء - الغيب - القدر - مقام الصحابة - مقام العبودية) ، أو هو متعلق بالأحكام الشرعية وهى دائرة: [الواجب - المستحب - الحرام - المكروه - الجائز] والأحكام الوضعية: [الصحة - البطلان - الشرط - السبب - العلامة] إن كان الخبر الضعيف له تعلق بهذه الدائرة (العقيدة والشريعة) يخرج ولا يعتمد. ويُعَدّ اعتماده ضربا من ضروب المخالفة ، إلا أن يكون الخبر مندرجا تحت أصل صحيح معتبر.

مثال ذلك: قول ابن إسحاق: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله - يقصد بعد غزوة أحد - ناول سيفه ابنته فاطمة رضي الله عنها ، فقال: " اغسلي عن هذا دمه يا بنية، فوالله لقد صدقني اليوم ، وناولها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(١) راجع مقدمة ابن الصلاح ص (١٥١) لأبي عمرو عثمان بن صلاح الدين ، دار المعارف ، القاهرة - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، تحقيق ، د. عائشة بنت الشاطئ .

سيفه ، فقال: " وهذا أيضا ، فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم " ... قال ابن هشام: " وكان يُقال لسيف رسول الله ﷺ : ذو الفقار ، قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن ابن أبي نجيح قال: نادى منادٍ يوم أحد:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علـيّ (١)

وهذا الخبر لا يصح ؛ لجهالة من حَدَّث به ولإرساله (٢)؛ وبذا لا يمكن للشيعة الرافضة الذين ينتقصون من الصحابة ويُغْلون من مقام عليّ رضي الله عنه أن يستدلوا به على أن جهاد الصحابة في ذلك اليوم كان مدخولا! وأن الوحيد الذي قاتل بحق مع رسول الله ﷺ هو عليّ رضي الله عنه وعن جميع الصحابة.

وهنا لابد أن نؤسس القاعدة ، قبل أن ننظر في متن الخبر لابد من النظر في سنده ، فكما يقول أهل العلم: " ثبت العرش ثم انقش عليه " (٣) ، فلا

---

(١) ابن هشام: **السيرة النبوية** (٣/ ٤٢، ٤٣).

(٢) انظر مثلا للسخاوي: **المقاصد الحسنة** ص/ ٧٢٤ ح/ ١٣٠٧ ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط١-١٤٠٥هـ=١٩٨٥م. وابن أبي نجيح هو: عبد الله بن يسار، ثقة (انظر ترجمته عند الذهبي: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** (٢/ ٥٢٧) دار المعرفة ، بيروت ، وقد أرسله إذ توفى سنة ١٣١هـ انظر لابن حجر: **تهذيب التهذيب** (٣/ ٢٨٤) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢-١٤١٣هـ=١٩٩٣م..

(٣) هذا مَثَل مضروب، وهو كثير فى كتب النظار وأهل الفروع، انظر مثلا مورد هذا المثل عند: ابن الملقن، عمر بن على الشافعى (ت٨٠٤هـ) : **تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج** ص/ ١١٦، المكتب الإسلامى، بيروت - ١٩٩٤م، وأيضا ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد (ت٨٦١هـ): **فتح القدير** (٨/ ٩١) دار الفكر، بيروت (د.ت)، وانظر الهروى، على بن محمد (ت١٠١٤هـ): **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** (١/ ٤٢) و (٢/ ٤٧٨، ٦٩٠) ... دار الفكر، بيروت، ط١ - =

تغتر بأن الخبر موجود في كتاب كذا وهو مشهور ، وألفه فلان من أهل السنة!! لا، بل لابد من النظر في سند الخبر [1].

أما إذا ترتب على سوق الأثر الضعيف فائدة هي نفسها مندرجة تحت المعنى العظيم الذي دلّت عليه : تساهلنا في سوقه ، من ذلك ما ذكره ابن إسحاق: " وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل بن محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال: مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نعوا لها ، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا: خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت: كل مصيبة بعدك جلل! " [2]؛ تريد صغيرة ، وهذا الخبر مع ضعفه [3]، إلا أنه دَلّ على دور المرأة في حمل هم الدين ، كما دَلّ على حب الصحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ وفدائهم له بأموالهم وأنفسهم وفلذات أكبادهم وأقاربهم ، وهذه المعاني مما تندرج تحت الأصول النافعة التي دَلّت عليها النصوص الصحيحة.

ثانيا: على مستوى النص وأقصد به " المتن " ؛ أي لفظ الخبر ، وهاك هذه القصة: عن أبي أمامة رضي الله عنه أن صحابيا اسمه ثعلبة بن حاطب ، كان فقيرا معدما ، ثم إنه سأل النبي ﷺ أن يدعو الله له أن يرزقه اليسار والغنى ،

=١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م، وانظر أيضا هذا المثال عند الخفاجى، أحمد بن محمد الحنفى (ت١٠٦٩هـ) : **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى** (٨/ ٣٠٣) دار صادر، بيروت.

(١) في هذا المعنى انظر لابن تيمية: **منهاج السنة** (٧/ ٤٢) وللألباني: **صحيح الجامع** (١/ ٥٦).

(٢) ابن هشام: **السيرة النبوية** (٣/ ٣١).

(٣) وذلك لانقطاع السند ، فإسماعيل بن محمد ، مع أنه ثقة إلا أنه لم ير جَدّه سعد بن أبي وقاص ، راجع لابن حجر: **تهذيب التهذيب** (١/ ٢٠٨) .

وعليه عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن وليكونن من الصالحين ، فدعا له النبي ﷺ ، فكثّر الله ماله ، حتى صار له مالٌ كثير من الغنم والإبل والبقر، فلما أتى إليه من يأخذ الزكاة ، أبى! وقال: إنما أوتيته عن عمل وجهد مني ، ثم إنه تذكر عهده ، ووقف على زلته ، فأخذ الزكاة ليعطيها النبي ﷺ ، فأبى رسول الله ﷺ أن يأخذها ، حتى توفي رسول الله ﷺ ، ثم أخذها ليعطيها أبا بكر فأبى ، وكذلك في خلافة عمر ... (القصة) ، وهي قصة لا تصح سندًا ، وقد تكلم علماء النقد على بطلانها ، منهم: ابن حزم والقرطبي وابن حجر والألباني عليهم جميعا رحمة الله [(١)]، وبالنظر إلى النص ، نجده أنه باطل قطعا من وجوه كثيرة:

أ- ثعلبة بن حاطب رضي الله عنه ممن شهد بدرا ، وقد غفر الله لهم ، وعندما خابر حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه المشركين عند غزو مكة شفع له ذلك الذنب الكبيرَ شهودُهُ غزوة بدرٍ، فما بالُ النبي ﷺ يغفر لهذا ولا يغفر لهذا؟!!

ب - مع التسليم بفعل ثعلبة ذلك ، فقد جاء تائبا معترفا بالخطيئة ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والتوبة بابها مفتوح ، وثبت أن توبة المشرك مقبولة ، وتوبة تارك الصلاة بالصلاة مقبولة ، وتوبة كل عاصٍ إن استوفت شروطها مقبولة ، فما بال ثعلبة لا تقبل منه توبة؟ لا يقبلها النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما ؟!!

¬يقول ابن حزم - عليه رحمة الله -: وهذا باطل بلا شك ؛ لأن الله تعالى

---

(١) الهلالى، سليم بن عيد : الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابى الجليل ثعلبة بن حاطب رضي الله عنه ص/ ٣٢-٤٢ ، مكتبة التوعية الإسلامية ، القاهرة. وقد استقصى صاحب الرسالة طرق هذا الأثر ، ونقل عبارات وكلام أهل العلم في توهين هذه القصة سندا ومتنا ، وردّ على من اغتر بها فأغنانا عن حشد من ساقها ومن ردها ، فجزاه الله خيرا.

أمر بقبض زكوات أموال المسلمين ، وأمر عليه السلام عند موته أن لا يبقى في جزيرة العرب دينان ، فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلما ففرض على أبي بكر وعمر قبض زكاته ولابد ولا قسمة في ذلك ، وإن كان كافرا ففرض أن لا يُقَرَّ في جزيرة العرب ، فسقط هذا الأثر " [1].

فلا يجب أن نغتر بأن يكون الطبري أو ابن كثير أو السيوطي أو غيرهم قد ذكر القصة ، أو نقل الخبر!! ، بل لابد من التحري والنقد ، وقديما قالوا: " قمش ثم فتش " ؛ أي: اجمع أولا ثم انقد وتَحَرَّ ثانيا ، هذا كله حتى لا نكون نهبا للمنحرفين أو الهاذرين في ديننا أو تاريخنا المجيد بأخبار قرأوها نعم ، لكن لم ينظروا طريقها ، كما لم ينظروا موضوعها!!! ولله در المحدثين عندما ألفوا مشكل الحديث وتأويل مختلف الحديث ، كان ذلك رعاية منهم للمتن ، كما رَعَوْا قبل السند!!

الأصل الثانى: الدراسة التحليلية للبناء السردى للسيرة:

يكون على مستويين متآزرين:

المستوى الأول: تركيز الأفكار المتشابهة في الحدث الواحد وترتيبها بعد إخضاعها للنقد على المستويين السابقين بالضوابط المرعية ، ثم عنونة هذه الأحداث حاملة الأفكار ، ثم محاولة التأمل لاستنباط الفوائد والعبر ، ولنتأمل هذين الرَّصْدَيْن:

أ- رصدُ علاقة النبي ﷺ بالصحابة الكرام باعتبار البعد المعنوي، لندرس مثلا هذه النقاط:

١- حياة الرسول الكريم ﷺ ، وآثار تربية الله تعالى له ؛ وذلك بُغية

---

(١) ابن حزم ، على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ): المحلّى (١١/ ٢٠٨) ت/ أحمد محمد شاكر ، دار التراث ، القاهرة.

استخلاص المواقف التربوية والإيمانية التي يمكن توظيفها لإعداد المسلم العقدي الذي يستبصر طريق عز دينه وأمته ؛ فنرى مثلا: وفاة أبيه قبل ولادته ، ووفاة أمه وهو لا يزال في ريعان الصبي ، ثم موت جده بعد ذلك ، ثم كفالة عمه أبي طالب له ؛ ليعيش في كنفه وبين جمهرة أولاده ، يُدْرَسُ ذلك لنستخلص الآثار والأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية التي كانت بمثابة إرهاص للدعوة الجديدة ، وهكذا ...

٢- كيف ربّى النبي ﷺ صحابته؟ هل رباهم جنودا يمتثلون ولا يناقشون ولا يستوعبون؟! فيكون هذا إيذانا ببداية مبكرة للتقليد والتعصب!! أم ربّاهم قادة يفكرون ولا يمتثلون إلا بعد الدراسة والبحث والمناقشة؟ وهذا تصورٌ الإفراط فيه مفضٍ إلى الاختلاف والغرور!! أم إن هناك طريقا ثالثة ، جعلتهم يمتثلون من غير تقليد ، ويفكّرون من غير استعلاء مقيت؟

ولنتأمل - مثلا - " فريضة الصلاة " وكيف أن الصلاة فرضت مبكرا في عمر الدعوة في سِنِيها الأولى بمكة ؛ ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ، وقيل غير ذلك (١). والصلاة في أوقاتها وعدد ركعاتها وهيئاتها مما لا قِبَل للعقل فيه لا بحثا ولا مناقشة ، بل هنا الامتثال المطلق والتسليم التام. وهذا الامتثال المطلق صار منهجا سلوكيا ينتهجه الصحابة الكرام ، ففي غزوة تبوك " غزوة العسرة " عندما أصابت المسلمين مجاعة شديدة ، استأذنوا النبي ﷺ أن يذبحوا بعض الإبل؛

---

(١) ابن سيد الناس: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير** (١/ ٢٥١).

ليأكلوا منها ويَدَّهِنُوا ، فأذن لهم النبي ﷺ ، فأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأشار على النبي ﷺ بألاّ يذبح - لما فيه من حصول المفسدة - ولكن ليدعُ النبي ﷺ الناس بفضل أزوادهم ، ثم يدع الله ؛ لعل الله أن يجعل في ذلك ؛ أي: بركة أو نماءً أو خيرا ... ففعل النبي ﷺ ما أشار عليه به صاحبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١).

بدراسة مثل هذه المواقف والمعاني وجمع نظائرها وقرائنها يمكن الوصول إلى الطريق الصحيحة التي عليها رَبَّى النبي ﷺ صحابته من خلال علاقته ﷺ بهم رضي الله عنهم ، وبذلك تتضح الصورة المتغياة من درس السيرة ، وتتكامل أبعاضها وأبعادها ، ليتسنى لنا الوقوف على " الأنموذج " أو " المثال " أو " المعيار " ، فيسهل علينا الاقتداء وحسن التأسي.

ب - رصد علاقة الصحابة الكرام بالنبي ﷺ - باعتبار المكان والزمان :

١ - مكة: كيف بدأت الدعوة سرية ثم جهرية؟ لماذا بدأت سرية؟ توقيت الجهر بها وما علة ذلك؟ هل هناك علاقة بين نوعية المؤمنين والدعوة وتوقيت الجهر بها؟ أم إن عوامل اجتماعية واقتصادية ودينية معينة هي التي وجهت هذا التوقيت؟ أم هذا محض توقيف شرعي لا دور للاجتهاد فيه؟ وهذا مهم جدا في تأصيل مسألة " مرحلية الدعوة " ، وهل أساليب الدعوة سرا أو جهرا من باب الاجتهاد أم من باب التوقيف؟ وعليه لابد من ضرورة المرور بمرحلة السرِّية ، وعليه - أيضا - تُدْرَسُ مسألة مشروعية " العمل السرى " !! وما يلابس هذا ويتفرع عنه ؛ حتى لا يكون أولادنا نهبا للأفكار

---

(١) الحديث بتمامه عند مسلم (٢٢) كتاب الإيمان ، باب من لقي الله تعالى عالما به دخل الجنة ، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

أيضا في مكة: ما نوعية المؤمنين بهذه الدعوة؟ وهل كونهم أخلاطا [سادة ؛ كأبي بكر - عبيدا ذكورا ؛ كبلال - إماءً ؛ كزنيرة مولاة عمر ، وأم عمار - عربا ؛ كالقرشيين - عجما ؛ كصهيب الرومي ...] هل يُعَدُّ مثل ذلك إرهاصا بعالمية الدعوة وعموم تطبيقها الآفاق ، وأنها ليست طبقية ولا فئوية...؟

٢- الحبشة: لماذا الحبشة؟ وهل كانت الهجرة إليها للاستضعاف؟ وإن كانت هذه هي العلة ، فلماذا هاجر إليها في المرة الأولى القرشيون - أهل العشيرة والقبيلة - أمثال: عثمان بن عفان [من أمية] وزوجته رقية [بنت رسول الله ﷺ] ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجته سهلة بنت سُهَيل ابن عمرو . والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ... (١) ولم يهاجر إليها المستضعفون فقط كالعبيد والإماء ، ثم لماذا لم يهاجر معهم أو إليها النبي ﷺ مع أمنها وثناء النبي ﷺ على مَلِكِها النجاشي؟!(٢)

هل هذا من قبيل النظر والاجتهاد؟ أم هو توقيف ونص - حتى ولو لم نعلمه؟ - وتأمل ما يترتب على توقيفية أعمال النبي ﷺ الدعوية من تقييد ؛ إذ كل من يقوم مقامه لن يكون موحىً إليه ، وعندها تتوقف أمور الدعوة ، وتصير الدعوة والنهوض إلى حملها مرحلة تاريخية جامدة انقضت وولت ، نذكرها لنعرف الماضي كالشأن نفسه مع تماثيل المتاحف !!! وهكذا في كل

---

(١) انظر الطبري: **تاريخ الأمم والملوك** (١/ ٥٤٦).

(٢) انظر الطبري: **تاريخ الأمم والملوك** (١/ ٥٤٦).

نظير ، ندرس ونحلل ونستخرج الفوائد والعِبَر.

٣- **المدينة** ، إنها مكان الدولة وقوة الدعوة ، وهنا تنوعت العلاقات وكَثُرَت ، وعليه نرصد مثل هذه العلاقات:

- في السفر. - في الحرب. - في المناسبات.
- في الجوع. - في الشبع. - في الشرب والسقيا والظمأ.
- في المشي. - عند الموافقة. - في الفتح والمشورة.
- في الفرح. - عند السؤال. - عند النزاع.
- في التجارة والعقود والمعاهدات. - في المجالس.

وهذا كله لنقف على جوانب وملامح التربية النبوية الإيمانية لصحابته ، لنرى كيف قاد الدين حياة المسلمين الأوائل وأرشدهم إلى وضع لبنات الحضارة الإسلامية الواعدة.

المستوى الثاني من الدراسة التحليلية للبناء السردي:

وذلك بالنظر في كل السياقات اللغوية والجغرافية والدينية والاجتماعية الملابسة للخبر ، ومحاولة الاستفادة من هذا جميعا في تحليل الخبر والوقوف على مغازيه ودلالاته ، ومحاولة تفسير الأحداث في ضوء هذه المعطيات المتاحة ، ومن ذلك مثلا "سراياه ؟ (١)" وهى عشرات عدة أرسلها خلال سِنِي هجرته بالمدينة ، بحيث لو وزعت هذه السرايا على السنين ، فلا يكاد

(١) جمع سَرِية: تشكيل عسكري ، من خمسة أنفس قد تصل إلى عدة مئات. انظر في هذا المعنى: (٣/ ٢٠٠٤ - لسان العرب لابن منظور) و(١/ ٤٤٥ - المعجم الوسيط).

يمر عام إلا قام فيه المسلمون بأكثر من عمل عسكري!!

ومن جملة هذه السرايا - التي كانت مقدمة لفتح مكة - سرية غالب بن عبد الله الكلبي ﷺ، ووقعت أحداثها في السنة الثامنة، وسنلاحظ الاستفادة من كل المعلومات اللغوية والجغرافية والاجتماعية، فقد أمر النبي ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي ﷺ أن يتوجه إلى بني المُلَوَّح بالكَديد، والكديد: ماء واقع بين مكة والمدينة، وأمره النبي ﷺ أن يغير عليهم، والكديد: ما غَلُظَ من الأرض، وأيضا هو: الرمل الناعم الكثيف (١)، فلعل "الكديد" يمكن تصوره بأنه تلٌّ يبطنه وادٍ رملي متسع، فيه ماء ينفجر به، يسمى الكديد، فعرف المكان كله به.

وبنو المُلَوَّح: إحدى عشائر ليث، من جملة عشائر أواسط الحجاز (٢)، وهذه العشائر منهم غفار وأسلم اللتان دخلتا في دين الله سبحانه؛ ولذا كان حرصُ النبيِّ ﷺ بعد صلح الحديبية وفتح خيبر أن يُجهِضَ أي تواجد عسكري قريب منه؛ ولذا وجّه هذه السرية.

انطلقت هذه السرية، وكان عينها جُنْدُب بن مكيث الجُهَنى ﷺ، فانطلق عَيْن السرية، حتى نزل تل الكديد عصرا، فانبطح عليه، وذلك قبل غروب الشمس، فخرج رجل من عشيرة بن المُلَوَّح، فنظر فرأى الصحابي منبطحا، فقال لامرأته: إني لأرى سوادا على هذا التل، ما رأيته في أول النَّهار، ثم قال لامرأته: ناوليني قوسي وسهمين من نَبْلى، فناولته، فرماني

---

(١) انظر لمجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط** (٢/ ٨١٠).

(٢) انظر هذه المعلومات عند د. صالح أحمد العلى: **دولة الرسول ﷺ في المدينة**، ص/ ٢٩٥-٣٠٦.

بسهم ، فوضعه في جنبي ، فنزعته ، ولم أتحرك ، ثم رماني بالآخر ، فوضعه في رأس منكبي ، فنزعته ولم أتحرك ، فقال لامرأته: لقد خالطته سهامي ، ولو كان عينا لتحرك، فإذا أصبحت فابتغي سهامي فخذيها لا تمضغها الكلاب. قال جُنْدُب بن مكيث: فأمهلناهم حتى إذا راحت روائحهم (أي إبلهم التي تأتي لتبيت وقت الغروب) واحتلبوا (حلبوا ماشيتهم) وسكنوا (قاموا ثم ناموا) ، وذهبت عَتَمَةُ الليل ، شننا عليهم الغارة ، فقتلْنا من قتَلَنا ، واسْتَقْنا النَّعم ، فخرجوا خفافا ، ليواجهوا السرية ، بين الطريقين بطن الوادى من قديد ، أرسل الله سبحانه سيلا حال بين الصحابة وبين المشركين، وانطلق الصحابة بما معهم من الأسرى والغنائم ، والمشركون لا يقدرون على مجاوزة السيل (١).

وبتحليل هذه السرية وفق المعلومات والسياقات خارج الحدث - ولكنها مؤثرة في فهم الحدث - كمعنى الكديد وأثر هذا المعنى في تصور هذا المكان ، والمعلومات الجغرافية كماهية عشيرة بني المُلَوَّح ، أين تعيش؟ وما موقع ديارها من المدينة؟ ودور هذه العشائر والقبائل في الصراع الدائر بين المسلمين وقريش؟ ، واستبطان ما عند المسلمين وإمامهم رسول الله ﷺ من معاني حب الدين ونشره والاجتهاد في نصرته وإدخال الناس فيه ، وأيضا حرص الرسول ﷺ على تضييق الخناق على قريش بمكة ، هذا كله وغيره قد يُفيد في دراسة هذه السرية (مثلا) ، واستخراج بعض الفوائد والعبر منها ، والتي من جملتها:

١- إزاحة سلطان قريش ، وإضعاف أثرها العسكري والديني على

(١) انظر للطبري: **تاريخ الأمم والملوك** (٢/ ١٤٤ ، ١٤٥).

عشائر العرب في أواسط الحجاز ، مما يفسح المجال لدخول هذه العشائر دين الله سبحانه.

٢- إظهار أن المسلمين قوة تطال كل عشيرة في جزيرة العرب ، مما يعني تحرك المسلمين الدعاة إلى الله سبحانه بأمان في جزيرة العرب بحماية الله لهم ثم بقوة وسلطان دولة المسلمين.

٣- بيان أن النبي ﷺ صاحب استراتيجية عسكرية طويلة النظر ، فهذه السرية كانت قبل فتح مكة بشهور قليلة ، وهي في الوقت نفسه تقع في طريق جيش المسلمين الفاتح بعد قليل ، فكان لزاما على المسلمين أن يطهروا خط سير جيشهم إلى مكة ؛ ولذا كانت هذه السرية ، وسنرى أن " قَدِيد " أو " قُدَيْد " إحدى محطات جيش المسلمين الزاحف على مكة!![1]

وهكذا في كل نظير من حادثة أو خبر ، لا يمكن قطعه عن سياقه الأعم، بل لابد من الوقوف على كل المعلومات التي تكتنف هذا الحدث لتصنيفها ثم تحليلها ؛ لاستخراج ما قد يكون مكنونا في طيات هذه المعلومات. ومعلوم أن المعلومات بجملتها تفيد ما لا تفيده المعلومة الواحدة، فتدبر هذا تسعد - إن شاء الله -.

إننا بتناول سيرة الرسول ﷺ لابد أن نتمثل هذا المنهج بكل أبعاده وأبعاضه سالفة الذكر ، وهذا المنهج - مع صعوبته - إلا أننا معه لابد أن نتحلى بالصبر. هذا هو المنهج الذي يرتضيه الباحث كي يكون نافعا ومؤثرا في درس السيرة. نعم هو صعب المنال ؛ لامتداده الزمني من جهة ، ولِعَدَم

---

(١) انظر للطبري: **تاريخ الأمم والملوك** (٢/ ١٥٦).

انحصاره في علم السِّيَرِ والتراجم!! وبهذا المنهج يمكن دراسة كل ما يُظَنُّ أنه مادة نافعة في هذا الباب ليدخل فيه معطيات كل العلوم والفنون.

ما أروع أن يقوم أهل العلم بتفعيل هذا المنهج وتبنيه في دراسة السيرة ؛ لنحقق المحافظة على نصوصها وفي الوقت نفسه نستخلص منها - وفق هذه المنهجية - الفوائد والعبر والأحكام ومناهج التعامل ، وهذا كله للخروج بصيغة حضارية عملية يمكن أن تقدم لعموم المسلمين ، نافعةً أفرادهم وأسرهم ومؤسساتهم وحكوماتهم ، والله المستعان.

** ** **

الفصل الثاني
قراءة سردية للسيرة النبوية

سبق الذكر أن السرد هو التتابع ، ولا يمكن لقارئ ناقد أو لقارئ يعيد قراءة السيرة ؛ لينتج منها الدلالات والفوائد أن يغفل هذا النوع من القراءة ، أعني القراءة السردية ، وسبق أن نَوَّهت إلى أهمية دراسة حياة التلاميذ والأصحاب لإنارة حياة الأستاذ والمعلم ، ومن هنا تكمن أهمية دراسة تاريخ الصحابة رضي الله عنهم .

ولما كان هذا المطلب من الطول بمكان ، ارتأى الباحث أن يركز على جانبين ، الأول : الجانب التربوي في حياة الصحابة ، هذا الجانب الذي يشكل وجدان المسلم وشخصيته وينمي عنده الانتماء لدينه وأعلامه الزاهرة المنيرة ، الثاني: رَدّ بعض الإشكال الواقع بين الصحابة ، وهذا الإشكال الذي ربما يُورد على عقول من لم يقف على حقائق التاريخ وبراهينه؛ ولم أعتمل في جمع هذه الإشكالات ، بل أَحَلْت القارئ الكريم على بعض القواصم والعواصم للقاضي ابن العربي المالكي رحمه الله .

وعليه فقد قسمت هذا الفصل إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: مجمل سيرة الرسول ﷺ ، قراءة سردية.

المبحث الثاني: المواقف التربوية في ترجمة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، دراسة علمية تأصيلية.

المبحث الثالث: مواقف الصحابة في الفتن ، رؤية تصالحية لا هوائية.

المبحث الأول

مجمل سيرة الرسول ﷺ ، قراءة سردية

سلك بعض أهل العلم طريقة مختصرة فى تصنيف بعض العلوم ، ومن هذه المختصرات ، ما كان متعلقا بالسيرة والتراجم ، وقد برع فى ذلك بعض المتقدمين كابن حزم ، والمتأخرين كابن عبد الوهاب ، فالأول له كتاب " الجمل " فى التاريخ ، والثانى له مختصر زاد المعاد لابن القيم. وهذه الطريقة تعكس حرص المصنف على تبسيط المعلومة وتقريبها دون شرح أو تطويل ، وهذه الطريقة تكون نافعة للمبتدئ فى الطلب ، وربما تكون مفيدة للمنتهى فى الطلب من باب التذكر.

واللافت للنظر أن كتب السيرة التى سردت أحداثها ، لم تُعْن كثيرا فى ترتيب بعض الأحداث ترتيبا صحيحا ، بل إن من أعظم إشكالات دراسة السيرة اضطراب أرباب السير والمغازى فى ترتيب الأحداث ؛ ولذا فقد بذلتُ جهدى فى تحرى الترتيب الأنسب وفق دلالات السياق وقرائن النصوص الأخرى متحريا الصحة من حيث الإسناد - ما استطعت إلى ذلك - والله المستعان.

ودونك مجمل السيرة - كما وفقنى الله سبحانه -:

هو النبى الرسول الخاتم: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ، وينتهى نسبه إلى معبد بن عدنان ، الذى هو من ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - وإسماعيل: هو الذبيح كما قال ربنا تعالى فى سورة الصافات.

ولد عليه الصلاة والسلام فى عام الفيل - فى محاولة أبرهة بن الصباح ملك اليمن لهدم الكعبة شرفها الله. وقد توفى والد النبى ﷺ وهو حمل فى بطن أمه "آمنة بنت وهب" ، وعبد الله "والد النبى ﷺ" هو الذبيح الثانى حيث نذر جد النبى ﷺ عبد المطلب لئن رُزق بعشرة من الولد ليذبحن منهم واحداً ، فلما رُزق كانت القرعة على عبد الله ، فى مرات متتالية حتى فدَّاه بمائة من الإبل ، فجرت سُنّة بعد. وقد ماتت أمه ﷺ أيضا بين مكة والمدينة بالأبواء بعد زيارتها لأقاربها ، ولم يستكمل سنه ﷺ إذ ذاك ست سنين، فكفله جده عبد المطلب وكان لا يفارقه أبدا حبا له ورقة ، حتى توفى هو أيضا والنبى ﷺ فى السنة الثامنة ، وانتقل ﷺ إلى أبى طالب حيث تولى تربيته وقدَّمه على ولده ، واستمرت كفالة أبى طالب للرسول ﷺ إلى أن بلغ اثنتى عشرة سنة أو تسعا: خرج مع عمه إلى التجارة بالشام ، فلما بلغ خمساً وعشرين سنة خرج ﷺ إلى الشام فى تجارة لخديجة ، ووقعت له خوارق عديدة ، فلما رجع تزوج خديجة رضي الله عنها ولم ينكح ﷺ عليها غيرها ، ومن شرفها: أن جبريل - عليه السلام - أمر النبى ﷺ "أن يقرأ عليها السلام من ربها ويبشرها ببيت فى الجنة من قصب" (١).

واشتهر فى مكة صدق النبى ﷺ وأمانته ، وتحنثه بغار حراء ، وبغضه الأوثان التى انتشرت فى بلاد العرب على يد الجاهلي الهالك عمرو بن لحى سيد خزاعة ، فانتشر الشرك على يده فى هذه البلاد التى كانت على ملة

(١) متفق عليه . أخرجه البخارى (٣٨١٩) ، ومسلم (٢٤٣٣) .

إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام.

وفى هذه الظلمة المدلهمة : نبع نور الوحى ، وأوحى إلى النبى ﷺ فى حادثة الغار المعروفة ونزلت أوائل سورة العلق ، قال ابن القيم - رحمه الله -: أول ما أوحى إليه ربه: أن يقرأ باسم ربه الذى خلق ، وذلك أول نبوته ﷺ ، فأمره أن يقرأ فى نفسه ، ولم يأمره بالتبليغ ، ثم أنزل الله عليه :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر:١-٢] فنبأه بـ : اقرأ ، وأرسله بـ : "يا أيها المدثر" ، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أنذر قومه ، ثم أنذر من حولهم من العرب ، ثم أنذر العرب قاطبة ، ثم أنذر العالمين أ.هـ(١).

فصدقته خديجة صديقة النساء ، كما صدقه وآمن به أبو بكر صديق هذه الأمة ، وأيضا ابن عمه على بن أبى طالب وخادمه زيد بن حارثة رضي الله عنهم ، وتتابع دخول الناس دين الله ، وهكذا ابتدأت الدعوة التى استمرت سراً بمكة ثلاث سنين ، ثم أُذن للنبى ﷺ بالجهر بالدعوة ، فكان ﷺ يجلس وحوله المستضعفون من أصحابه كعمار بن ياسر وخَبّاب بن الأرت وغيرهما رضي الله عنهم ، فاشتد إنكار قريش على النبى ﷺ وصحبه ، واستهزاؤها بهم ، بل وتعذيبهم حتى هاجر رهط من المسلمين فى السنة الخامسة إلى الحبشة ، ثم كانت الهجرة الثانية إلى الحبشة ، وكانت عدة من هاجر فيها ثلاثة وثمانين رجلا، ومن النساء تسع عشرة امرأة.

ثم نصر الله دينه بإسلام حمزة بن عبد المطلب فى السنة السادسة من الدعوة وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولكن فقد النبى ﷺ حماية ونصرة عمه بوفاته فى السنة العاشرة ، ثم تموت بعده زوج النبى ﷺ خديجة بنت

---

(١) ابن القيم : زاد المعاد فى هدي خير العباد (٣/ ١٤٣) .

خويلد ﵂ بثلاثة أشهر فضاق صدر النبى ﷺ بالمشركين ، لما رأى صلفهم وشدتهم ، فكانت رحلة " الإسراء والمعراج " تطييبًا لقلب النبى ﷺ وسلوانا له ، وقد جرت فى هذه الرحلة من الآيات الكثير ، وفيها كلمه ربه تعالى ، وأعطاه ما أعطاه ، وأعطاه الصلاة ، فكانت قرة عين رسول الله ﷺ ، ولكن أهل مكة كذبوه ، واشتدوا عليه وعلى أصحابه الكرام ، وازدادوا فى تعذيبهم والسخرية منهم ، ولذا اجتمعت همته ﷺ على ترك مكة. فخرج إلى الطائف معه مولاه زيد بن حارثة ، فأقام بينهم عشرة أيام يدعوهم إلى " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وهم يصدونه ، فرجع مرة أخرى إلى مكة ، وفى الطريق صرف الله إليه نفرا من الجن يستمعون القرآن منه ، فآمنوا به ﷺ وصدقوا برسالته.

وبعد عودته ﷺ إلى مكة اجتهد فى الدعوة إلى الله ، بل عرض نفسه على القبائل فى المواسم ، يدعوها ، ويرغبها فى دين الله تعالى ، ولكن كان الصد من العرب ، حتى قيض الله تعالى لرسوله رجال يثرب ليؤمنوا به. فبايع أهلُ يثرب (وكانوا من الشباب) رسول الله ﷺ مرتين متتاليتين فى سنتين متعاقبتين، بيعة العقبة الأولى ، وبيعة العقبة الثانية ، وأرسل النبى ﷺ معهم مصعب بن عمير ﵁ إلى المدينة ليعلمهم الدين ويقرئهم القرآن ، حتى فاض الإسلام وانتشر فى المدينة ، وأسلم وجهاء القوم وسادة الشباب كأسيد بن حضير وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وغيرهم كثير. وعندها أذن النبى ﷺ للمسلمين فى مكة بالهجرة إلى المدينة ، فهاجروا إلى المدينة بعد بيعة العقبة الثانية.

وخرج المسلمون أفرادا وجماعات ، وشاركت النساء الرجال فى الهجرة

وتحمل هَمّ الدين والشعور بالمسئولية العظيمة تجاه هذا الدين القَيِّم ، فكان أول المسلمين هجرة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، وحُبِست زوجته أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومى بمكة نحوا من سنة ، ثم هاجرت بمفردها ، حتى إذا كانت بالتنعيم لقيها أحد مشركى قريش فأوصلها إلى المدينة. وقيل أول من هاجر إلى المدينة: مصعب بن عمير ثم عامر بن ربيعة معه زوجته ليلى بنت أبى حَثْمة ، وقيل هى أول مهاجرة دخلت المدينة ، وقيل أم سلمة.

وهاجر جميع بنى جحش بنسائهم ، فاستولى أبو سفيان على دورهم بمكة فملكها ، وكانت ابنته الفارعة زوجةً لأبى أحمد عبد بن جحش. وكذلك هاجر إلى المدينة بنو غَنْم بن دُودان بنسائهم.

وخرج عمر بن الخطاب فى عشرين راكبا ، وكان يصلى بهم سالم مولى أبى حذيفة ، وكان أكثرهم قرآنا كما هاجر حمزة بن عبد المطلب فى طائفة ، وأيضا عبد الرحمن بن عوف فى رجال حتى نزلوا على سعد بن الربيع.

وهنا تفطن أهلِ مكة لهجرةِ المسلمينِ وتتابعِهم فِي الهجرة فحبسوا من قدروا عليه وأوثقوهم ، ومن هؤلاء عياش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاص، وسلمة بن هشام وغيرهم ، حتى كان النبى ﷺ يجتهد فى قنوت الصلاة داعيا "اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة" .

ما عند الله خير وأبقى: لما أراد صهيب أن يهاجر ، قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغتَ ، ثم

تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ لا والله ، لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلتُ لكم مالى أتخلون سبيلى؟ قالوا: نعم ، فقال: إنى جعلت لكم مالى ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ربح صهيب ، ربح صهيب .

من بقى بمكة بعد هجرة الصحابة: أقام الرسول ﷺ بمكة ينتظر الإذن الإلهى له بالهجرة ، ولم يبق بمكة أحدٌ من المسلمين إلا من حُبِس ، وأبو بكر وعلى رضي الله عنهما .

الهجرة إلى المدينة: لما أذن الله تعالى فى هجرة نبيه ﷺ إلى المدينة جاء الرسول ﷺ إلى أبى بكر فى نصف النهار - فى ساعة لم يكن يأتيه فيها - متقنعا ، فقال النبى ﷺ : "أخرج من عندك ، فقال: إنما هم أهلك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله قد أذن لى فى الخروج" فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله ! ، قال: نعم ، فقال أبو بكر: فخذ - بأبى أنت وأمى - إحدى راحِلَتىّ هاتين ، فقال ﷺ ، بالثمن. فانطلقا من خَوْخة (فتحة) فى بيت أبى بكر ليلا ، ومضيا إلى غار ثَوْر ، وانطلقت قريش تتبع آثارهما حتى انتهت إلى الغار ، وهنا قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا ، فقال ﷺ : "ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا" وَعمَّى الله سبحانه على القرشيين أمرهما. ومكثا فى الغار ثلاثا ، حتى جاءهما عبد الله بن أريقط الليثى وكان مشركا ، لكن أمِناه ، وكان دليلا ماهرا ، فارتحلا.

وهنا - بعد أن أفلت النبى ﷺ من القتل ، ولم يعثروا عليه - جَدَّت قريش فى الطلب ، ورصدت قريش مائة من الإبل لمن أتى بهما أو بأحدهما ، وفى طريقهما إلى المدينة أبصرهما سراقة بن مالك رضي الله عنه ، فأخذ رمحه وركب

فرسه يعدو خلفهم ، ليدركهم ويأخذ هذه المكافأة السخية ، فلما قرب منهم، وسمع قراءة النبى ﷺ ، لم يرجع ، فدعا عليه النبى ﷺ فساخت يدا فرسه فى الأرض ، فقال سراقة: ادع الله لى ، ولكما أن أرد الناس عنكما ، فدعا له رسول الله ﷺ فخلصت يدا الفرس فانطلق ، وسأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتابا ، فكتبه له أبو بكر بأمر رسول الله ﷺ ، فلما كان يوم الفتح ، أتى سراقة بكتابه ، فوفى له رسول الله ﷺ . وخَذَّل سراقة الناسَ عن طلب النبى ﷺ ، وكان يقول أيها الناس: قد استبرأت لكم الخبر ، وقد كفيتم ما ههنا!!

واستمر الركب الطاهر فى مسيره حتى وصل - يثرب - يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول ، على رأس ثلاث عشرة سنة من نبوته ، وكبر المسلمون فرحا بقدومه ، والتفوا حوله ، وحيوه بتحية النبوة ، ومكث النبى ﷺ فى بنى عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة ، وأسس مسجد قباء ، وهو أول مسجد أسس بعد هجرته ﷺ . ثم بنى رسول الله ﷺ مسجده من الطين ، وكان طوله نحوا من مائة ذراع وعرضه كذلك ، وعُمُده جذوع النخل ، وسقفه الجريد ، وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب ، وبنى بيوت نسائه إلى جانبيه بالطين وسقفها الجذوع والجريد.

فلما فرغ من بناء المسجد وبناء بيوت أزواجه ، بنى بعائشة رضي الله عنها فى شهر شوال من السنة الأولى للهجرة . وفى هذه السنة:

١- آخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

٢- وادع اليهود بالمدينة.

٣- زيدت الصلاة من ركعتين إلى أربع.

ولم يكن العمل الداخلى ليشغل النبى ﷺ عن أعدائه المتربصين به ، بل كان النبى ﷺ يعد أصحابه للجهاد ، من خلال الأعمال العسكرية الخاطفة المتلاحقة ، ففى هذه السنة وبعدها بأيام ، بعث رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب فى رمضان فى ثلاثين رجلا من المهاجرين لاعتراض قافلة لقريش جاءت من الشام ، فيها أبو جهل فى ثلاثمائة رجل من المشركين ، فالتقوا ولكن لم يحدث قتال وحجز بينهم مَجْدِىّ بن عمرو الجهنى ، وكان موادعا للفريقين ، وبعد شهر واحد ، وفى شهر شوال وبعد خمسة أشهر فقط من وصوله المبارك إلى المدينة بعث رسول الله ﷺ سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه فى ذى القعدة فى عشرين من الصحابة لاعتراض قافلة لقريش ؛ فخرجوا على أقدامهم ، يسيرون الليل ، ويكمنون النهار ، حتى بلغوا الخرار (موضع ببلاد الحجاز) لكن العير أفلتت منهم ، وفى شهر شوال ، وهو الذى بنى فيه رسول الله ﷺ بعائشة رضي الله عنها بعث عبيدة بن الحارث رضي الله عنه فى سرية من ستين رجلا من المهاجرين منهم سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه ، فلقى أبا سفيان رضي الله عنه عند رابغ ، فكان بينهما رمى بالسهام ثم انصرف الفريقان ، وكان سعد رضي الله عنه أول من رمى بسهم فى سبيل الله.

وهذه الأعمال العسكرية المتوالية كانت تربية نبوية للصحابة على الجهاد وتحمل مشاقه ، ومحاولة لانتزاع بعض حقهم المسلوب بمكة ، وفرض الهيمنة الإسلامية على أرض الشرك ؛ بإلقاء الرعب فى قلوب المشركين ؛ حتى لا يشعروا بالأمان فى تحركاتهم داخل جزيرة العرب... ؛ لذلك كان النبى ﷺ يبايع الصحابة فى الحرب على أن لا يفروا ، وربما بايعهم على الموت ، وكان من هديه ﷺ أنه إذا لقى عدوا دعا الله تعالى واستنصر به ، وأكثر هو

وأصحابه من ذكر الله والتضرع له ؛ امتثالا لقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال : ٤٥] كما كان من هديه ﷺ فى القتال أنه يشاور أصحابه ، ويتفقدهم ويسأل عن أحوالهم ، وكان ينهى عن قتل النساء والأطفال.

وفى هذه السنة الأولى أيضا: تُوفى بعض الصحابه منهم ضمرة بن جندب (وقيل غير ذلك ، فقد اختلف فى اسمه على عشرة أقوال) الذى قال لبنيه وهو مريض بمكة: اخرجوا بى منها ، فخرجوا به يريدون الهجرة ، ومات بالطريق ، فأنزل الله تعالى (١) قوله : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠] وفيها أسلم عالم اليهود ؛ عبد الله بن سلام رضي الله عنه .

السنة الثانية من الهجرة: وقد حدثت فيها طائفة من التشريعات منها فَرْضِ الجهاد وكان من قبل مأذونا به فى قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج : ٣٩] وهى أول ما أنزل فى القتال ، ثم فرض الله على المؤمنين قتال من يقاتلونهم فى قوله : ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠] ، ثم فُـرِض القتال مطلقا بقوله : ﴿ وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً

---

(١) إسناده حسن. له طرق كثيرة ، انظر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ): **جامع البيان عن تأويل آى القرآن** (٥/ ٣٢٣-٣٢٦) دار الفكر ، بيروت - ١٤١٥هـ=١٩٩٥م ، وانظر للسيوطى ، جلال الدين (ت ٩١١هـ): **الدر المنثور فى التفسير بالمأثور** (٢/ ٢٠٧) دار المعرفة ، بيروت (د.ت). وراجع لمقبل بن هادى: **الصحيح المسند من أسباب النزول** ص/ ٧٧ مكتبة ابن تيمية ، القاهرة - ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٣٦].

ولذا شهد هذا العام أعمالا جهادية متتالية عديدة، وإذا كان النبى ﷺ قد أرسل سراياه للإغارة على عير قريش أكثر من مرة فى السنة الأولى ، فإن العمل العسكرى أخذ بُعْدا جديدا بخروجه ﷺ على رأس سراياه أو جيوشه، فأول عمل فى هذا العام: خروجه ﷺ فى المهاجرين يعترض عير قريش ، فلم يلق كيدا ، وسَالَمَ فيها بنى ضَمْرة ، وتسمى هذه الغزوة بغزوة الأبواء. ثم غزا رسول الله ﷺ مرة ثانية فى الشهر الثالث من هذا العام وهو شهر ربيع الأول غزوة بُوَاط [1] يعترض عير قريش فلم يلق كيدا.

وأمام هذا الضغط العسكرى الإسلامى [خمسة أعمال عسكرية ضد عير قريش فى أقل من ثلاثة عشر شهرا عربيا] قررت قريش أن تجرد حملة عسكرية خاطفة ، فخرج كُرْز بن جابر الفِهْرى فأغار على مراعى المدينة واستاق كثيرا من الإبل ، فخرج النبى ﷺ بنفسه لمطاردته على رأس طائفة من الصحابة ، حتى وصل بدرا ، وفَرّ منه كرز. وبعد أسابيع قليلة وفى جمادى الآخرة خرج رسول الله ﷺ فى مائة وخمسين من المهاجرين ، يتعاقبون ركوب ثلاثين بعيرا ، يعترضون قافلة لقريش كانت عائدة من الشام ، حتى بلغوا ذى العشيرة من ناحية ينبع ، إلا أن عير قريش فاتتهم بأيام ، وكان من فوائد هذه الحملة العسكرية الإسلامية موادعة بنى مدلج وحلفائهم.

وبعد أيام وفى شهر رجب بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش رضي الله عنه فى اثنى عشر رجلا من المهاجرين كل اثنين على بعير ؛ يرصدون عيرا

---

(١) وادٍ وقيل جبل بجهينة.

لقريش ، حتى وصلت السرية (نخلة) بين مكة والطائف ، لكن سعد بن أبى وقاص وعتبة ابن غزوان رضي الله عنه فقدا بعيرهما ، فتخلفا عن السرية للبحث عنه. وكانت المفاجأة أن مَرَّت عير قريش تحمل تجارة قريش على سعد وعتبة ، فهاجما هذه القافلة ، وقتلا عمرو بن الحضرمى ، وأسرا عثمان ابن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان ، فكان ذلك أول قتل وأسر فى الإسلام. ووجد المشركون الفرصة سانحة للتشهير بالمسلمين فقال المشركون يزعم المسلمون أنهم يعظمون الأشهر الحُرُم ولا يقتلون فيها!!! ، فشق ذلك على النبى ﷺ وعلى المسلمين ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فالكفر والشرك ومحاربة دين الله واضطهاد أوليائه : أكبر عند الله من القتل ، وهذا هو المقصود بالفتنة.

وبعد أسابيع وفى شهر رمضان ، خرج النبى ﷺ فى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ، معهم سبعون بعيرا ، لملاقاة قافلة عظيمة لقريش ، وعلى رأس القافلة أبو سفيان بن حرب ، زعيم قريش ورأسها ، وكانت هذه أول عملية عسكرية يخرج فيها الأنصار ، حيث كانت رايتهم إلى سعد بن معاذ ، وراية المهاجرين إلى علىّ ، وكان لواء الجيش مع مصعب بن عمير - رضى الله عن الجميع -، ولكن أبا سفيان أفلت بالعير ، وخرجت قريش بجيشها فى قريب من ألف مشرك. ولما بلغ النبى ﷺ خروج الجيش القرشى ، استشار

أصحابه ، فتكلم المهاجرون بكلام حسن ، والنبى ﷺ يقول: أشيروا علىّ أيها الناس ، فقال سعد بن معاذ: إنى أقول عن الأنصار وأجيب عنهم ، فامض بنا حيث شئت ، وصِل حبل من شئت ، واقطع حبل من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت منها كان أحبَّ إلينا مما تركت ، فوالله لئن سرت بنا حتى تبلغ البِرْك [1] من غُمْدان لنسيرن معك ، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك. وتكلم غيره بكلام حَسَن ، فأشرق وجهه ﷺ وقال : " سيروا وأبشروا ، فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين ، وإنى قد رأيت مصارع القوم " [2].

فلما تراءا ، قال رسول الله ﷺ : " اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها ، جاءت تحادُّك ، وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أَحْنِهم الغداة وقال ورفع يديه ، واستنصر ربه ، وبالغ فى التذلل والتضرع لربه ، وقال " اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد فى الأرض بعد " [3]. فلما أصبحوا قلل الله تعالى المسلمين فى أعين المشركين ، كما قلل الكفار فى أعين المسلمين : ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [لأنفال: من الآية ٤٤].

وعدَّل كل جيش صفوفه ، ووقع القتال ، ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين ، وقاتلت الملائكة مع المسلمين ، فقتل من المشركين سبعون ، كما أُسِر سبعون ، وقد قتل من المسلمين أربعة عشر رجلا ، ومن جملة من قتل

---

(١) موضع بناحية اليمن.

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره (١١/ ٤٣) وفى تاريخه (٢/ ٤٣٥) ط روائع التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٣) أخرجه بنحوه مسلم (١٧٦٣- الجهاد والسير) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا به .

من المشركين: أبو جهل ، الذى لقبه رسول الله ﷺ بفرعون هذه الأمة ، ومنهم أيضا أمية بن خلف رأس الكفر الذى كان يعذب بلال بن رباح رضي الله عنه وإخوانه ببطحاء مكة ، وعقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحارث ، دُقَّتْ أعناقهم بعد المعركة على يد المسلمين. وسَحَب المسلمون الكفار فرموهم فى قَليب بدر ، ورجع النبى ﷺ مؤيدا منصورا مع الأسرى والغنائم فأخاف الله تعالى منه أعداءه ، ودخل ناس كثير فى دين الله تعالى ، وأمر النبى ﷺ قائلا: "استوصوا بالأسرى خيرا" (١).

ومن المواقف الطيبة فى هذه الملحمة ؛ يوم الفرقان ، أنه لما اقترب عسكر المشركين ، وعظ النبى ﷺ المسلمين ، وذكرهم بالثبات ، وبشرهم الجنة لمن قُتل فى سبيل الله ، فأخرج عمير بن الحمام رضي الله عنه تمرات من قَرْنه كان يأكلها ، ثم قال: "لئن حييت حتى آكل تمراتى هذه ؛ إنها لحياة طويلة فرمى بهن ، وقاتل حتى قُتِل "(٢)، فكان أول قتيل فى هذه الغزوة.

وموقف إيمانى آخر يدل على عظم الموالاة الإيمانية التى تقطع كل علائق الكفر ؛ حتى لو كانت مع الأقربين ، كان أبو عزيز بن عمير أسير عند أنصارى ، فقال أخوه مصعب للأنصارى: شُدَّ يدك به ، فإن أمه ذات متاع ، فقال أبو عزيز ، هذه وصيتك بى؟ فقال مصعب: إنه أخى دونك. قال أبو عزيز ؛ وكنت مع رهط من الأنصار ، فكانوا إذا قدموا طعاما

---

(١) أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير (٩٧٧) ، (٢٢/ ٣٩٣) ، والصغير (٤١٠) ، (١/ ١٧٥) ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/ ٨٩) ، رواه الطبرانى فى الصغير والكبير وإسناده حسن .

(٢)أخرجه مسلم (١٩٠١) .

خصونى بالخبز ، وأكلوا التمر ؛ لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ما يقع فى يد رجل منهم كِسْرة إلا نفحنى بها ، قال: فأستحيى فأردها على أحدهم ، فيردها علىّ ، ما يمسها.

ومن الأمور العظيمة فى هذه السنة: فرض صوم رمضان ، ورؤية عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأذان فى منامه ، فأمره النبى ﷺ أن يلقنه بلالا ، وفيها صرف الله عز وجل القبلة إلى الكعبة وكانت قَبْلُ إلى بيت المقدس. وفيها زَوَّج النبى ﷺ فاطمة ابنته إلى ابن عمه على بن أبى طالب رضي الله عنه .

السنة الثالثة من الهجرة:

وفيها طرد النبى ﷺ يهود بنى قَيْنُقاع [1] من المدينة وكان محاربوهم سبعمائة ، تشفع لهم عبد الله بن أبى بن سلول.

وفيها كانت معركة أُحد [2] فى شهر شوال ، وكان رأس جيش المشركين أبا سفيان بن حرب فى ثلاثة آلاف من قريش وحلفائها ، خرجوا من مكة يقصدون المدينة حتى نزلوا قريبا من جبل أحد ، فخرج النبى ﷺ فى ألف من أصحابه بعد مشورتهم ، فلما اقتربوا من أحد ، انخذل عدو الله رأس المنافقين عبد الله بن أبى بنحو من ثلث الجيش.

فلما كان صباح السبت رتَّب النبى ﷺ جيشه للقتال ، وجعل خمسين راميا على الجبل [3] وأمرهم أن لا يفارقوا أماكنهم فوق الجبل ، ولو رأوا

---

(١) شِعْب من اليهود كانوا بالمدينة.

(٢) وهو جبل علوه ١٢٨م والآن ١٢١م أو أقل ، وبين أحد ومسجد النبى ﷺ نحو خمسة كيلو مترات.

(٣) وهو جبل عَيْنين المقابل لجبل أحد ، وهو المسمى لاحقًا بجبل الرماة .

الطير تخطف عسكرَ المسلمين ، ونشب القتال ، ونصر الله المسلمين أول النهار ، وولى المشركون منهزمين ، فلما رأى الرماة ذلك تركوا أماكنهم ، فكَرَّ فرسان المشركين على الجبل فقتلوا من بقى من الصحابة عليه ، وانكسر المسلمون ، وخلص المشركون بعد مقتل كثير من المسلمين إلى النبى ﷺ يريدون قتله ، فمنعهم عَشَرةٌ من الصحابة حتى قتلوا جميعا ، ثم قاتلهم طلحة بن عبيد الله حتى دفعهم عنه ، وتَرَّس أبو دجانة على النبى ﷺ بظهره يتلقى النَّبل ولا يتحرك نصرة ودفاعا عن النبى ﷺ .

ومن مواقف هذا اليوم:

١) لما نَشر المشركون خبر مقتل النبى ﷺ مَرَّ أنس بن النضر بقوم من المسلمين قد ألقوا ما بأيديهم من السلاح ، فقالوا: قتل رسول الله ﷺ فقال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل القتال قائلا: إنى لأجد ريح الجنة من دون أحد ، وقاتل حتى قُتِل ، وَوُجِد به سبعون جراحة من طعنة سيف ورمح أو رمية سهم ونبل [1] .

٢) مر رجل من المهاجرين برجل من الأنصار – وهو متشحط فى دمه – فأخبره بمقتل النبى ﷺ ، فقال الأنصارى: إن كان قد قتل فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم ، فنزل قوله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] [2].

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخارى (٤٠٤٨) ، ومسلم (١٩٠٣) .

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره : جامع البيان عن تأويل القرآن (٦/ ٩٩) .

٣) كان حنظلة بن أبى عامر على فراشه جُنُبا ، فلما سمع صيحة الجهاد، خرج إلى أحد ، ولم يغتسل ، وحارب ، حتى رأى أبا سفيان بن حرب ، فَشَدَّ عليه ، وكاد أن يقتله ، لكن عاجله أحد المشركين فقتله رحمه الله ، فأخبر النبى ﷺ أن الملائكة تغسله[١].

٤) ذكر سعد بن أبى وقاص قال: قعدت أنا وعبد الله بن جحش صبيحة يوم أحد نتمنى ، فقلت: اللهم لَقِّنى من المشركين رجلا عظيما كفره شديدا حرْده (أى غيظه) ، فيقاتلنى فأقتله ، فآخذ سَلَبه ، فقال عبد الله بن جحش: اللهم لقنى من المشركين رجلا عظيما كفره شديدا حرده ، فأقاتله ، فيقتلنى ، قيل: ويسلبنى ثم يجدع أنفى وأذنى ، فإذا لقيت ربى فقال: يا عبد الله بن جحش ، فيم جُدِعْت؟ قلت: فيك يا ربِّ ، قال سعد: فوالله لقد رأيته آخر ذلك النهار وقد قتل ، وإن أنفه وأذنه لفى خيط واحد بيد رجل من المشركين ، وكان سعد يقول: كان عبد الله بن جحش خيرًا منى[٢].

وقتل من المسلمين فى ذلك اليوم سبعون منهم حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير ، وعبد الله بن جبير أمير الرماة ، وأنس بن النضر ، وطائفة من المهاجرين والأنصار - عليهم رحمة الله - كما قتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا. وبات النبى ﷺ ليلة الأحد بالمدينة ، وهم ما هم عليه من الجراح والقَرْح الشديد ، فلما كان يوم الأحد بعد صلاة الفجر ، نادى

---

(١) راجع لأبى نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٤٣٧) أثر (١٢٥٠) ، وراجع لابن حجر :التلخيص الحبير فى تخريج الأحاديث الرافعى الكبير (٤/ ٢١٩) أثر (٢٢٥٧) .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين (٢/ ٩٥) أثر (٢٤٦٤) .

النبى ﷺ بالمسير إلى ملاقاة المشركين ، وقال: " لا يخرج معنا إلا من شهد القتال " ، فاستجاب المسلمون ، وساروا مع النبى ﷺ حتى بلغوا حمراء الأسد (١) على بعد ثمانية أميال (٢) من المدينة وقيل مكثوا بحمراء الأسد ثلاثة أيام هي الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، فألقى الله فى قلوب المشركين الرعب ، ولم ييأس المسلمون من قول الذين يخوفونهم بقريش ، وفى ذلك أنزل الله قوله : ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٢-١٧٤] (٣).

ومن مواقف هذه السنة وطرائفها ومن مات فيها:

* مقتل أسد الله وأسد رسول الله ﷺ أبى يعلى وقيل أبى عمارة حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ، وكان أخا للرسول ﷺ من الرضاعة ، أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب ، وكان سنه عند استشهاده رحمه الله ما بين الخمسين إلى الستين.

* عقد عثمان بن عفان رضي الله عنه على بنت رسول الله ﷺ أم كلثوم بعد وفاة أختها رقية ، فى ربيع الأول ، وبناؤه بها فى جمادى الآخرة.

---

(١) بينها وبين المدينة ١٢,٨٠٠كم.

(٢) الميل = ١٦٠٠م.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١١/ ٢٤٧) أثر (١١٦٣٢) ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/ ١٢٤) ، رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة . انظر " مجمع الزوائد " ط. مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان - ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

* ولد لفاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن على بن أبى طالب ، وفيها أيضا حَمَلَتْ بالحسين ، رضى الله عن الجميع.

السنة الرابعة من الهجرة:

فى شهر صفر بعد أربعة أشهر من أحد ، أتت طائفة من عَضَل والقارة ، - بطنان من العرب مشهوران بالرمى - النبى ﷺ يسألون بَعْث بعض الصحابة ليفقهوهم فى الدين ويقرئوهم القرآن ، ويعلموهم شرائع الإسلام ، فإن فيهم إسلاما ، فبعث النبى ﷺ بطائفة من الصحابة قيل كانوا ستة ، وقيل كانوا أكثر من ذلك ، وأَمَّرَ النبى ﷺ عليهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، ومن جملة الدعاة: عاصم بن ثابت الأوسى ، وخبيب بن عدى من بنى عمرو بن عوف ، وزيد بن الدِّثِنَّة ، فساروا حتى إذا كانوا بماءٍ لهذيل يسمى بـ " الرَّجيع " قريب من مكة ، خرجت عليهم هذيل ، وغدرت بهم عَضَل والقارة ، فقتلوا جميع الدعاة ، وأسروا خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة ، فقدموا بهما مكة ، فاشتراهما أهل مكة وقتلوهما لبعض قتلاهم يوم بدر.

ومن المواقف المشهورة فى هذه الحادثة:

١ - **قصة قتل خبيب بن عدى** ، أن المشركين لما أجمعوا قتله ، استعار موسى من بعض بنات الحارث بن عامر [وكان خبيب قد قتله يوم بدر] يَسْتَحِدّ بها ، فأعطته إياها ، قالت: فغفلت عن صبى لى ، فدرج إليه حتى أتاه ، فوضعه على فخذه ، قالت: فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك منى وفى يده الموسى ، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله. وكانت تقول: ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب ، لقد رأيته يأكل من قِطْف

عنب وما بمكة يومئذ ثمرة ، وإنه لموثق فى الحديد ، وما كان إلا رزقًا رزقه الله. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه ، فقال: دعونى أصلى ركعتين ، ثم انصرف إليهم ، فقال: لولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لزدت ، فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو ، ثم قال: اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ، ثم قال:

ما أن أبالى حين أقتل مسلما على أى شق كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممـــزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله بأبيه [1].

٢- قصة عاصم بن ثابت ، ذلك أن قريشًا بعثت إلى عاصم ليُؤْتَوْا بشىء من جسده يعرفونه -وكان عاصمٌ قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر- فبعث الله عليه مثل الظلة من الدَّبْر فحمته من رسلهم ، فلم يقدروا فيه على شىء!! [2]

وفى الشهر نفسه (شهر صفر) كانت وقعة بئر مَعُونة [3]، بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلا من القُرَّاء لبعض بطون بنى سليم ؛ هى رعل وذكوان

---

(١) هذا لفظ البخارى (٤٠٨٦) كتاب المغازى ، باب: غزوة الرجيع ... من حديث أبى هريرة رضي الله عنه والأوصال: جمع (الوُصْل) وهو المِفْصل أو كل عظم لا يوصل به غيره (٢/ ١٠٨٠-المعجم الوسيط) والشِّلْو: أعضاء جسم الإنسان المفرقة (١/ ٥١٢-المعجم الوسيط).

(٢) هذا لفظ البخارى ، فى تتمة الخبر الماضى ، والظُّلة: ما يُظَلِّل به كالسحاب والشجر ونحوه (انظر ٢/ ٥٩٨-المعجم الوسيط) ، والدَّبْر: جماعة النحل والزنانير (١/ ٢٧٩-المعجم الوسيط).

(٣) مَعُونة: موضع بين مكة والمدينة تقع فى أرض بنى سُلَيْم.

وعصية وبنو لحيان ؛ ليدعوهم إلى الإسلام وليساعدوهم - إن احتاجوا - على عدوهم ، لكنهم غدروا بهم عند بئر معونة ، وتركوا حلفاءهم ؛ بنى عامر، ليقتلوا كل الصحابة إلا عمرو بن أمية الضمرى ، فإن المشركين أسروه وجزوا ناصيته وتركوه ، حتى أتى النبى ﷺ فأخبره خبر أصحابه [1].

من مواقف هذه الموقعة:

١- لما قُتِل الصحابة فى بئر معونة ، قالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا ، فأخبر الله تعالى عنهم [2].

٢- كان هؤلاء القراء أثناء سيرهم يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل[3].

٣- عندما عَلِم النبى ﷺ بمقتلهم دعا شهرا يقنت فى صلاته على رعل وذكوان وعُصَيَّة [4] وبنى لحيان وهذا أول القنوت.

٤- عن أنس بن مالك قال: لما طُعن حرام بن ملحان - وكان خاله - نضح الدم على وجهه ورأسه ، وقال: فزت ورب الكعبة[5].

٥- عند قدوم عمرو بن أمية بعد مقتل أصحابه قتل رجلين من بنى

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخارى (٣٠٦٤ - جهاد) ، ومسلم (٦٧٧) .
(٢) متفق عليه . أخرجه البخارى (٣٠٦٤ - جهاد) (٤٠٩٠ - مغازي) ، ومسلم (٦٧٧) .
(٣) البخارى (٣٠٦٤) .
(٤) قبيلة من سُلَيْم.
(٥) متفق عليه . أخرجه البخارى فى غير موضع منه (٢٨٠١) كتاب الجهاد والسير ، باب: من يُنكت أو يطعن فى سبيل الله ، ومسلم (٦٧٧) كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد .

عامر ، ولم يعلم أنهما فى عهد رسول الله ﷺ ، قتلهما ثأرا لأصحابه.

غزوة بنى النضير ، وكانت فى شهر ربيع الأول بعد أيام من موقعة بئر معونة [١]، وفيها أنزل الله تعالى سورة الحشر ، وتسمى أيضا بسورة بنى النضير. وبنو النضير قبيلة يهودية تسكن المدينة ، دخلت عهد رسول الله ﷺ ، فلما قتل عمرو بن أمية هذين المعاهدين من بنى عامر ، ذهب النبى ﷺ إلى بنى النضير ليساعدوه على دية القتيلين ، إلا أنهم غدروا وأرادوا قتله ﷺ، فأمر النبى ﷺ بالتهيؤ لحربهم ، فحاصرهم ست ليال ، وتحصنوا فى الحصون، ورموا المسلمين بالنبل ، فأمر النبى ﷺ بقطع النخيل وتحريقها ، وألقى الله فى قلوبهم الرعب ، فصالحوا على الرحيل وألاّ يصحبوا شيئا من السلاح إهانة لهم واحتقارا ، وخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين [٢].

ومن تشريعات ومواقف هذه السنة:

١- تشريع تحريم الخمر أثناء حصار بنى النضير [٣].

٢- فى شعبان وُلِد الحسين بن على بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

٣- فى رمضان تزوج النبى ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية ،

---

(١) هذا وقد وقع نزاع فى توقيتها شأن كثير من الأحداث.

(٢) أخرجه البخارى (٤٨٨٢) ، ومسلم (٣٠٣١) عن سعيد بن جبير : ... قال قلت لابن عباس : سورة الحشر ؟ قال نزلت فى بنى النضير ، وأورد ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم (٨/ ٥٨) قصة غزوة بنى النضير وذكر حديث أبى داود الذى خرجه فى سننه (٣٠٠٤) ثم ذكر ملخصا للغزوة وسببها .

(٣) راجع السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٧١) ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ط ١ ١٤١٦هـ =١٩٩٥م ، تحقيق/ مجدى فتحى السيد .

وكانت تسمى "أم المساكين" لكثرة صدقاتها عليهم ، فمكثت شهرين أو ثلاثة ثم توفيت.

٤- فى شوال تزوج النبى ﷺ أم سلمة بنت أمية وكانت ذات سن وولد.

٥- أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود ، فتعلمه فى خمسة عشر يوما.

٦- بيان حكم الفىء (١).

السنة الخامسة من الهجرة: قام المسلمون فيها بأعمال عسكرية مهمة هى:

١- **غزوة دومة الجندل** ، وكانت فى ربيع الأول ، ودومة الجندل قريبة من الشام ، تحت حماية الروم ، وكانت بها بنو تميم ، يظلمون المارّ ، ويجمعون لغزو المدينة ، فغزاهم النبى ﷺ فى ألف من المسلمين ؛ يسيرون الليل ويكمنون النهار ، حتى فاجأهم النبى ﷺ فأصاب من أصاب وهرب من هرب ، وبَثّ النبى ﷺ سراياه هنا وهناك ، ورجع ﷺ منصورا مؤيدا.

٢- **غزوة بنى المُصْطَلِق** ، وهى غزوة المريسيع ، والمريسيع ماءٌ لبنى المصطلق ؛ بطن من خزاعة ، وكانت الغزوة فى شعبان ، وابتدأ القتال بأن نادى عمر بن الخطاب فى الناس أن قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ، فأبوا ، فتراموا بالنبل ، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا

---

(١) أخرجه البخارى (٤٨٨٥) ، ومسلم (١٧٥٧) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قال : " كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ ، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، ينفق على أهله منها نفقة سنته ، ثم يجعل ما بقى فى السلاح والكراع ، عدة فى سبيل الله " .

على المشركين حملة رجل واحد ، وفى الصحيحين (١) أن النبى ﷺ أغار عليهم وهم غافلون ، فقتل مقاتليهم وسَبَى نساءهم وأولادهم ، وأموالهم ، وكان من جملة السبى ؛ جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها ، فأعتق المسلمون - بسبب هذا الزواج - مائة بيت من بنى المصطلق ، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ ، فكانت جويرية أعظم امرأة بركة على قومها.

- وفى أثناء عودة جيش المسلمين زاحم أجيرٌ لعمر بن الخطاب مولى لبعض الأنصار على ماءٍ ، فتشاجرا ، وصاح كل منهما ، يا معشر المهاجرين ، والآخر ، يا معشر الأنصار ، حتى كادا أن يتنافرا ، وحاول المنافقون انتهاز الفرصة لإشعال النار ، فقال عبد الله بن أبى بن سلول: أَوَ قَدْ فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أَعُدُّنا وجلابيبَ (٢) قريش هذه إلا كما قال الأول : " سَمِّن كلبك يأكلك " ، " أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل " (٣) ، ثم أقبل يحرض قومه على الفتنة ، لكن النبى ﷺ هَدَّأَ القوم ، وأمر الجيش بالرحيل ، ونقل زيد بن أرقم - وكان غلاما - ما قال عبد الله بن أبى إلى النبى ﷺ ، واقترح بعض الصحابة على

---

(١) متفق عليه . البخارى (٢٥٤١) ، ومسلم (١٧٣٠) .

(٢) جمع جِلباب ومن معانيها: المُلاءَةُ تشتمل بها المرأة وقال تعالى ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] وكأنه يهمز بالقرشيين أنهم كالنساء ، والجلباب يكنى به عن الفقر المحيط بالإنسان ، كما يحيط الجلباب ويغطى رأس المرأة وصدرها وظهرها ، وهذا فيه أيضا همز بالنبى ﷺ ومن معه من المهاجرين ، انظر فى التأصيل اللغوى للمادة ، ابن منظور: لسان العرب (١/ ٦٤٩، ٦٥٠).

(٣) أصل هذه الواقعة فى الصحيحين ، البخارى (٤٩٠٥) ، ومسلم (٢٥٨٤) .

النبى ﷺ قتله ، واقترح أسيد بن حضير الرفق ، فمال النبى ﷺ إليه ، وأتى عبد الله بن أبى يحلف أنه ما قال ، حتى ظن بعض الصحابة أن الغلام قد وهم ، فأنزل الله آيات المنافقين تبين كذب المنافق وصدق زيد بن أرقم ، واستمر النبى ﷺ مع جيشه فى المسير حتى نزلوا منزلا فناموا فيه (١)، وإنما أراد النبى ﷺ بذلك الرحيل المستمر أن يشغل الناس حتى لا يخوضوا فى أمر المنافق (٢).

- وفى أثناء العودة حَدَثَ حَدَثٌ اجتماعى خطير ألا وهو اتهام عائشة - زوج النبى ﷺ - الطاهرة العفيفة الصديقة بنت الصديق الأكبر أبى بكر رضي الله عنها هذه الحادثة التى سُمِّيت بحادثة الإفك (٣).

وذلك أن النبى ﷺ أقرع بين نسائه ، فوقعت القرعة على عائشة رضي الله عنها فخرج بها رسول الله ﷺ - وتلك كانت عادته مع نسائه - فلما قَفَلُوا: نزلوا فى طريقهم ، فخرجت عائشة لحاجتها ، ثم رجعت إلى القوم ، ففقدت عقداً لها، فرجعت تلتمسه فجاء الذين يُرَحِّلون هَوْدجها فحملوه وهم يظنونها فيه لأنها صغيرة السن ، فرجعت - وقد أصابت العقد - إلى مكانهم فإذا ليس به داع ولا مجيب ، فقعدت فى المنزل ، وظنت أنهم يفقدونها، ويرجعون إليها فغلبتها عيناها فلم تستيقظ إلا بقول صفوان بن المعطِّل رضي الله عنه : إنا لله وإنا إليه راجعون ، زوجة رسول الله ﷺ ! وكان صفوان فى مؤخرة الجيش ، فلما

---

(١) متفق عليه . البخارى (٤٩٠٠، ٤٩١٠ ، ٤٩٠٢، ٤٩٠٣) ، ومسلم (٢٧٧٢) .

(٢) والقصة بتمامها ذكرها ابن هشام فى السيرة (٣/ ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧) وإسنادها مرسل ، وراجع تاريخ الطبرى (٢/ ٦٠٥ ، ٦٠٦) .

(٣) الإفك: الكذب والزور والبهتان مع كيد ومكر.

رآها عرفها - وكان يراها قبل الحجاب - فاسترجع وأناخ راحلته ، فركبت وما كلمها كلمة واحدة ، ولم تسمع منه إلا استرجاعه ، ثم سار يقود بها ، حتى قدم بها ، وقد نزل الجيش فى حر الظهيرة ، فلما رأى ذلك الناس: تكلم كل منهم بشاكلته ، ووجد رأس المنافقين ، عدو الله عبد الله بن أُبىٍّ متنفَّساً فتنفس من قرب النفاق والحسد ، فجعل يتحدث بالإفك ، ويجمعه ويفرقه ، وكان أصحابه يتقربون إليه به.

فلما قدموا المدينة: أفاض أهل الإفك فى الحديث ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم ، ثم استشار فى فراقها فقال عليّ: النساء كُثُر ، وسل الجارية تصدقك ، وأشار عليه أسامة بإمساكها.

واقتضى تمام الابتلاء: أن حبس الله عن رسوله ﷺ الوحى شهرا فى شأنها ، ليزداد المؤمنون إيمانا وثباتا على العدل والصدق ، ويزداد المنافقون إفكا ونفاقا ، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها ، وتتم نعمة الله عليهم ، ولينقطع رجاؤها من المخلوق ، وتيأس من حصول النصر والفرج إلا من الله.

فدخل عليها رسول الله ﷺ ، وعندها أبواها فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: " يا عائشة ، إن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت قد ألممت بذنب فاستغفرى ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب ، تاب الله عليه. قالت لأبيها: أجب عنى رسول الله ، قال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله. فقالت لأمها مثل ذلك ، وقالت أمها مثل ذلك. قالت(*): فقلت: إن قلت

(*) وفى لفظ: وكنت جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن.

إنى بريئة - والله يعلم أنى بريئة - لا تصدقونى. ولا أجد لى ولكم مثلا إلا أبا يوسف ، حيث قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف:١٨].

قالت: فنزل الوحى على رسول الله ﷺ فأما أنا: فعلمت أن الله لا يقول إلا الحق ، فتغشى النبى ﷺ من الله ما كان يتغشاه ؛ تقصد الوحى ، فكان أول كلمة قالها رسول الله ﷺ : أما الله يا عائشة: فقد برأك ، فقال أبوىَّ: قومى إلى رسول الله ﷺ ، قلت: "والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله". فأنزل الله تعالى فى هذه القصة أول سورة النور من قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ... ﴾ [النور: ١١-٢٦] (١).

غزوة الخندق (الأحزاب) وكانت فى شوال فى هذا العام كما هو قول الجمهور ، لقد كثف المسلمون بقيادة النبى ﷺ نشاطهم بعد أحد ، وبالتالى لم يتذوق مشركو قريش لذة النصرة بل إن طريق تجارتهم إلى الشام مازال مهددا ؛ ولهذا لما ذهب بعض زعماء اليهود منهم سَلاَّم بن أبى الحقيق وحيى ابن أخطب إلى قريش يريدون تأليبها على النبى ﷺ شهدوا عند المشركين أن دين الشرك أفضل وأحب عند الله من دين النبى ﷺ وذلك قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝٥١ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء:٥١، ٥٢] وواصل وفد اليهود مساعيه بين القبائل العربية لجمعها على محاربة النبى ﷺ ، فذهبوا إلى "غَطَفَان" (٢)

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخارى (٢٦٦١ ، ٤٧٥٠) ، ومسلم (٢٧٧٠) .

(٢) من أعظم أحياء قَيس عَيْلان.

ووعدوها نصف ثمر خيبر إن شاركت فى هذا التحالف العسكرى ضد الإسلام. وذهبوا أيضا إلى بنى سُلَيم ، وكنانة ، وفزارة ، وبنى أسد ، وأهل تهامة ، والأحابيش ، هذا بالإضافة إلى يهود بنى قريظة جنوب المدينة ، وكان عدد جنود هذا التحالف عشرة آلاف وعدد المسلمين قريبا من ثلاثة آلاف.

وهنا أشار بعض المسلمين [1] بحفر الخندق ، فحفر الخندق فى المنطقة الشمالية من المدينة وكان طوله خمسة آلاف ذراع ؛ أى (ثلاثة وربع كيلومتر تقريبا) ، وعمقه سبعة أذرع إلى عشرة (٥,٦ م٢ تقريبا) ، وعرضه ستة أذرع = (٤ أمتار تقريبا). وكانت أحوال المسلمين صعبة ، فالجو شديد البرودة ، والمسلمون فى مجاعة شديدة ؛ فقد يلبثون الأيام بدون طعام [2]. وعاون النبى ﷺ أصحابه فى الحفر ، حتى تم الحفر.

ورتب النبى ﷺ جيشه ، فأسند ظهورهم إلى جبل سَلَع ووجوههم إلى الخندق ، وكانت هجمات المشركين لا تنقطع ؛ بدليل أن النبى ﷺ لم يستطع صلاة العصر فى وقتها ، بل صلاها بعد غروب الشمس ، ودام حصار الحلف الوثنى اليهودى الكافر لمعسكر الإيمان شهرا ، ثم أرسل الله جنده من الريح والخوف وغيرهما ، فدب الخلاف بين هذا التحالف ، ورحل المشركون، تاركين الخونة من يهود بنى قريظة ، الذين حالفوا المشركين ضد المسلمين مع ما بينهم وبين المسلمين من العهود والمواثيق!! وقتل من

---

(١) لا يصح دليل على أن المشير هنا هو: سلمان الفارسى رضي الله عنه .

(٢) فى الحديث المتفق عليه ، قال جابر : ثم قام وبطنه معصوبٌ بحجر - يقصد رسول الله ﷺ - ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا ، البخارى (٤١٠١) ومسلم (٢٠٣٩) ، واللفظ للبخارى - رحمه الله - .

المشركين أربعة ، ومن المسلمين ثمانية.

القضاء على يهود بنى قريظة ، وبعد المعركة توجه النبى ﷺ معه كتائب الإيمان ، فحاصر اليهود ، واشتد خوفهم ، ونزلوا فى النهاية على حكم سعد بن معاذ الأنصارى ، فحكم أن تقتل الرجال ، وتسبى النساء والذرية ، ويقسم المال ، فكان ما حكم به ، وأذل الله إخوان القردة!! وأنزل الله تعالى فى سورة الأحزاب آيات عديدة تصور هذه المعركة وما أعقبها من القضاء على يهود بنى قريظة. وأعز الله نبيه ﷺ والمسلمين. ولم يقتل من المسلمين على يد اليهود إلا خلاد بن سويد الخزرجى رضي الله عنه ، طرحوا عليه رحا فجرح جرحا شديدا ومات منه.

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم
مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ
بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ
يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا
عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟
ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ
ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ
ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ
ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً

عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ
ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ
فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن
يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ
وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا
وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ مِّنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ
وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ
يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ
وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾
وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٩-٢٧].

أهم أحداث هذا العام الهجرى:

١ - مقتل اليهودى الخائن أبى رافع سلام بن أبى الحقيق. وكان لعنه الله تاجرا مشهورا ببلاد الحجاز، وكان يؤذى رسول الله ﷺ ويعين عليه ؛ فقد كان أحد اليهود الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فأذن رسول الله ﷺ فى قتله، فخرج خمسة من الخزرج تحت إمرة عبد الله بن عتيك رضي الله عنه، ونهاهم رسول الله ﷺ أن يقتلوا وليدا أو امرأة، فخرجوا إليه فى حصنه بخيبر، فدخلوا عليه، وضربوه بالسيف، فصاحت امرأته، فكان الرجل

من الصحابة يرفع عليها سيفه ليقتلها فيذكر نهى رسول الله ﷺ فيكف ، ولولا ذلك لقتلوها ، فلما قتلوه وعادوا إلى النبى ﷺ كان على المنبر ، فقال ﷺ: "أفلحت الوجوه".

٢- مقتل خالد بن سفيان الهذلى. حيث دعا رسول الله ﷺ عبد الله بن أُنَيس وقال له: بلغنى أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى وهو بِعُرَنَة ، فائته فاقتله ، ثم أعلمه النبى ﷺ وصفه ، فانطلق إليه عبد الله بن أنيس ، وأتت الصلاة عبد الله بن أنيس فخاف فواتها ، فصلى وهو يمشى يومئ برأسه للركوع والسجود ، فلما انتهى إليه ، قال له عبد الله ابن أنيس! أنا رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجئتك لذلك ، فلما آمنه ، وثب عليه عبد الله بن أنيس فقتله ، فلما رجع إلى النبى ﷺ قال له ﷺ : "أفلح الوجه".

٣- وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه ، وذلك بعد منصرف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، فى أواخر ذى القعدة أو أوائل ذى الحجة ، رماه رجل من المشركين يوم الأحزاب ، فجرحه ، ثم حُسِم بالنار ، فاندمل الجرح ، لكنه انتقض ، وكان سعد رضي الله عنه قد دعا ألا يميته الله حتى يقر عينه من بنى قريظة - حلفاؤه قبل الإسلام - لغدرهم ، وهو الذى نُزِلَ على حكمه ، فحكم فيهم بما سبق ، وفى البخارى أن العرش اهتز لموت سعد بن معاذ (١) - وذلك فرحا بروحه كما عند البيهقى بإسناد فيه كلام - ، وفى البخارى أيضا أن النبى ﷺ أهديت له حُلَّة من حرير ، فجعل الصحابة يمسونها ويعجبون من لينها ، فقال ﷺ : أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن

---

(١) متفق عليه . البخارى (٣٨٠٣) ، ومسلم (٢٤٦٦) .

معاذ - فى الجنة - خير منها أو ألين [١]. وعند مسلم أن الذى أهدى إليه هو أكيدر دومة الجندل، وذلك قبل النهى عن الحرير [٢].

٤- تزوج النبى ﷺ بأم حبيبة بنت أبى سفيان، وكانت بالحبشة، فبعث النبى ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى ملك الحبشة "النجاشى" فزوجه أم حبيبة.

٥- تزوج النبى ﷺ بزينب بنت جحش، وهى ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب، كان ذلك فى ذى القعدة، وكانت قبل هذا عند مولاه زيد بن حارثة، وفى هذا قصة ذكرتها سورة الأحزاب.

٦- نزول الحجاب وفرضيته صبيحة زواج النبى ﷺ من زينب بنت جحش، ونزول قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣]

السنة السادسة من هجرته ﷺ، كانت من السنوات الحاسمة فى تاريخ الدولة الإسلامية التى أسسها النبى ﷺ فى المدينة، فقد شهدت هذه السنة صلح الحديبية الذى أفسح الطريق للنبى ﷺ أن يصفى الوجود اليهودى فى بلاد العرب كافة بهذه الحملة الإسلامية واسعة النطاق ضد

(١) متفق عليه. البخارى (٢٦١٥)، ومسلم (٢٤٦٨).
(٢) متفق عليه. البخارى (٢٦١٦)، ومسلم (٢٤٦٩).

اليهود فى خيبر وما حولها. وها هى بعض الأعمال العظيمة فى هذه السنة المباركة.

صلح الحديبية مع مشركى قريش (*)، وكان ذلك فى شهر ذى القعدة ، والحديبية بئر فى الطريق إلى مكة وسنركز الكلام - لطول الحدث - فى النقاط الآتية:

١- خروج النبى ﷺ إلى الحديبية ؛ وعرضه الصلح ، واستمساكه بالدين ، فقد خرج النبى ﷺ فى خمس عشرة مائة وقيل أربع عشرة مائة من المهاجرين والأنصار معهم الهدى قاصدا مكة يريد بيت الله الحرام ، فلما كان ببعض الطريق أتاه عينه وكان من خزاعة يسمى بديل بن ورقاء ، يخبره أن قريشا قد جمعت له وهم مانعوه وصادوه ومقاتلوه عن البيت الحرام ، فقال رسول الله ﷺ إنا لم نجيء لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جموا ، وإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى ، ولينفذن أمر الله ، فقال بديل: سأبلغهم ما تقول.

وقال النبى ﷺ : أشيروا أيها الناس علىَّ ، فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له ،

(*) والسياق هنا (- باستثناء عدد الجيش - فقد أخرجه أيضا البخارى (٤١٥٣) كتاب المغازى ، باب: غزوة الحديبية ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما) للبخارى (٢٧٣١، ٢٧٣٢) كتاب الشروط ، باب: الشروط فى الجهاد ... من حديث المِسْور بن مخرمة ومروان رضي الله عنهما لكن جَزَّأْتُه طلبا للاختصار والتركيز.

فمن صدنا عنه قاتلناه ، فقال ﷺ : امضوا على اسم الله ، حتى نزلوا بأقصى الحديبية فشرب الناس البئر ، حتى لم يدعوا فيها قطرة ، فأتى النبى ﷺ ودعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فى البئر فجاشت لهم بالرِّى حتى سقوا.

٢- تواتر رسل قريش لاستطلاع أمر النبى ﷺ وهديه ﷺ مع الرسل - وإن كانوا مشركين - وهدى الصحابة معه : نقل بديل رأى النبى ﷺ إلى قريش فأرسلوا عروة بن مسعود الثقفى ، فأتى النبى ﷺ وكان يكلمه ، فكلما كلمه أخذ بلحية النبى ﷺ والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبى ﷺ ، فكلما أهوى عروة إلى لحية النبى ﷺ ضرب المغيرة بنعل سيفه يد عروة ، ثم إن عروة جعل ينظر فى أصحاب النبى ﷺ ، وقال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له ، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أى قوم! والله لقد وفدت على الملوك ؛ وفدت على قيصر وكسرى والنجاشى ، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمدًا ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بنى كنانة (وكانوا ممن يعظمون البيت): دعونى آتيه ، فقالوا: ائته ، فلما أشرف على النبى ﷺ وأصحابه ، قال رسول الله ﷺ : هذا

فلان ، وهو من قوم يعظمون البُدْن فابعثوا له ، فأرسل الصحابة البُدْن واستقبله الناس يلبون ، فلما رأى ذلك ، قال: سبحان الله! ما ينبغى لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت!!

وأرسلت قريش أيضا مكرز بن حفص ، فلما أشرف على النبى ﷺ وأصحابه ، قال رسول الله ﷺ : هذا مكرز ، وهو رجل فاجر ، فجعل يكلم النبى ﷺ ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو ، فقال رسول الله ﷺ : لقد سهل لكم من أمركم ، فقال سهيل: هاتِ فاكتب بيننا وبينكم كتابا ، فدعا النبى ﷺ الكاتب ، فقال النبى ﷺ : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو ، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب ، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبى ﷺ : اكتب باسمك اللهم ، ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال رسول الله ﷺ: والله إنى لرسول الله وإن كذبتمونى! اكتب: محمد بن عبد الله ، على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به ، قال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتب ، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، قال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟

وهنا وقفة لابد منها : ذلك أن نفرا من الناس أجازوا الوقوع فيما لا يجوز من التوافق مع عبدة الصليب أو المنافقين من العلمانيين وغيرهم زعماً أنهم يريدون تحكيم الشريعة الإسلامية !! وحجتهم أن النبي ﷺ توافق مع

المشركين فى صلح الحديبية ، فترك بعض الواجب الشرعى لدفع مفسدة أعظم !! فتنازل عن بسم الله الرحمن الرحيم إلى باسمك اللهم ، وتنازل عن رسالتيه لبشريته ، فعدل عن محمد رسول الله ﷺ إلى محمد بن عبد الله ...

والجواب : لا يجوز الاستدلال بذلك ، لوجوه كثيرة ، منها :

أولاً : أن ما فعله النبي ﷺ كان بوحى من الله سبحانه ، حيث أعلم ربنا نبيه أن فتحًا وفرجًا سيكون بعد هذا الصلح (١)، فكان هذا الصلح حكمة بالغة ومصلحة مستقبلة يقينية (٢).

ثانيًا : وهو وجه قوى ، أن النبي ﷺ لم يترك واجبًا أو مستحبًا شرعيًا لفعل حرام ، بل هو عدل من مشروع إلى مشروع ، فأين هذا من هذا ؟!!

ثالثًا : أن فعله ﷺ طاعة لله ؛ لقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه - وسيأتى - "إنى رسول الله ! ولست أعصيه ، وهو ناصرى" (٣).

---

(١) انظر فى هذا لابن حزم ، على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) : **الإحكام فى أصول الأحكام** (٥/ ٢٦) دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان، ط٢ - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(٢) انظر فى معنى هذا عند ابن العربى ، محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣هـ) : **أحكام القرآن** (٤/ ١٧٨٩) دار الفكر العربى (د.ت) ، تحقيق : على محمد البجاوى ، وانظر فى هذا المعنى أيضًا الشوكانى، محمد بن على (ت ١٢٥٠هـ) : **فتح القدير ، الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير** (٥/ ٧٣) تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، ط٣ - ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م ، وانظر أيضا لابن القيم ، محمد بن أبى بكر (ت ٥٧١هـ) : **شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل** ص: ٧٣، ٧٤ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط١ - ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .

(٣) سيأتى هذا السياق بعد قليل .

٣- مجىء أبى جندل ابن سهيل بن عمرو رضي الله عنه، بينما هم كذلك، إذ جاء أبو جندل يرسف فى قيوده ، وقد خرج من مكة هاربا حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل (وهو أبوه): يا محمد! أول من أقاضيك عليه أن ترده إلىّ ، فقال رسول الله ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد ، قال سهيل: فوالله إذا لم أصالحك على شىء أبدا ، قال النبى ﷺ : فأجزه لى ، قال سهيل: ما أنا بمجيزه لك ... قال النبى ﷺ : بلى فافعل ، قال سهيل: ما أنا بفاعل ، قال مكرز: بلى قد أجزناه لك ، قال أبو جندل: أى معشر المسلمين! أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مُسلما! ألا ترون ما قد لقيت؟ - وكان قد عذب عذابا شديدا فى الله - فأخذوه إلى مكة.

٤- موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه **وفضل أبى بكر** رضي الله عنه ، أتى عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ فقال: ألست نبى الله حقا؟ قال رسول الله ﷺ : بلى ، قال عمر: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى ، قال عمر: فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن؟ قال رسول الله ﷺ : إنى رسول الله ، ولست أعصيه وهو ناصرى ، قال عمر: أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال رسول الله: بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال عمر: لا، قال رسول الله ﷺ فإنك آتيه ومُطوِّف به - قال عمر: فأتيت أبا بكر ، فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا؟ قال: بلى ، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى ، قال عمر: فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن! قال أبو بكر: أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق ، قال عمر: أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال أبو بكر: بلى! فأخبرك أنك تأتيه العام؟ فقال عمر:

لا ، قال أبو بكر: فإنك آتيه ومطوف به.

٥- موقف الصحابة وحصافة رأى أم المؤمنين أم سلمة. لما كتب كتاب الصلح ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا ، فلم يقم منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات. فلما لم يقم منهم أحد ، دخل النبى ﷺ على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس ، فقالت أم سلمة: يا نبى الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج النبى ﷺ فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك ، فلما رأى الصحابة ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا.

٦- تشكيل أبى بصير والضغط على المشركين. رجع النبى ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير ؛ رجل من قريش أسلم ، فأرسلت قريش فى طلبه رجلين ، فقالوا: العهد الذى جعلت لنا ، فدفعه النبى ﷺ إليهما ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، نزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنى لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا ، فقال: أجل والله إنه لجيد، فقال أبو بصير أرنى أنظر إليه، فلما أخذه أبو بصير قتله به، وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه : "لقد رأى هذا ذعرا" فقال: قُتل والله صاحبى وإنى لمقتول!! ، فجاء أبو بصير فقال: يا نبى الله! قد - والله - أوفى الله ذمتك ، قد رددتنى إليهم ثم أنجانى الله منهم، فقال النبى ﷺ : "ويل أمه مِسْعَرُ حرب لو كان له أحد"(١) فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر.

وهرب أبو جندل من قريش فلحق بأبى بصير ، فجعل لا يخرج من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبى بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فلا يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبى ﷺ تناشده بالله والرحم أن يرسل إليهم ، فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبى ﷺ إليهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٤-٢٦] ، وكانت حمية مكة أنهم لم يقروا أنه نبى الله ، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت.

٧- فضل من شهد الحديبية ، فى الصحيح (١) عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الحديبية : "أنتم خير أهل الأرض" . وفى مسلم (٢) عندما قال عَبْدٌ لحاطب بن أبى بلتعة رضي الله عنه : ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : "كذبت لا يدخلها من شهد بدرًا والحديبية" . وفى الصحيح أن أم ميسر سمعت رسول الله ﷺ يقول عند زوجه حفصة

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخاري (٤١٥٤ - المغازي) ، مسلم (١٨٥٦- ١٨٥٧- الإمارة) من حديث جابر بن عبد الله .

(٢) مسلم (٢٤٩٥) كتاب فضائل الصحابة.

ﷺ : " لا يدخل أحدٌ النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة (*) الذين بايعوا تحتها " (١).

غزوة ذى قَرَد، وكانت بعد الحديبية وقبل خيبر بثلاث ليالى - كما فى البخارى - فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن غطفان أغارت على لقاح النبى ﷺ بذى قرد، فأخذتها، فصرخ سلمة حتى أسمع أهل المدينة، ثم انطلق حتى أدركهم، فجعل يرميهم بالنبل وكان راميا، حتى استنفذ اللقاح منهم، وجاء النبى ﷺ والناس، فأردف النبي ﷺ سلمة خلفه على دابته ورجع به إلى المدينة.

من أحداث هذا العام:

١ - كثافة النشاط العسكرى للمسلمين ؛ أحد عشر عملا، وقد جابت سرايا المسلمين منطقة الحجاز حتى وصلت إلى دومة الجندل، من هذه الأعمال سرية كرز بن جابر الفهرى إلى العُرَنيين الذين قتلوا راعى رسول الله ﷺ.

(*) وكانت بيعة الصحابة للنبى ﷺ تحت الشجرة يوم الحديبية على الموت كما فى البخارى (٤١٦٩) كتاب المغازى، باب غزوة الحديبية، من حديث سلمة بن الأكوع على الموت وقصة هذه البيعة أن رسول الله ﷺ أرسل عثمان بن عفان إلى مكة ليبلغهم عنه رسالة، فقالت له قريش: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال عثمان: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، واحتبست قريش عثمان عندها، وبلغ النبى ﷺ أن عثمان قد قتل، وبايع الصحابة النبى ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت، وقيل على أن لا يفروا، ولم يتخلف عن البيعة إلا الجد بن قيس من بنى سلمة من الأنصار، وكان من المنافقين.

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٦ - فضائل الصحابة).

٢- فُرِض الحج.

٣- بعد الصلح ، أرسل النبى ﷺ كتبه ورسائله إلى ملوك الآفاق إلى قيصر وكسرى وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل - كما فى الصحيح - [(١)].

السنة السابعة من هجرته ﷺ . من جملة ما حصل هذا العام:

غزوة خيبر ، وكانت فى المحرم ، فقد مكث النبى ﷺ فى المدينة بعد عودته من الحديبية عشرين يوما تقريبا ثم خرج إلى قرية اليهود ومكمن قوتهم العسكرية فى جزيرة العرب ، وهى خيبر ، وهى التى وعده الله إياها فى قوله تعالى : ﴿ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨]. وكان جيش المسلمين ألفا وخمسمائة منهم ثلاثمائة فارس ، ولم يغب عن خيبر ممن شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله فضرب له النبى ﷺ بسهمه [(٢)].

أذن النبى ﷺ للمسلمين بالتحرك نحو خيبر ، حتى وصل ﷺ بجيشه قريبا منها ، فصلى العصر ، ثم دعا بالطعام فأكل وأكل الجيش ثم قام إلى المغرب ، وخرجت اليهود عند الصباح بمساحيهم ومكاتلهم وكانوا أهل زراعة ، فلما رأوا الجيش ، قالوا: محمد والله ، محمد والخميس [(٣)] فلما صلى الصبح ، قال: الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٤- كتاب الجهاد والسير) .

(٢) البيهقى: السنن الكبرى (٦/ ٣٣٥) ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت:٤٥٨هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، الجيزة (د.ت) .

(٣) الخميس: الجيش الجرار ؛ سمى بذلك لأنه خمس فرق: مقدمة ، قلب ، ميمنة ، ميسرة ، ساقة.

المنذرين. وقاتل أهل خيبر قتالا شديدا ، فقال رسول الله ﷺ لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح عليه ، فتطلع إليها الصحابة ، فدعا النبى ﷺ عليا ، فقالوا: هو يا رسول الله يشتكى عينيه ، وكان علىٌّ رمدًا ، فلما أتى علىّ بصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال على: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال رسول الله ﷺ : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعم.

وقاتل المسلمون ، فكان أول حصون خيبر فتحًا حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ، ألقيت عليه رحى منه فقتلته ، وخرج مرحب صاحب الحصن - وكان من فرسان اليهود الأشداء - يدعو إلى المبارزة فبارزه على رضي الله عنه وقتله علىّ رضي الله عنه ، ثم خرج "ياسر" أخو مرحب وكان قويا كأخيه فدعا إلى المبارزة ، فبارزه الزبير بن العوام وقتله الزبير رضي الله عنه ، واستولى المسلمون على الحصن. واستمر المسلمون يستولون على حصون اليهود بعد حصار وقتال ، حتى خضعت خيبر جميعها للرسول ﷺ ، واستولى جيش النبى ﷺ على مالها ونسائها وذراريها.

ومن جملة السبى: صفية بنت حيى بن أخطب ، حيث أعتقها النبى ﷺ وتزوجها وانتهت هذه الغزوة بأن صالح أهل خيبر وفَدَك (مقاطعة تتبع خيبر) رسول الله ﷺ ، وأراد النبى ﷺ أن يجليهم عن خيبر ، فقالوا: يا محمد! دعنا نكون فى هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ، فأعطاهم النبى ﷺ خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل ، وشرط عليهم الرسول ﷺ أن

يخرجهم منها إذا شاء ، وكان عبد الله بن رواحة ﷺ يأتيهم كل سنة فيقدر ما عليهم. فلما كان فى عهد عمر ﷺ قال عمر بن الخطاب ﷺ : "أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شئنا ، فمن كان له مال فليلحق به ، فإنى مخرج يهود ، فأخرجهم " (١) ، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وإبلا وعُروضا من أقتاب وحبال وغير ذلك(٢).

وفى هذه الغزوة:

١- نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية. كما فى الصحيحين (٣)، وفى لفظ أنه نهى أيضا عن أكل الثوم.

٢- أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى رجل أسود اللون قبيح الوجه ، لا مال لى ، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة؟ قال: نعم ، فتقدم الرجل فقاتل حتى قتل ، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول ، فقال: لقد حسن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك ، ولقد رأيت

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٥١) أثر رقم (٩٠) ط الرسالة . فى قصة ، ومن طريقه أخرجه - باللفظ المثبت هنا - أبو داود (٣٠٠٧) كتاب الخراج والإمارة والفىء ، باب: ما جاء فى حكم أرض خيبر، عن ابن عمر ﷺ .

(٢) أخرجه البخارى (٢٧٣٠) كتاب الشروط ، باب: إذا اشترط فى المزارعة ... من حديث ابن عمر ﷺ والأقتاب: جمع "قتب" وهو: ما يوضع على ظهر البعير للركوب ، وكل ما يعد للرحيل من وعاء أو مسكن صغير ... انظر (٢/ ٧٤٠- المعجم الوسيط) و(١/ ٣٤٧-المعجم الوسيط).

(٣) متفق عليه . البخارى (٣١٥٥- فرض الخمس) ، ومسلم (١٩٣٧ - الصيد والذبائح) من حديث عبد الله بن أبي أوفى .

زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبته عليه [1]...

٣- قدم جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه وإخوانه من الحبشة.

٤- حاصر النبى ﷺ فلول اليهود فى وادى القرى ، وقاتلهم قتالاً شديدًا ، حتى فتحها عنوة وعاملهم كما عامل أهل خيبر.

٥- محاولة اليهود قتل النبى ﷺ ، حين أهدوا إليه شاة مسمومة ، فجمعهم النبى ﷺ وقال لهم: هل جعلتم فى هذه الشاة سما؟ قالوا: نعم! قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك [2].

عمرة القضاء ، أقام النبى ﷺ بالمدينة بعد رجوعه من خيبر حتى شهر ذى القعدة ، وكان أثناء ذلك يرسل السرايا ؛ لتأديب الأعراب ، والدعوة إلى الإسلام. ثم خرج من هذا الشهر الذى صده فيه المشركون معتمرًا عمرة القضاء مكان عمرته التى صدوه عنها. وفى البخارى [3] أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة قال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب ، فأمر رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا بين الركنين. وقال ابن عباس -كما فى البخارى- إنما سعى النبى ﷺ بالبيت وبالصفا والمروة

---

(١) ذكره ابن سعد من دون إسناد ، انظر ابن هشام: السيرة النبوية (٣/ ٢٢٢) ونقله ابن القيم (٣/ ٣٢٣، ٣٢٤-زاد المعاد) عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه -والله أعلم-.

(٢) أخرجه البخارى (٣١٦٩) كتاب الجزية والموادعة ، باب: إذا غدر المشركون بالمسلمين ... من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وأيضا (٥٧٧٧) كتاب الطب ، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) البخارى (٥/ ١٨١) من حديث ابن عباس.

ليُرِىَ المشركين قوته [1]، وكون الرمل فى الطواف سنة مذهب الجمهور. وأقام النبى ﷺ والصحابة بمكة ثلاثا، ثم أمروه أن يخرج فخرج ﷺ . وفى هذه العمرة تزوج النبى ﷺ ميمونة بنت الحارث ﵂ وهو محرم، وبنى بها وهو حلال. ولعل إسلام خالد بن الوليد ﵁ كان بعد هذه العمرة.

ومما يذكر من أحداث لها دلالتها هذه العملية الفدائية التى قام بها الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومى ﵁ لتخليص بعض أسرى المسلمين فى مكة، فقد قال النبى ﷺ بالمدينة : " من لى بعياش بن أبى ربيعة، وهشام ابن العاص؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما، فخرج إلى مكة فقدمها مستخفيا، فلقى امرأة تحمل طعاما، فقال لها: أين تريدين يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين - تعنيهما - فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين فى بيت لا سقف له، فلما أمسى تسور عليهما، ثم أخذ صخرة فوضعها تحت قيدهما، ثم ضربها بسيفه فقطعهما، ثم حملهما على بعيره، فَعُثِر فجرحت إصبعه، فقال:

هل أنتِ إلا إصبع دَميت   وفى سبيل الله ما لاقيت

ثم قدم بهما على رسول الله ﷺ المدينة.

السنة الثامنة من هجرته ﷺ :

وقد شهد هذا العام مواقع فاصلة فى تاريخ المسلمين منها:

سرية مؤتة، وكانت فى جمادى الأولى بعد عمرة القضاء بستة أشهر، وعدد المسلمين ثلاثة آلاف، أمرهم النبى ﷺ بالتوجه إلى أرض البلقاء من

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخارى (١٦٠٢، ٤٢٥٦) ومسلم (١٢٦٦).

أطراف الشام ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال: إن قتل زيد فجعفر ابن أبى طالب على الناس ، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس. فخرج الناس ، وكان ذلك يوم جمعة ، ومضى الجيش حتى اصطدم بجيش عبدة الصليب ، وكان عدده - فيما يقال - مائتى ألف من النصارى ، وروى البيهقى أن أبا هريرة رضي الله عنه قال - لما دنا النصارى - رأينا ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكُرَاع [1] والديباج والحرير والذهب ، فبرق بصرى، فقال لى ثابت بن أرقم رضي الله عنه: يا أبا هريرة! كأنك ترى جموعا كثيرة؟ قلت: نعم ، قال: إنك لم تشهد بدرا معنا ، إنا لم ننصر بالكثرة [2].

وكان القتال شديدا يقول خالد بن الوليد - كما فى البخارى - : لقد دق فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقى فى يدى إلا صفيحة يمانية [3]، وقاتل زيد رضي الله عنه [*] قتالا عظيما حتى قتل ، وتولى جعفر الإمرة فأبلى بلاءً حسنا ، فلما قتل ، وجدوا فيه خمسين وثبت أيضا تسعين ما بين ضربة

---

(١) الكُراع: اسم يجمع الخيل والسلاح.

(٢) البيهقى : أبو بكر أحمد بن الحسين ، (ت:٤٥٨هـ) **دلائل النبوة** (٤/ ٣٦٢) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١- ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م ، تحقيق / عبد المعطى قلجى .

(٣) البخارى (٥/ ١٨٣) كتاب المغازى.

(*) هو أول من أسلم من الموالى ، وهو الصحابى الذى لم يُسَمّ غيره فى القرآن ، بل قيل: هو أول من أسلم واتبع النبى ﷺ من الرجال ، انظر للطبرى ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): **تاريخ الأمم والملوك** (١/ ٥٤٠) دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٣-١٤١١هـ=١٩٩١م.

بسيف، وطعنة برمح ورمية بسهم ، وهو فى ذلك كله مقبل غير مدبر [١] ، وكان ممسكا بلواء الجيش ، حتى عندما قطعت يداه احتضنه حتى قتل - عليه رحمة الله - . وكان يقال لجعفر أبو المساكين ؛ لإحسانه إليهم ، وكان من السابقين فى هجرة الحبشة ، وقدم منها يوم خيبر ، وتولى الإمرة بعده عبد الله ابن رواحة رضي الله عنه فقاتل حتى قتل. وتولى خالد بن الوليد رضي الله عنه الإمرة ، وانحاز الجيش بعد أن فتح الله عليه وهُزِمت النصارى ، وحدثت بينهم مقتلة شديدة ، ورجع المسلمون بالغنائم والأسلاب ولم يقتل من المسلمين إلا ثمانية وقيل اثنا عشر صحابيًا.

هذا فى ساحة المعركة ، أما فى المدينة ، فإن النبى ﷺ نادى: الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس إلى رسول الله ﷺ فقال: أخبركم عن جيشكم هذا الغازي، إنهم انطلقوا فلقوا العدو ، فقتل زيد رضي الله عنه شهيدًا فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر رضي الله عنه فشد على القوم حتى قتل شهيدًا واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فأثبت قدميه حتى قتل شهيدًا فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد رضي الله عنه ولم يكن من الأمراء ، هو أمر نفسه ، ثم قال رسول الله ﷺ : " اللهم إنه سيف من سيوفك أنت تنصره" فمن يومئذ سمى خالد سيف الله. وفى رواية "أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يده" [٢]. وعند أبى داود والترمذى وابن ماجة ؛ أن

---

(١) انظر فى هذا رواية البخارى (٤٢٦٠، ٤٢٦١) كتاب المغازى ، باب: غزوة مؤتة ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند (٢٢٥٥١ ، ٢٢٥٥٦) ، والنسائى (٨١٥٩، ٨٢٤٩ ، ٨٢٨٢) .

النبى ﷺ قال: "اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم ما يشغلهم" [1].

سرية أسامة بن زيد، وكانت إلى الحُرُقَات [2] من جهينة، فقد روى البخارى أن أسامة رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصارى وطعنته برمحى حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبى ﷺ فقال: "يا أسامة! أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قلت: كان متعوذًا، فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[3]!!

الفتح الأعظم؛ فتح مكة، وكان فى شهر رمضان، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجًا ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:١-٣]. وسبب هذه الغزوة أن (بنى بكر) حلفاء قريش حاربوا (خزاعة) حلفاء النبى ﷺ فأمدت قريش حلفاءها وأعانوهم على خزاعة فأتى عمرو بن سالم الخزاعى يستنجد بالنبى ﷺ، فقال له الرسول ﷺ: "نصرت يا عمرو بن سالم" [4]، وأمر النبى ﷺ كتائب الإيمان بالتجهز، وكتمهم مقصده، ودعا الله أن يعمى على قريش

---

(١) حديث حسن. أخرجه أبو داود (٣١٣٢) والترمذى (٩٩٨) وابن ماجة (١١٦٠) من حديث عبد الله بن جعفر، وحسنه الألبانى، انظر له أحكام الجنائز (ح/ ١١٢).

(٢) مفردها: حُرَقَة، وهو الصخر المحروق.

(٣) متفق عليه. أخرجه البخارى (٤٢٦٩، ٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦).

(٤) ذكره الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٤٥) من طريق ابن إسحاق، انظر لابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ١١ط. دار الصحابة) كما رواه بسنده البيهقى، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ): دلائل النبوة (٥/ ٧).

خبره حتى ينعتهم ، ولذلك لما راسل حاطب بن أبى بلتعة ﷺ المشركين يخبرهم عزم النبى ﷺ على غزوهم ، أعلم الله رسوله ﷺ بالخبر ، وأُمْسِك بالكتاب، ولكن النبى ﷺ عفا عنه ؛ لكونه شهد بدرا وأيضًا الحديبية (١).

وتحرك جيش المسلمين فى عشرة آلاف من الصحابة ، وأفطر النبى ﷺ ليتقوى أصحابه بالفطر على وعثاء السفر ومشقة الطريق (٢)، وخرج العباس بن عبد المطلب بأهله وعياله مسلمًا مهاجرًا ، فوافى النبى ﷺ بالطريق (٣)، وأسلم بعدئذٍ أبو سفيان (٤)، ورأى قوة جيش النبى ﷺ وكان النبى ﷺ قد أعطاه عهدًا بأن من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن (٥).

---

(١) متفق عليه . البخارى (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) .

(٢) أخرج الإمام أحمد فى مسنده من حديث ابن عباس (٢١٨٥) قال : " صام رسول الله ﷺ يوم فتح مكة حتى أتى قديدًا، فأتى بقدح من لبن فأفطر ، وأمر الناس أن يفطروا " .

(٣) روى ابن سعد فى الطبقات الكبير : (٤/ ١٦) ، ثم خرج العباس بعد ذلك فلحق بالنبى ﷺ بالمدينة فأطعمه بخيبر مائتى وسق تمر فى كل سنة ، ثم خرج معه إلى مكة ، فشهد فتح مكة وحنين ، والطائف وتبوك ، وثبت معه يوم حنين فى أهل بيته حين انكشف الناس عنه .

(٤) أخرج أبو جعفر الطحاوى : أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى الحجرى المصرى (ت :٣٢١هـ) : شرح معاني الآثار (٣/ ٣١٩) أثر رقم (٥٤٥٠) / قصة : إسلام أبى سفيان ابن حرب على يد العباس بن عبد المطلب : رضى الله عنهما ، وقال فى تعليقه على هذا الأثر : فهذا حديث متصل الإسناد صحيح ، دار عالم الكتب ، ط١ -١٤١٤هـ = ١٩٩٤م ، تحقيق/ محمد زهرى النجار ، محمد سيد جاد الحق .

(٥) وأما ما كان من رؤية قوة المسلمين ، وتأمين من دخل بيته ومن أغلق عليه بابه فقد أخرجه البخارى (٤٢٨٠) ، ومسلم (١٧٨٠) .

فتفرق الناس ، ودخل الجيش مكة فاتحًا ظافرًا ، وكان رسول الله ﷺ عليه عمامة سوداء [(١)]، وذقنه على راحلته تخشعًا [(٢)]، ولم يلق الجيش بأسًا إلا ما كان من شأن بعض المشركين ، وقاتلهم خالد وقتل منهم اثنى عشر رجلا [(٣)]، ثم دخل رسول الله ﷺ البيت فاستلم الحجر ، ثم طاف بالبيت ، وفى يده قوس ، فلما أتي على صنم بالبيت جعل يطعن فى عينه ويقول : ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [(٤)] [الإسراء: ٨١] ، وكبر ﷺ فى نواحى البيت ودعا وخرج ولم يصل [(٥)].

وخطب النبى ﷺ - كما فى البخارى ومسلم -[(٦)] " إن الله حرم مكة يوم

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٣٥٨) .

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلى ، أحمد بن على المنين التميمى (ت:٣٠٧هـ) : فى مسنده (٦/ ١٢٠) أثر (٣٣٩٣) ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، تحقيق/ حسين سليم أسد .

(٣) أخرج البخارى فى الصحيح (٤٢٨٠) ، وفيه قال : وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداءٍ ، ودخل النبى ﷺ من كُدًا ، فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذٍ رجلان ...

(٤) روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث بن عبد الله بن مسعود : قال: دخل النبى ﷺ مكة ، وحول الكعبة ثلاثة مئة وستون نصبًا ، فجعل يطعنها بعود كان بيده ، ويقول : " جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا " (الإسراء:٨١) ، " : جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد " ، البخارى (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧٨١) .

وفى مسلم (١٧٨٠) ثم طاف بالبيت ، وفى يده قوس ، فلما أتى على صنم بالبيت جعل يطعنه فى عينه ويقول : ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ (الإسراء:٨١) .

(٥) متفق عليه . أخرجه البخارى (٤٢٨٨) ، ومسلم (١٣٣٠) .

(٦) متفق عليه . أخرجه البخارى (٤٣١٣) ، ومسلم (١٣٥٣) .

خلق السموات والأرض ، فهى حرام بحرام الله إلى يوم القيامة ، لا تحل لأحد قبلى، ولا تحل لأحد بعدى ، ولم تحلل لى إلا ساعة من الدهر ... وقال أيضا فى غير هذه الرواية: فإن أحدٌ ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم ...

وكان ﷺ رفيقًا رحيمًا ، فهذا صفوان بن أمية من رؤوس الكفر يُؤَمِّنُهُ النبى ﷺ ، فيقول له صفوان ، اجعلنى بالخيار فيه شهرين ، قال ﷺ : أنت بالخيار أربعة أشهر (١). ثم أسلم صفوان وحسن إسلامه، كما أسلم عكرمة ابن أبى جهل وحسن إسلامه.

وبث رسول الله ﷺ سراياه إلى الأوثان التى حول مكة فكسرت كلها كاللات والعزى ومناة ، ونادى مناديه بمكة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما إلا كسره (٢). بل أرسل النبى ﷺ سراياه إلى الأصنام فى قبائل العرب خارج مكة لهدمها فأرسل عمرو بن العاص لهدم سواع وهو لهذيل (٣).

وأقام النبى ﷺ بمكة بقية شهر رمضان تسعة عشر يومًا ، وقيل غير ذلك ، يصلى ركعتين ويفطر (٤)، ويأمر أهل مكة أن يتموا صلاتهم. وأقر

---

(١) رواه مالك فى الموطأ (١٢٤٩) ، كتاب النكاح ، باب نكاح المشرك إذا أسلمت زوجته قبله ، وراجع مسند أبى يعلى الموصلى (٣/ ٣٨٨) أثر (١٨٦٣) ، والشاهد: وكان يومئذٍ مشركًا فى المدة التى ضرب له رسول الله ﷺ .

(٢) راجع أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار للأزرقى ، أبى الوليد محمد بن عبد الله ابن أحمد (ت:٢٥٠هـ): (١/ ١٩٤ ، ١٩٥) أثر (١٥٠ ، ١٥١) ، مكتبة الأسدى ، ط١ - ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م ، تحقيق / أ.د عبد الملك ابن دهيش .

(٣) راجع أخبار مكة للأزرقى (١/ ٢٠٤ ، ٢٠٥) أثر (١٦٣) .

(٤) أخرجه البخارى (٤٢٩٨) .

عثمان بن طلحة على خدمة الكعبة [١] وقال له: " هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء " [٢].

غزوة هوازن ؛ يوم حنين: وكانت فى خامس شوال ، وحنين: موضع بين مكة والطائف ، وهوازن هم القبائل التى أتت لقتال النبى ﷺ ، ذلك أن هوازن وثقيف وغيرهم بقيادة مالك بن عوف اجتمعوا لملاقاة المسلمين ، فلما علم النبى ﷺ أرسل عيونه ليأتوه بالخبر. ثم تحرك جيش المسلمين اثنا عشر ألفا نحو المشركين ، لكنهم كمنوا للمسلمين ثم أمطروهم بالنبل وكانوا فى عماية الصبح ، فتفرق المسلمون منهزمين ، فانحاز النبى ﷺ ذات اليمين ، ثم قال: إلى أين أيها الناس؟ هَلُمَّ إلىّ أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله " وبقى مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

وممن ثبت من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته على والعباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه ، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن ابن أم أيمن رضي الله عنهم أجمعين ، ولما رأى مسلمة الفتح من أهل مكة ما حصل بالمهاجرين والأنصار خاضوا بما يسوء [٣]. وقال النبى ﷺ يا عباس اصرخ: يا معشر الأنصار ، يا معشر

---

(١) راجع أخبار مكة للأزرقى (١/ ٣٧٠) ، وما بعدها ، وراجع أيضًا مصنف ابن أبى شيبة (١٣/ ٣٧٣) أثر (٣٧٨٩٧) ، ومصنف عبد الرزاق (٥/ ١٣) باب ذكر المفتاح ، أثر (٩٧٣ ، ٩٧٥ ، ٩٠٧) .

(٢) متفق عليه . أخرجه البخارى (٤٣١٣) ، ومسلم (١٣٥٣) .

(٣) كما قال كلدةُ وكان أخ صفوان بن أمية ، وكان يومئذ مشركًا فى المدة التى ضرب له رسول الله ﷺ : " ألا بطل السحر اليوم " مسند أبى يعلى الموصلى (٣/ ٣٨٨) أثر (١٨٦٣) .

أصحاب السَّمُرة" فأجابوا: لبيك لبيك ، وأخذ الصحابة يؤمون الصوت حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ [١].

حتى إذا اجتمع منهم مائة ، استقبلوا المشركين وقاتلوهم ، وقال النبى ﷺ : "الآن حَمِيَ الوطيس " [٢]، وفتح الله على المسلمين يقتلون ويأسرون ويغنمون وأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة:٢٥، ٢٦].

سرية أوطاس: وهى موضع بين مكة والطائف ، ذلك أن المنهزمين من المشركين فى حنين فرت فرقة منهم تجاه أوطاس ، فَوَجَّه اليهم النبى ﷺ أبا عامر الأشعرى ، فقاتلهم ، وسبى النساء والذرية واستحوذ على أموالهم ، وقتل رحمه الله وطلب من ابن أخيه أبى موسى أن يستغفر له رسول الله ﷺ - كما فى البخارى ومسلم [٣] - فاستغفر له رسول الله ﷺ ودعا له ، كما استغفر ودعا لابن أخيه أبى موسى الأشعرى .

غزوة الطائف: وكان ذلك فى شوال أيضا ، عندما فرت ثقيف إلى الطائف تحصنوا بها ، وأغلقوا عليهم أبوابها ، واستعدوا للحصار والقتال ،

---

(١) مسلم (١٧٧٥) .

(٢) مسلم (١٧٧٥) ، وصارت بَعْدُ مَثَلا !!

(٣) متفق عليه . أخرجه البخارى (٤٣٢٣) - كتاب المغازى باب غزاة أوطاس، وأخرجه مسلم (٢٤٩٨) - كتاب الفضائل.

فحاصرهم المسلمون بضعا وعشرين ليلة ، وقيل بل بضعَ عشرةَ ليلة - وهو الصحيح - وقاتلهم المسلمون قتالا شديدا ، وتراموا بالنبل ، ورَمى النبى ﷺ حصونهم بالمنجنيق ، فكان أول من رُمِى به فى الإسلام أهل الطائف ، ودَخَل نفر من المسلمين تحت دَبَّابة ودنوا من سور الطائف يريدون خرقه ليدخل منه المسلمون ، فصب عليهم أهل الطائف الحديد المحمى ، فخرجوا من تحتها ، فرموا بالنبل ، فقتلوا من المسلمين رجالا ، وعندها أمر النبى ﷺ بقطع أعناب ثقيف فقطعت إلا القليل مما خصه ﷺ . وفى البخارى [1] من حديث عبد الله بن عمرو قال: لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئا ، قال: إنا قافلون غدا إن شاء الله ، فثقل عليهم، وقالوا: نذهب ولا نفتح؟ فقال ﷺ : اغدوا على القتال ، فغدوا فأصابهم جراح ، فقال: إنا قافلون غدا إن شاء الله فأعجبهم ، فضحك النبى ﷺ . واستشهد على الطائف من الصحابة اثنا عشر رجلاً.

ووزع النبى ﷺ المال على مسلمة الفتح وغيرهم من الأعراب ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء ، فوجدوا فى أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة ، فجمعهم رسول الله ﷺ ، وكان من جملة قوله لهم : "ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟! فوالذى نفس محمد بيده لَمَا تنقلبون به خير مما ينقلبون به ، ولولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعْبًا وواديًا وسلكت الأنصار شِعبًا وواديًا لسلكت شعب الأنصار وواديها ، الأنصار شِعار

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخارى (٤٣٢٥) كتاب المغازى ، و (٧٤٨٠) كتاب الأدب، كما أخرجه مسلم (١٧٧٨) كتاب المغازى.

والناس دِثار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ، فبكى القوم حتى أخضلوا لِحاهم ، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قَسْمًا وحظًا، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا "(١).

ثم أتى وفد هوازن ، فوهب لهم النبى ﷺ والصحابة السبى من النساء والأولاد.

عمرته ﷺ ورجوعه إلى المدينة:

ورجع النبى ﷺ إلى مكة حيث اعتمر عمرته الثالثة فى الإسلام من الجِعرانة ، وكانت فى ذى القعدة ، وقَصَّر معاوية بن أبى سفيان رأس النبى ﷺ عند المروة (٢)، ورجع النبى ﷺ إلى المدينة فى آخر ذى القعدة ، واستعمل ﷺ على مكة عتَّاب بن أسيد ، وهو شاب ابن نيِّف وعشرين سنة، وكان وَرِعًا زاهدًا ، وهو الذى حج بالمسلمين تلك السنة ، وهو أول أمير أقام الحج فى الإسلام ، وحج المشركون من بقية العرب على مشاعرهم.

السنة التاسعة من هجرته ﷺ : وفيها مكث النبى ﷺ بالمدينة من شهر ذى الحجة إلى شهر رجب ؛ سبعة أشهر: ذو الحجة ، المحرم ، صفر ، ربيع أول ، ربيع الآخر ، جُمادى الأولى ، جُمادى الآخرة ، فلما كان فى شهر رجب أُذِن للنبى ﷺ بغزو الروم ؛ لأنهم أقرب الناس إلى ديار الإسلام ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥٩) .

(٢) متفق عليه . أخرجه البخارى (١٧٣٠) ومسلم (١٢٤٦) ، وهو من مناقب معاوية رضى الله عنه حيث أخرج هذا الحديث الآجرى فى كتاب الشريعة فى باب : ذكر صحبة معاوية رضى الله عنه للنبى ﷺ ومنزلته عنده – وذكر قول ابن عباس : ما كان معاوية على رسول الله ﷺ متهمًا .

وأولى الناس بالدعوة إلى الحق ؛ لقربهم إلى الإسلام وأهله ؛ فهم أهل كتاب، وهذا كله امتثالا لقوله تعالى :﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:١٢٣] ، والروم آنذاك هى أمريكا العصر ، والقوة العسكرية العالمية مرهوبة الجانب ، لاسيما بعد انتصار الروم على الفرس ، تماما كما هو الحال الآن ، بعد اندحار الاتحاد الإلحادى السوفيتى ، وهيمنة الإمبريالية اليهودية الأمريكية على عالم اليوم ، ولما كان من هديه ﷺ ألاّ يخبر بمقصده فى الغزو ، ويورى عن قصده خدعة للعدو ، فإنه فى غزو الروم أبان عن المقصد ليؤخذ للأمر أهبته. وكانت غزة تبوك.

غزوة تبوك = غزوة العسرة ، وهى آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه، وكانت فى شهر رجب وذلك فى وقت عسرة من الناس وشدة من الحر (وقت الصيف) ، وجدب من البلاء ، وحين طابت الثمار ؛ فالناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الخروج عن المدينة فى هذا التوقيت ؛ لذلك سميت هذه الغزوة أيضا بغزوة العسرة.

وتبوك تبعد عن المدينة - حاليا - بنحو من ثمانمائة كيلومتر ، ولعلها قديما بسبب التواء الطرق وعدم تمهيدها تكون أبعد ، فالمسافة بعيدة ، والحال ضيقة ، والعسرة شديدة ، فلقد كان الرجلان يشقان التمرة فيقتسمانها، بل كانت التمرة الواحدة ربما تناوب الجمع فى مصها !! ؛ ولذا حث النبى ﷺ على تجهيز الجيش وإعداد العدة ، ورغب فى ذلك فقال ﷺ : " من جهز جيش العسرة فله الجنة " - كما فى البخارى وغيره [(١)]- .

---

(١) أخرجه البخارى (٢٧٧٨) كتاب الوصايا .

وكانت استجابة المؤمنين سريعة للنفير العام والإعداد للجهاد وامتثالا لقوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٤١] ، فهذا عثمان بن عفان ﷺ يأتى بألف دينار يضعها فى حجر النبى ﷺ فيدعو له النبى ﷺ ويبشره ، وهناك روايات أقل صحة لكن يقوى بعضها بعضا عند الطبرى أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أنفق نصف ماله ، وكان جملة ما أنفق ألف درهم، حتى فقراء المسلمين ، فلقد جاء خيثمة الأنصارى بصاع تمر [١]، فلمزه المنافقون - كما فى البخارى - وجاء أبو عقيل بنصف صاع من تمر ، فقال المنافقون: إن الله لغنى عن صدقة هذا ، وما فعل الآخر إلا رياء ، فأنزل الله فيهم : ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٧٩] [٢].

أما الفقراء فقد كانوا يأتون النبى ﷺ ليحملهم ويزودهم لقتال الروم ، فلا يجدون شيئا ، فيبكون ، منهم - مثلا - عُلَبَةَ بن زيد ، فكان يصلى من الليل ويبكى قائلا : " اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ، ورَغَّبت فيه ، ولم تجعل عندى ما أتقوى به مع رسولك ﷺ ، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى بها فى جسد أو عرض ، فأخبره النبى ﷺ أنه قد غفر له [٣]. أما العجزة والضعفاء والمرضى فلهم عذرهم ، قال تعالى : ﴿لَّيْسَ عَلَى

(١) الصاع = أربعة أمداد.

(٢) متفق عليه . أخرجه البخارى (٤٦٦٨) ، ومسلم (١٠١٨) .

(٣) أخرجه البزار فى مسنده، البحر الزخار(٣٣٨٧)، أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار (ت :٢٩٢هـ) : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط ١، ١٤٣٠هـ ، =

ﭐلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٩١].

وخرج جيش المسلمين فى ثلاثين ألفا الرجلان والثلاثة على بعير واحد، ولم يتخلف إلا أهل الأعذار وأهل النفاق الذين همزوا المُصَّدِّقين فى الصدقات، واعتذروا عن الجهاد بالحجج الواهية، وبنوا مسجدا للتحريش بين المسلمين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله، وكان المتخلفون لسوء نياتهم من أهل المدينة - دون الأعراب حول المدينة - نيفا وثمانين رجلا - كما ذكر ابن حزم فى جوامعه [(١)] -، ولم يتخلف من المشهود لهم بالخير إلا ثلاثة هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الذين اعترفوا بذنبهم بعد عودة النبى ﷺ وقوطعوا، ثم نزل القرآن بتوبتهم رضي الله عنهم [(٢)] واستمر مسير الجيش، حتى إذا اقتربوا من الحِجْر؛ وهى ديار ثمود، أمرهم النبى ﷺ أن لا يتوضأ أحد من ماء هذه القرية المنكوبة، ولا يعجنوا منه، وما عجنوه منه فليَعْلِفوه الإبل، وأمرهم أن يستعملوا فى كل ذلك من ماء بئر الناقة، وأمر ﷺ أن لا يدخلوا عليهم بيوتهم إلا أن يدخلوها باكين [(٣)].

وكان النبى ﷺ فى مسير الجيش يتفقد أفراده ويسأل عنهم، وكان من

= تحقيق / محفوظ الرحمن زين الله.

(١) راجع لابن حزم، على بن سعيد (ت:٤٥٦هـ) : **جوامع السيرة** (ص/ ٢٥٥) دار المعارف، مصر (د.ت)، تحقيق / إحسان عباس، نصر الدين الأسد، أحمد محمد شاكر.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخارى فى مواضع منها (٢٧٥٧)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٣) مسند الإمام أحمد (٥٩٨٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

جملة من سأل عنه النبى ﷺ كعب بن مالك!! ، فلما وصل ﷺ مشارف الشام لم يلق بأسا ، فأرسل سراياه هنا وهناك يجوب تخوم الجزيرة العربية ، وممن أرسله فى سراياه: خالد بن الوليد رضي الله عنه فى كوكبة من الجيش إلى دومة الجندل ، فأسر خالد أميرها "أكيدر بن عبد الملك الكِندى" وهو يصيد البقر الوحشى ، فصالحه النبى ﷺ على الجزية ، وقد تعجب الصحابة من قبائه وحسنه ، فقال النبى ﷺ - كما فى الحديث الحسن " - أتعجبون من هذا؟ فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا "(١). كما صالح النبى ﷺ ملك أيلة على الجزية ، كما صالح غيرهما من حكام المدن والقبائل فى شمال الجزيرة.

ورجع النبى ﷺ بعد عشرين ليلة فى تبوك إلى المدينة فى شهر رمضان دون أن يرى كيدا أو بأسا ، وفى منصرفه وقبل المدينة بنحو من ساعة أمر ﷺ بهدم مسجد الضرار وإحراقه.

إسلام ثقيف ، وكان ذلك فى رمضان بعد تبوك ، حيث أتاه وفد ثقيف بعد إسلام سيدهم عروة بن مسعود ثم قتلهم إياه ، وأَمَّر النبى ﷺ على وفد ثقيف عثمان بن أبى العاص ، وكان أحدثهم سنا ؛ لأنه ﷺ رآه أحرصهم على تعلم القرآن وشرائع الإسلام ، فأسلم الوفد ، وأمر النبى ﷺ عثمان بتعليمهم شرائع الإسلام ومما أمره به: أن يصلى بهم ، وأن يقتدى بأضعفهم؛ أى لا يطول عليهم إلا على قدر ما يتحمله أضعف من يصلى وراءه ، كما أمره أن يتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا.

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخاري (٢٦١٥ ، ٣٢٤٨) ، ومسلم (٢٤٦٩) .

وفشا الإسلام فى ثقيف ، وأرسل النبى ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة لهدم " اللات " وكانوا يعبدونه من دون الله.

دخول الناس فى دين الله أفواجا: ذلك أن العرب كانت تتربص نتيجة الحرب بين قريش ومحمد ﷺ ، فلما افتتحت مكة ودان للنبى ﷺ قريش وانتصر على هوازن فى حنين ، وأتت ثقيف مسلمة ، تسارعت قبائل العرب أفواجا للدخول فى دين الله تعالى ، حتى سُمِّيت هذه السنة: سنة الوفود ، وكان هذا مصداقا لقوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:١-٣]. ومن هذه الوفود: وفد بنى تميم الذين فاخروا بأحسابهم وأيامهم بين يدى النبى ﷺ فرد عليهم حسان بن ثابت (١)، وأحسن إليهم النبى ﷺ فأحسن جائزتهم ، ومنهم وفد طىء ، ووفد عبد القيس ، ووفد بنى حنيفة ؛ قوم مسيلمة الكذاب.

حجة أبى بكر الصديق رضي الله عنه: وكان ذلك فى ذى الحجة ، وكان رضي الله عنه أمير الناس فى الحج ، وبعث رسول الله ﷺ علىَّ بن أبى طالب بسورة براءة ، يقرؤها على الناس فى الموسم ، مُبْطلا كل عقد سلف مع المشركين ، مانعا المشركين بعد عامهم هذا من حج البيت - على ما بينته سورة براءة من الأحكام -(٢).

---

(١) راجع سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٣) ، وتاريخ الطبرى (٣/ ١١٥ - ١١٦) .
(٢) راجع تفسير الطبرى ، جامع البيان عن تأويل آى القرآن (١١/ ٣٠٩) والأثر بمعناه عند الإمام أحمد فى مسنده (١٤٠١٩) والترمذى (٣٠٩٠) .

ومما حدث فى هذه السنة:

١- وفاة النجاشى - ملك الحبشة - رحمه الله ، وقد نعاه النبى ﷺ وصلى عليه صلاة الغائب (١).

٢- وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ .

٣- وفاة عدو الله ورأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول فى أواخر السنة التاسعة.

السنة العاشرة من هجرة النبى ﷺ : اجتهد النبى ﷺ فى هذا العام ببعث البعوث والسرايا إلى أنحاء الجزيرة ، فبعث خالد بن الوليد فى ربيع الآخر أو جمادى الأولى إلى نجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا فإن أبوا فقاتلهم ، فاستجابوا ، ووفد وفدهم على النبى ﷺ فبعث إليهم عمرو بن حزم ليفقههم فى الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم (٢). وممن بعثهم ﷺ أبو موسى الأشعرى ومعاذ إلى اليمن وأمرهما: "يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا" وفى رواية "وتطاوعا ولا تختلفا" (٣). وقال ﷺ لمعاذ "إنك ستأتى قوما أهل

---

(١) متفق عليه . البخارى (١٢٤٥- الجنائز) ، ومسلم (٩٥١ - الجنائز) .

(٢) راجع للطبرى : تاريخ الأمم والملوك (٣/ ١٢٦) ، وفى القصة ردٌ على من قبل دخول النصارى معه فى حزبه بحجة أن رسول الله ﷺ أدخل وفد نصارى نجران المسجد وجلس معهم متناسيًا أنهم كانوا قد أسلموا على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه .

(٣) متفق عليه . أخرجه البخارى (٤٣٤١ - ٤٣٤٢ - المغازى) ، ومسلم (١٧٣٣- الجهاد والسير).

كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " وأومأ النبى ﷺ إلى معاذ بأنه ربما لا يلقاه ، وقد كان ، فقد أقام معاذ باليمن حتى كانت حجة الوداع ثم وفاته ﷺ [1].

كما بعث رسول الله ﷺ أيضا عليا إلى اليمن بعد بعثه خالد بن الوليد بستة أشهر ، وأسلمت همدان ، ومن اليمن أرسل علىٌّ رضي الله عنه بذهيبة فى أديم مقروظ لم تُحَصل من ترابها ، فقسمها النبى ﷺ بين نفر من أصحابه ، فقال رجل: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: ألا تأمنوننى؟ وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحًا ومساءً " فقال رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار ، فقال: يا رسول الله اتق الله! فقال ﷺ ويلك أولست أحق الناس أن يتقى الله؟ فلما ولى الرجل قال خالد بن الوليد: يا رسول الله! ألا أضرب عنقه؟ قال ﷺ : لا ، لعله أن يكون يصلى ، قال خالد: وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، فقال رسول الله ﷺ : إنى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ... الحديث [2].

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخارى (١٤٥٨ ، ٧٣٧٢) ، ومسلم (١٩) .
(٢) متفق عليه . أخرجه البخارى (٤٣٥١) ، ومسلم (١٠٦٤) .

ادعاء مسيلمة النبوة ، وقد زعم أن وحيا يأتيه ، وصدقه قومه بنو حنيفة ، وبلغ من وقاحته وجرأته أنه أرسل كتابا إلى النبى ﷺ مع رجلين من بنى حنيفة جاء فيه : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد ، فإنى أشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ، ولكن قريشا قوم لا يعدلون. فكتب إليه رسول الله ﷺ : " من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين " ثم قال ﷺ للرجلين اللذين أتيا بكتابه ، ما تقولان أنتما؟ فقالا: نقول كما قال ، فقال: " أما والله ، لولا أن الرسل لا تقتل لضربت رقبتيكما " .

حجة الوداع/ حجة الإسلام / حجة البلاغ. وسميت بالوداع ؛ لأن النبى ﷺ وَدَّع الناس فيها ، ولم يحج بعدها ، وسميت حجة الإسلام ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة غيرها ، وسميت حجة البلاغ ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام بلغ الناس شرع الله فى الحج قولا وعملا ، وكانت هى الشعيرة التى لم تبين قبل ، فلما بَيَّن هذه الشعيرة وشرحها ووضحها أنزل الله تعالى عليه – وهو واقف بعرفة – ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة:٣] (١).

وقد خرج النبى ﷺ من المدينة بعد أن صلى الظهر يوم الخميس لست

---

(١) حديث نزول آية (اليوم أكملت لكم دينكم) . متفق عليه . أخرجه البخارى فى موضع منها (٤٥ ، ٧٢٦٨) ، ومسلم (٣٠١٧) .

بقين لذى القعدة ، وبات بذى الحُلَيْفة . وأَهَلَّ منها قارنا بين الحج والعمرة ، وكان معه الهدى ؛ مائة من الإبل ، ودخل النبى ﷺ مكة يوم الأحد لأربع خلون لذى الحجة ، وأمر ﷺ - لما قرب من مكة - من كان معه هَدْى أن يَقْرن بين عمرة وحجة ، وأمر كل من لا هدى معه أن يفسخ حجة بعمرة. وطاف النبى ﷺ لعمرته وحجه طوافا واحدا ، ثم سعى وأتم المناسك ، وخطب بالناس خطبة جامعة. وأمر ﷺ أن لا ينفر أحدٌ حتى يكون آخر عهده بالبيت ، ثم رجع ﷺ إلى المدينة يوم الأربعاء الرابع عشر لذى الحجة.

السنة الحادية عشرة من هجرته ﷺ ، وكان أعظم أحداثها وفاة النبى ﷺ، وهاك بعض أخبارها:

من إرهاصات موت النبى ﷺ . قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤] وهذه هى الآية التى تلاها صديق هذه الأمة أبو بكر رضي الله عنه يوم وفاة رسول الله ﷺ (١). وفى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يعتكف فى كل شهر رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذى توفى فيه اعتكف عشرين يوما (٢)، وكان يعرض عليه القرآن فى كل رمضان ، فلما كان العام الذى توفى فيه عرض عليه القرآن

---

(١) أخرجه البخارى فى مواضع منها (٣٦٦٨) .

(٢) أخرجه البخارى (٢٠٤٤) ، (٤٩٩٨) .

مرتين [1]. وفى حديث جابر المشهور فى حجة الوداع: رأيت رسول الله ﷺ يرمى الجمار فوقف، وقال: "خذوا عنى مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا" [2]. وفى قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:١-٣] قال عمر بن الخطاب وابن عباس: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له [3].

وفى البخارى ومسلم [4] من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس، فقال: إن الله خَيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبو بكر، قال: فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال رسول الله ﷺ: إنَّ أَمَنَّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذًا خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام ومودته، لا يبقى فى المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبى بكر [5].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٩٩٨).

(٢) صحيح. أخرجه مسلم (١٢٩٧)، والنسائى فى السنة الكبرى (٤٠١٦) اللفظ له.

(٣) أخرجه البخارى (٤٢٩٤)، (٤٩٧٠).

(٤) أخرجه البخارى (٤٦٦) كتاب الصلاة و (٣٩٠٤) كتاب مناقب الأنصار - هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة و (٣٦٥٤) كتاب الفضائل - فضل أبى بكر، كما أخرجه مسلم (٢٣٨٢) كتاب الفضائل.

(٥) أخرجه البخارى (٤٦٦ - الصلاة) و (٣٦٥٤ - أصحاب النبى ﷺ).

مرضه ﷺ ، ثبت أن هذه الخطبة كانت وهو ﷺ عاصبٌ رأسه من المرض ، وكانت يوم الخميس قبل وفاته بخمسة أيام ، فكانت آخر مجلس وخطبة للنبى ﷺ . وكان النبى ﷺ يُمَرَّض فى بيت عائشة رضي الله عنها بعد استئذان زوجاته (١)، وفى البخارى وغيره من طريق الأعمش ، أن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرض النبى ﷺ مرضه الذى مات فيه ، فحضرت الصلاة ، فأذن بلال ، فقال ﷺ : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقيل له: إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس ، وأعاد فأعادوا له ، فأعاد الثالثة ، فقال: إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فخرج أبو بكر رضي الله عنه ، فوجد النبى ﷺ فى نفسه خفة فخرج يهادى بين رجلين كأنى أنظر إلى رجليه تخطان من الوجع ، فأراد أبو بكر أن يتأخر ، فأومأ إليه النبى ﷺ أن مكانك ، ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه. قيل للأعمش: فكان النبى ﷺ يصلى وأبو بكر يصلى بصلاته والناس يصلون بصلاة أبى بكر فقال برأسه: نعم (٢)، يؤيد هذا ما رواه أحمد من حديث بن عباس أن النبى ﷺ جلس إلى جنب أبى بكر عن يساره ، واستفتح من الآية التى انتهى إليها أبو بكر رضي الله عنه (٣). وهذه الصلاة آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ مع القوم ، وكان لابسا ثوبا واحدا ملتحفا به (٤).

وفى رواية لأحمد ، أن النبى ﷺ لما أمر الناس بالصلاة ، أَمَّهم عمر وكان رجلا مجهرا ؛ أى صوته عالٍ ، فلما سمع صوت عمر رضي الله عنه يصلى بالناس ،

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخارى (١٩٨) ، ومسلم (٤١٨) .
(٢) أخرجه البخارى فى مواضع منها (٧١٣) .
(٣) أخرج الإمام أحمد فى المسند (٢٠٥٥) .
(٤) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١٢٦١٧) .

قال: أين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون ، فبعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد ما صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس [١].

رؤيته ﷺ لأصحابه قبل موته ، فى البخارى [٢] من حديث أنس رضي الله عنه لم يخرج النبى ﷺ ثلاثا [٣] فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم ، فقال نبى الله ﷺ عليكم بالحجاب فرفعه ، فلما وضح وجه النبى ﷺ : ما نظرنا منظرا كان أعجب إلينا من وجه النبى ﷺ حين وضح لنا ، فأومأ النبى ﷺ بيده إلى أبى بكر أن يتقدم ، وأرخى النبى ﷺ الحجاب ، فلم يقدر عليه حتى مات ﷺ .

ومعنى هذا أن هذه الرؤية كانت يوم الخميس - كما ذهب ابن كثير [٤]-

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١٨٩٠٦) .

(٢) أخرجه البخارى (٦٨١).

(٣) ولعل هذا بعد صلاته الأخيرة ﷺ معهم ، وهذا ظاهر.

(٤) قال فى "البداية والنهاية" (٥/ ٢٣٥) ما نصه : "لم يخرج النبى ﷺ ثلاثا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبى الله ﷺ عليكم بالحجاب فرفعه فلما وضح وجه النبى ﷺ ما نظرنا منظرا كان أعجب إلينا من وجه النبى ﷺ حين وضح لنا ، فأومأ النبى ﷺ بيده إلى أبى بكر أن يتقدم ، وأرخى النبى ﷺ الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات ﷺ . ورواه مسلم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه به ، فهذا أوضح دليل على أنه عليه السلام لم يصل يوم الاثنين صلاة الصبح مع الناس ، وأنه كان قد انقطع عنهم لم يخرج إليهم ثلاثا ، قلنا: فعلى هذا يكون آخر صلاة صلاها معهم الظهر، كما جاء مصرحا به فى حديث عائشة المتقدم، ويكون ذلك يوم الخميس لا يوم السبت ولا يوم الأحد كما حكاه البيهقى عن مغازى موسى بن عقبة وهو ضعيف ؛ ولما قدمنا من خطبته بعدها ولأنه انقطع عنهم يوم الجمعة ، والسبت ، والأحد ، وهذه ثلاثة أيام كوامل ، وقال الزهرى عن أبى بكر ابن أبى سبرة أن أبا بكر صلى بهم سبع عشرة صلاة وقال غيره =

لأنه انقطع عنهم ثلاثة أيام كوامل ، وكانت وفاته يوم الاثنين ؛ إذن انقطع عنهم يوم الجمعة والسبت والأحد. وقيل صلى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة ، وقيل أكثر من ذلك.

وأحب النبى ﷺ أن يودع أصحابه بمشاهدتهم وهم يصلون ، وفيه إشارة إلى أهمية الصلاة فى الإسلام ؛ ولذا كما عند أحمد والبيهقى من طريق الحاكم من حديث أنس رضي الله عنه كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حيث حضرت الوفاة: " الصلاة وما ملكت أيمانكم "(١).

موته ﷺ ، وفى الصحيح (٢) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سمعت وأصغت إلى رسول الله ﷺ قبل أن يموت ، وهو مستند إلى صدرها يقول: اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الأعلى. وفى الصحيح وعند أحمد بإسناد صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قبض رسول الله ﷺ ورأسه بين سحرى ونحرى (٣)، فلما خرجت نفسه لم أجد ريحا قط أطيب منها " .

= عشرين صلاة فالله أعلم. ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة يوم الاثنين فودعهم بنظرة كادوا يفتتنون بها ، ثم كان ذلك آخر عهد جمهورهم به ولسان حالهم يقول كما قال بعضهم:

وكنت أرى كالموت من بين ساعة   فكيف ببين كان موعده الحشر ؟

(١) أخرجه أحمد (٥٨٥) من حديث على بن أبى طالب ، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٥٨٠٠) باب سياق ما ورد فى التشديد فى ضرب المماليك والإساءة إليهم وقذفهم .

(٢) متفق عليه . أخرجه البخارى (٤٤٤٠- المغازى) و (٥٦٧٤- المرضى) ومسلم (٢٤٤٤- فضائل الصحابة).

(٣) متفق عليه . أخرجه البخارى (٤٤٤٩ - ٤٤٥١- المغازى) ومسلم (٢٤٤٣- فضائل الصحابة) وأحمد (٢٤٩٠٥) .

وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين قبل صلاة الظهر فى حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وكان أبو بكر بالسُّنْح عند طرف المدينة فأقبل على فرسه فلما نزل دخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فقصد رسول الله ﷺ وهو مسجى بُبْرد حبرة ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه فقبله ثم بكى ، ثم قال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله! والله لا يجمع الله عليك موتتين أبدا ، أما الموتة التى كتبت عليك فقد مِتَّها. وفى حديث ابن عباس ، أن أبا بكر رضي الله عنه بعد ذلك خرج إلى المسجد وعمر يكلم الناس ، فقال: اجلس يا عمر! فأبى عمر أن يجلس ، فقال: اجلس يا عمر! فأبى عمر أن يجلس ، فتشهد أبو بكر فأقبل الناس إليه ، فقال: أما بعد ، فمن كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، قال ابن عباس: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم ، فما سمع بشر من الناس إلا يتلوها (١).

وكان سنه ﷺ وقت وفاته ثلاثا وستين سنة ، وكذا كان صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما كما فى صحيح مسلم (٢).

خلافة أبى بكر رضي الله عنه ، وقعت شبهة لبعض الأنصار أنه يجوز استخلاف خليفة من الأنصار ، ثم كان اجتماعهم فى سقيفة بنى ساعدة ، واقترح أحدهم أن يكون أمير من المهاجرين وآخر من الأنصار ، ثم بَيَّن لهم

---

(١) أخرجه البخارى فى مواضع منها (١٢٤١ ، ١٢٤٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤٨) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

الصديق رضي الله عنه أن الخلافة لا تكون إلا فى قريش ، وكان من جملة من بايع أبا بكر من المهاجرين عليُّ بن أبى طالب رضي الله عنه وكان ذلك فى اليوم الأول أو اليوم التالى من وفاته ﷺ (١).

ولم يترك النبى ﷺ كتابا لأحد من أهل بيته خاصة ، وفى الصحيحين أن عليا رضي الله عنه خطب فقال: من زعم أن عندنا شيئا نقرأه ليس فى كتاب الله وهذه الصحيفة - لصحيفة معلقة فى سيفه فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات - فقد كذب ، وفيها قال: قال رسول الله ﷺ : " المدينة حرم ما بين عير إلا ثور من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلا ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير واليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلا ، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلا " (٢).

وهذا الحديث الثابت فى الصحيحين وغيرهما عن على رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة فى زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة ، ولو كان

---

(١) راجع للحاكم المستدرك على الصحيحين (٣/ ٨٥ - ٨٦) أثر (٤٥١٩) ، وقال ابن كثير - رحمه الله - فى البداية والنهاية (٥/ ٢٥٠) : فهذه البيعة التى وقعت من عليّ رضى الله عنه لأبى بكر رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها بيعة مؤكدة للصلح الذى وقع بينهما وهى ثانية للبيعة التى ذكرناها أولاً يوم السقيفة ... إلى أن قال : ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليًا لم يبايع قبلها فنفى ذلك ، والمثبت مقدمٌ على النافى كما تقدم وكما تقرر والله أعلم أهـ .

(٢) متفق عليه . أخرجه البخارى (١٨٧٠) ، ومسلم (١٣٧٠) .

الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فإنهم كانوا أطوع لله ولرسوله فى حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه فيقدموا غير من قدمه ويؤخروا من قدمه بنصه ، حاشا وكلا ولم؟ ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ ومضادتهم فى حكمه ونصبه ، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام وكفر بإجماع الأئمة الأعلام ، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام. ثم لو كان مع علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه نص فَلِمَ لَمْ يكن يحتج به على الصحابة على إثبات إمارته عليهم وإمامته لهم؟ ، فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص فهو عاجز والعاجز لا يصلح للإمارة وإن كان يقدر ولم يفعله فهو خائن والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة ، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل ، ثم وقد عرفه وعلمه من بعده هذا محال وافتراء وجهل وضلال ، وإنما يحسن هذا فى أذهان الجهلة الطغام والمغترين من الأنام ، يزينه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان ، بل بمجرد التحكم والهذيان والإفك والبهتان ، عياذا بالله مما هم فيه من التخليط والخذلان والتخبيط والكفران ، وملاذًا بالله بالتمسك بالسنة والقرآن والوفاة على الإسلام والإيمان ، والموافاة على الثبات والإيقان وتثقيل الميزان ، والنجاة من النيران والفوز بالجنان إنه كريم منان رحيم رحمن. أ.هـ (١).

غسله ﷺ والصلاة عليه ودفنه: لم يجرد رسول الله ﷺ من ثوبه ، بل غُسِّل وعليه قميصه ، يصبون الماء من فوق القميص ، ويدلكون بالقميص دون أيديهم ، وقام على غسله ﷺ عمه العباس ، وابن عمه علىّ ، والفضل

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية** (٥/ ٢٥١).

ابن العباس ، وقُثَم [1] بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وصالح مولاه وقيل شُقْرَان مولى رسول الله ﷺ ، وأوس بن خَوْلى الأنصارى الخزرجى. ثم كفن ﷺ فى ثلاثة أثواب بيض سَحُولية [2] كما فى البخارى وغيره[3]. ثم أدخل الناس على رسول الله يصلون عليه جماعات ، فصلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان. ثم لُحِد للنبى ﷺ ، وكان دفنه بعد العشاء الآخرة ليلة الأربعاء ﷺ . جزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء. وجعلنا خير خلف لخير سلف، وصلى الله وسلم على النبى محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

** ** **

(١) قُثم: بضم القاف وفتح الثاء بمعنى: المعطاء أو مُجْتَمع الخَلْق ، كما يطلق على الذكر من الضباع لبُطْئه.

(٢) سَحُولية: بيض رقاق.

(٣) البخاري (١٢٦٤ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٣٨٧) وفي مسلم (٤٦٣) كتاب الجنائز.

المبحث الثاني

المواقف التربوية في ترجمة

عبد اللـه بن رواحة رضي الله عنه ، دراسة علمية تأصيلية

أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ هم صحابته الكرام ، قال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وقال ﷺ " لا تسبوا أصحابى ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " (١).

وقد تعارف أهل العلم أن مظان تراجم الصحابة هى كتب التراجم والسير والمعاجم والطبقات ، فما من أحد يريد الوقوف على ترجمة صحابى إلا هرع إلى هذه المظان ليجد بغيته سهلة ميسورة ، وتكون الترجمة أيسر إذا كان الصحابى أشهر من حيث الفضائل والمناقب والإنجازات والأعمال. وتكون الترجمة أشد عسرا إذا لم يحظ الصحابى بهذا القدر من الفضل والمناقب ... لكونه قد تقدمت وفاته ، أو تأخر إسلامه ، أو لم يشارك إخوانه من الصحابة وقائعهم وأحداثهم.

---

(١) أخرجه البخارى (٣٦٧٣) كتاب فضائل الصحابة ، ومسلم (٢٥٤١) كتاب فضائل الصحابة.

إن من أعظم أسباب إيراد هذا المبحث: الوقوف على "عبد الله بن رواحة" باعتباره نموذجا حضاريا دينيا ، يمكن أن يستفاد منه فى عصرنا الحالى ، كنت أريد أن تلتصق أنفاسى بنفسه ، وروحى بروحه ، ومشاعرى بوجدانه ؛ ليتسنى لى أن أحلل شخصيته ، وأن أستخلص العبرة والأنموذج من ترجمته - بصدق - أثر النبوة ورسالية الوحي في تربية الرجال وإعدادهم، وكانت خطتى فى جمع ترجمته ليست تقليدية فقد انطلقت فى عدة نواح:

١ - **جانب الديوان الحديثى النبوى الشريف** ، كنت أريد أن أعرف رواياته عن رسول الله ﷺ ؛ لأرى موارد الحديث وسياقاته المقامية ، وعندها ينكشف شيء غير قليل من جانب ترجمته ، لكن أصبت بالحسرة والفشل ، إن البخارى مثلا لم يخرج له فى صحيحه إلا حديثا واحدا!! (١) وليس له أى ذكر فى صحيح مسلم (٢). ولا فى موطأ مالك برواياته السبع (٣)، ولا فى مسند الطيالسى (٤). وهذا فيه إشارة إلى قلة ما رَوَى عن رسول الله ﷺ ؛ وبذا فإن الفائدة من هذا الجانب كانت قليلة!!.

---

(١) انظر لابن حجر ، أحمد بن على (ت ٨٥٢هـ): **هدى السارى مقدمة فتح البارى** (٢/ ١٢٨٠) تحقيق: نظر محمد الغريابى ، دار طيبة ، الرياض ، ط١- ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

(٢) انظر د. يحيى إسماعيل: **(جـ٩) من شرح القاضى عياض على صحيح مسلم** ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط٢-١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

(٣) مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ): **الموطأ** (المجلد الخامس/ الفهارس) تحقيق: سليم بن عيد الهلالى، مكتبة الفرقان ، دبى - ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م.

(٤) الطيالسى ، سليمان بن داود (ت ٢٠٤هـ): **مسند أبى داود الطيالسى**. دار المعرفة ، بيروت (د.ت).

٢- جانب كتب السير والتراجم والطبقات، وهى المظان المباشرة لترجمة الصحابى الجليل، فهى التى تحكى سيرته وتقف على تفصيلات حياته قبل الإسلام وبعده حتى وفاته.

٣- جانب الكتب غير المتخصصة، مثل كتب الزهد والرقائق والتدابير السياسية ونحوها، وقد أمدت هذه الكتب الباحث ببعض المعلومات المهمة والمفيدة.

وكان منهجى فى جمع الترجمة: الاستفادة من كل هذه الكتب؛ إذ بعض المعلومات تجده فى موضع دون آخر، ثم رصد الأحداث بدقة، وتحليل الكلمات والمواقف والانفعالات بما يعطينا صورة متكاملة عن الصحابى العملى، الذى يجمع بين الدين والحياة، بين طلب الآخرة وسياسة الدنيا، وهذا كله تقربا وحبا فى الصحابة الكرام، الذين هم امتداد رسول الله ﷺ، ودراسة تراجمهم أصيل لا ينفك عن دراسة سيرة رسول الله ﷺ، وقد قسمت هذا المبحث إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: الإطار العام للترجمة.

المطلب الثانى: مواقف البر والطاعة والعبادة.

المطلب الثالث: مواقف السلوك والوجدان.

المطلب الرابع: مواقف الانفعال بالواقع والتأثير فيه بشرع الله.

المطلب الأول: الإطار العام للترجمة

ويشمل المعلومات العامة المتعلقة باسمه ونشأته ووفاته، ونعرض ذلك فى المسألتين الآتيتين. الأولى: التعريف العام بالاسم. الثانية: التعريف العام بالصحابى.

المسألة الأولى: التعريف العام بالاسم

والمقصود أن نقف على دلالة "عبد الله" و "رواحة"، ووجود معانى ودلالات هذا الاسم فى حياة عبد الله بن رواحة - رضى الله تعالى عنه -؛ ذلك أن العلاقة بين الاسم والمسمى ليست علاقة الوسم والعلامة - كما يحلو لعلماء اللغة والاشتقاق [١]، بل هى علاقة المنهج والحياة إلى المات.

ولذا كان النبى ﷺ - والله أعلم - يغير أسماء بعض صحابته لحملها - أحيانا - مضامين هى أعلى من إمكانات البشر المحدودة فى التصور والقدرة، فغير ﷺ اسم "بَرَّة" [٢] - من البِرّ، وهو اسم جامع يشمل الدين

(١) انظر للباحث: دور اللغة فى تفسير القرآن ص/ ٣١ وما بعدها، مركز بدر، المنصورة، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخارى (٦١٩٢)، ومسلم (٢١٤١) ولفظ البخارى: عن أبى هريرة، أن زينب كان اسمها بَرَّة، فقيل: تزكى نفسها، فسماها رسول الله ﷺ زينب".

كله [١] - إلى زينب بمعنى الشجرة حسنة المنظر طيبة الرائحة [٢]. كما غير ﷺ ما يدل على غير المنهج ليدل على المنهج والصراط والدين ، فغير (عبد العزى) إلى (عبد الله) ، وغير (العاصى) إلى (المطيع) كما غير (شيطان) إلى (عبد الله) [٣].

كما غير ﷺ الأسماء الدالة على الصعوبة ونحوها إلى الأسماء الدالة على السهولة والانبساط واليسر تيمنا وربما مراعاة للعلاقة بين الاسم ومسماه ، ويدل على هذا حديث ابن المُسَيَّب ، أن النبى ﷺ أراد أن يغير اسم جده (حَزَن) [٤] ويسميه (سَهْلا) ، فأبى ، وقال: لا أغير اسما سَمَّانى به أبى ، قال: فما زالت فينا تلك الحزونة بعد" [٥].

وانطلاقا من هذا ، فإن (عبد الله) فيه معنى العبودية لله تعالى والطاعة والانقياد والامتثال لله تعالى ، و(رَوَاحة): المرة من المصدر "الرَّوَح" ، وله معانٍ منها: طيب الريح والخفة والسعادة والاتساع [٦].

---

(١) انظر لابن حجر ، أحمد بن على (ت ٨٥٢هـ): **فتح البارى شرح صحيح البخارى** (١/ ٦٦) دار الريان ، القاهرة ، ط١-١٤٠٧هـ=١٩٨٦م.

(٢) مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط** (١/ ٤١٦). الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣-١٩٨٥م.

(٣) انظر بعض هذا عند ابن حجر: **فتح البارى** (١٠/ ٥٩٣).

(٤) والحزونة: الغلظ والوعورة ، انظر لابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): **لسان العرب** (٢/ ٨٦٢) ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت).

(٥) الحديث أخرجه البخارى (٦١٩٣) كتاب الأدب ، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه. وانظر فى هذا لابن حجر العسقلانى: **تهذيب التهذيب** (١/ ٤٦٩) دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ط٢-١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

(٦) راجع المعجم الوسيط (١/ ٣٩٣).

وهذه الصفات: العبودية والاتساع وطيب الريح فى الدين والدنيا مع الله والناس كانت صفات صاحبنا ، الصحابى الجليل عبد الله بن رواحة فى حياته إلى استشهاده رضي الله عنه .

المسألة الثانية: التعريف العام بالصحابى الجليل

هو: عبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن عمرو ... الخزرجى الأنصارى ، ويكنى: بأبى محمد ، وأبى رواحة ، وأبى عمر. ليس له عقب ، أحد الشعراء المشهورين ، كما كان أحد نقباء الأنصار ليلة العقبة ، شهد بدرا وما بعدها ، كما كان أحد أمراء سرية مؤتة التى أرسلت إلى تخوم الشام فى السنة الثامنة ، وكان استشهاده فى هذه السرية رضي الله عنه [١].

من أقاربه:

أمه: كَبْشة بنت واقد بن عمرو بن عامر الخزرجية رضي الله عنها ، ولما توفى رواحة ، تزوجت بعده قيس بن شماس رضي الله عنه فولدت له الصحابى الجليل ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه [٢] ، فهو أخوه لأمه ، وهو الذى خطب مَقْدَم رسول الله ﷺ المدينة ، فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا ، فما لنا؟ قال ﷺ : الجنة، قالوا: رضينا [٣].

---

(١) انظر فى هذا مثلا لابن حجر ، أحمد بن على (ت ٨٥٢هـ): **الإصابة فى تمييز الصحابة** (٣/ ١٩٥) دار الفكر للطباعة والتوزيع ، بيروت ، ط١- ١٤٢١هـ=٢٠٠١م. ولابن سعد ، محمد (ت ٢٣٠هـ): **الطبقات** (٣/ ٥٢٦) دار صادر ، بيروت ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

(٢) انظر لابن حجر: **الإصابة** (٧/ ٢٣٨).

(٣) انظر لابن حجر: **الإصابة** (١/ ٢٩٠).

أخته "عَمْرة" ، تزوجها بشير بن سعد رضي الله عنه ، الصحابى الجليل ، فولدت له "النعمان بن بشير" رضي الله عنه ، وهو أول مولود فى الإسلام من الأنصار ، ولد بعد الهجرة بالمدينة بأربعة عشر شهراً ، وكان من الخطباء المعدودين ، وقد روى عن خاله عبد الله بن رواحة حديث رسول الله ﷺ ، ولاَّه معاوية إمرة الكوفة وحمص ، وقتل سنة ٦٥ هـ (١).

وفاته رضي الله عنه ، لما أرسل النبى ﷺ جيش الأمراء ، وهى سرية مؤتة فى السنة الثامنة ، قال ﷺ : "أخذ زيد الراية فقاتل حتى قتل شهيدًا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة ما يكرهون ، ثم قال ﷺ "ثم أخذها عبد الله بن رواحة وقاتل بها حتى قتل شهيدا" (٢).

** ** **

---

(١) انظر فى هذا: المزى ، جمال الدين يوسف (ت ٧٤٢هـ): **تهذيب الكمال فى أسماء الرجال** (١٤/ ٥٠٧) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١-١٤١٣هـ=١٩٩٢م ، ولابن كثير: إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ): **البداية والنهاية** (٤/ ٢٥٧) ، دار الفكر العربى ، ط١-١٣٥١هـ=١٩٣٢م ، وابن حجر: **الإصابة** (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣) ، ولابن سعد: **الطبقات** (٣/ ٥٢٦).

(٢) أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصفهانى (ت ٤٣٠هـ): **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (١/ ١٦٧) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢-١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م ، وابن سعد: **الطبقات** (٢/ ١٢٩، ١٣٠) و (٣/ ٤٦، ٤٧ ، ٥٣٠) و (٤/ ٣٦) ، وانظر لابن القيم : **زاد المعاد** (٣/ ٣٨١).

المطلب الثانى
مواقف العبادة والطاعة

ويشمل هذا المطلب النقاط الآتية:

١ - **عبادة الله تعالى** ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦] ونقل الطبرى قولين للسلف فى تأويلها ، ثم قال: " وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الذى ذكرنا عن ابن عباس ، وهو: ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا والتذلل لأمرنا [١]. وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم جميعا - بعد نبيهم ﷺ - لهم قصب السبق والقدح المعلى والقدوة الصالحة والإمامة الظاهرة فى هذا الباب ، ليتربوا على التذلل لأمر الله سبحانه ، ومن ثم الارتقاء النفسى والقلبى ؛ ولذا رأينا عبد الله بن رواحة مثلا فى صلاته نموذجا ، فقد تزوج رجل امرأة عبد الله بن رواحة بعد استشهاده ، فقال لها: تدرين لم تزوجتك؟ لتخبرينى عن صنيع عبد الله بن رواحة فى بيته ، فقالت: كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين ، فإذا دخل بيته صلى ركعتين لا يدع ذلك أبدا ... [٢]. ونجد أيضا

---

(١) الطبرى ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): **جامع البيان عن تأويل آى القرآن** (٢٧/ ١٧) دار الفكر ، بيروت ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

(٢) أخرجه عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ) فى "الزهد" (١٢٨٣) دار الكتب العلمية (د.ت) وصحح هذا الإسناد ابن حجر فى "الإصابة" (٣/ ١٩٦).

فى صيامه ، ففى البخارى عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فى حر شديد ، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه (١). ونجد ذلك أيضا فى جهاده ، فقد كان رضي الله عنه "أول خارج إلى الغزو وآخر قافل" (٢).

٢- **امتثال الأمر الشرعى**: سواء كان أمر إيجاد ، وهو: ما أحبه الشرع وحَثَّ على إيجاده ؛ ليشمل الواجب والمستحب ، أو كان أمر ترك ، وهو ما بغضه وكرهه الشرع وحَثَّ على اجتنابه ؛ ليشمل الحرام والمكروه ، أما واسطة العقد -أعنى المباح ؛ فهو ينقلب -ببركة النية -فى حياة المسلم إلى عبادات يثاب عليها. والمقصود بالامتثال: المبادرة والفور فى الطاعة ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] والمتمثل أمر ربه فى الحقيقة قد تدرب على أرقى معانى التربية ألا وهى الطاعة ، ولننظر إلى الصحابى النبيل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، عندما أتى النبى ﷺ وهو يخطب ، فسمعه يقول: اجلسوا ، فجلس مكانه ، خارج المسجد ، حتى فرغ النبى ﷺ من خطبته ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: زادك

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية** (٤/ ٢٥٨) والحديث أخرجه بنحوه البخارى (١٩٤٥) كتاب الصوم ، وأخرجه مسلم (١١٢٢) كتاب الصوم بزيادة " فى شهر رمضان " .

(٢) انظر لابن حجر: **الإصابة** (٣/ ١٩٦) ، وابن الأثير الجزرى ، على بن محمد (ت ٦٣٠هـ): **أسد الغابة فى معرفة الصحابة** (٢/ ٥٣٩) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١- ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

الله حرصا على طواعية الله وطواعية رسوله ﷺ " [1].

٣- حب مجالس الخير ، وهى مجالس الذكر والعلم وقراءة القرآن وتذكر نعم الله سبحانه وقضاء مصالح العباد ، وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ " إن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادَوا: هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء ... الحديث [2]. وهى مجالس الخير والبركة ؛ من جهة المجلس ومن جهة الجالس ، فقد يكون أحد الجالسين مما يقضى الله تعالى بذكره لأهل المجلس حوائجهم ، قال ابن زيد رحمه الله " إنه ليكون فى المجلس الرجل الواحد ، يحمد الله عز وجل فيقضى لذلك حوائجهم كلهم " [3].

ومن ذلك أن أنس رضي الله عنه قال : كان ابن رواحة إذا لقى الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربنا ساعة .

فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل ، فجاء النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ! ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة .

---

(١) انظر ابن الأثير: **أسد الغابة** (٢/ ٥٩٣) وابن كثير: **البداية والنهاية** (٤/ ٢٥٨) والأثر عند عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ) فى "المصنف" (٣/ ٢١١) المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط٢-١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

(٢) متفق عليه . أخرجه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل ، ومسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء ، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. ولفظ البخارى أتم ، وهو المذكور.

(٣) ابن القيم الجوزية: **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين** ص/ ١٣٥ ، مكتبة المتنبى ، القاهرة (د.ت).

فقال : (يرحم الله ابن رواحة ، إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة)[1].

** ** **

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٥) (١٣٧٩٦)، وإسناده ضعيف لسوء حفظ عمارة وهو ابن زاذان ، ولضعف زياد بن عبد الله النميرى .

المطلب الثالث

مواقف السلوك والوجدان

ويشمل هذا المبحث النقاط الآتية:

١ - **صاحب سلوك مع القرآن** ، فهو يقرأه ويفهمه ويتدبره ويتفكر فيه ويصلى به ، ويُقْرِئُه غيره ، ويتحاكم إليه ، أى فى جملة واحدة يعيش بالقرآن ومع القرآن ، قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣] . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون ، وبنهاره إذ الناس مفطرون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبصمته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون " . وعن الحسن بن على رضي الله عنه قال: " إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها فى النهار " ... وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: حامل القرآن حامل راية الإسلام ، لا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلغو مع من يلغو

تعظيما لحق القرآن (1). وعن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦ ...﴾ [البقرة: ١٢١] قال: يعملون به حق عمله (*). وعن الحسن قال: من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن (*). وهكذا كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه هذا الربانى المتفكر فى القرآن (2)، ومن أمثلة ذلك:

- لما أراد رضي الله عنه الخروج إلى أرض مؤتة من الشام، أتاه المسلمون يودعونه، فبكى، فقالوا له ما يبكيك؟ قال: أما والله ما بى حُبُّ الدنيا ولا صبابة لكم، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فقد علمت أنى وارد النار ولا أدرى كيف الصدر بعد الورود (3).

- روى ابن سعد فى طبقاته بإسناده أنه لما نزلت: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله أنى منهم،

---

(١) نقل هذه الآثار النووى، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ) فى كتابه "**التبيان فى آداب حملة القرآن**" ص/ ٢٨، ٢٩، دار الهجرة، بيروت، ط٣-١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

(*) هذان الأثران ساقهما الآجرى، محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ) فى "**أخلاق حملة القرآن**" ص/ ١١٨، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط٢-١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

(٢) وهذا ما نعته به الحافظ أبو نعيم فى "**حلية الأولياء**" (١/ ١٦٤).

(٣) انظر لأبى نعيم: **حلية الأولياء** (١/ ١٦٥)، وابن هشام: **السيرة النبوية** (٣/ ٢٠٣، ٢٠٤) دار البيان العربى، القاهرة (د.ت)، والطبرى: **تاريخ الطبرى = (تاريخ الأمم والملوك** (٢/ ١٤٩).

فأنزل الله : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] (١).

٢- الزهد فى الدنيا والحرص على الآخرة، لقد صوَّر الله تعالى الدنيا فى القرآن وحقَّر من شأنها : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، وكذلك وردت السنة والآثار عن الصحابة والتابعين. والصواب : أن تجعل الدنيا معبرا لك إلى الآخرة ، وأن يكون الحرص على الآخرة أكثر من حرص أهل الدنيا على دنياهم : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

وعبد الله بن رواحة - لم يخلف عقبا - فلعل حاله أن يكون كحال أهل الدنيا يكثرون من لذاتها ويتعلقون بها ، حتى يأخذوا حظهم - زعما - ويتمتعوا بكل ما وَرِثُوه وجنت أيديهم ! إن الصحابى الجليل لم يكن هذا حاله ، بل كان حريصا على الآخرة يريد الشهادة ، ومن ذلك أن زيد بن أرقم رضي الله عنه كان معه فى رَحْله فى سَفْرة ؛ إذ سمعه ينعى نفسه ويرثيها ، فبكى زيد بن أرقم ، قال زيد: فخفقنى بالدرة ، وقال: ما عليك يا لكع (*) أن يرزقنى الله الشهادة وترجع بين شعبتى الرحل (٢).

وهذا هو التعلق بالآخرة ، فكل ما يقربك من الدنيا ويؤخرك عن الله ،

---

(١) رواه ابن سعد: **الطبقات** (٣/ ٥٢٨) ونقله ابن حجر: **الإصابة** (٣/ ١٩٧).

(*) اللكع: **الأحمق** ، انظر (٢/ ٨٧٠ - المعجم الوسيط).

(٢) راجع لأبى نعيم: **حلية الأولياء** (١/ ١٦٦) ولابن هشام: **السيرة النبوية** (٣/ ٢٠٦).

أو يشغلك عن لقاه ، فأنت تقطعه ، فلا تهنأ إلا بالله ولا تكون إلا مع الله ، فأنت بالله ولله ومع الله ، ويدل على هذا ، أنه لما كان يوم مؤتة وقتل زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبى طالب ، وأخذ الإمرة وراية المسلمين عبد الله بن رواحة ، أتاه ابن عمه بعظم من لحم ، وقال: شد بهذا صلبك ، فإنك قد لاقيت من أيامك هذه ما قد لقيت ، فأخذه من يده ، ثم انتهش منه نهشة ، ثم سمع الحطمة فى ناحية الناس ، فقال: وأنت فى الدنيا !! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل ﷺ (١).

٣- **التواضع** ، وهو من مكارم الأخلاق ومن حسن الخلال ، ومن مفردات الرفق الذى حَثّ عليه الإسلام ودعا إليه رسول رب الأنام ﷺ ، بل هو من أفضل العبادة ، فعن عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت: "تُغْفِلون أفضل العبادات: التواضع " (٢).

ومن تواضع عبد الله ﷺ أنه كان يروى عن بلال بن رباح ؛ مؤذن رسول الله ﷺ (٣). فسبحان من رفع هذا الأسود ليتواضع له هذا العربى القح!! إنه الإسلام الذى أَدَّب أهله وهذبهم. فما أحوج المسلمين إلى هذا الخلق ، فلا يراعون الشهادات ولا الجنسيات ولا الألوان، وإنما الشأن فى التقوى والعمل الصالح : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. ومن تواضعه ﷺ أنه كان يأخذ بزمام راحلة النبى ﷺ يمشى بين

---

(١) راجع لأبى نعيم: **حلية الأولياء** (١/ ١٦٧) وللطبرى: **تاريخ الطبرى** (٢/ ١٥١).

(٢) إسناده صحيح: **أخرجه وكيع بن الجراح** (ت ١٩٧هـ) فى **"كتاب الزهد"** (٢١٣) (٢/ ٤٦٣) دار الحميصى ، الرياض ، ط٢-١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

(٣) انظر للمزى: **تهذيب الكمال** (١٤/ ٥٠٧).

يديه (١).

٤- الرحمة ، وهى معاملة الخلق بالإحسان والعفو والمعاهدة ، قال تعـالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، ولقد كان عبد الله رضي الله عنه محبا لليتامى يحسن إليهم وينفق عليهم ، ومن هؤلاء الذين أحسن إليهم عبد الله بل ورباهم فى حجره من اليتامى زيد بن أرقم - رضى الله تعالى عنهما (٢).

٥ - عفة اللسان ، فاللسان يورد صاحبه المهالك ، أو ينجيه منها ، وأحق من شهد له بعفة اللسان رسول الله ﷺ ، فعن سنان بن أبى سنان ، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول فى قصصه وهو يذكر رسول الله ﷺ " إن أخا لكم لا يقول الرفث ، يعنى بذلك ابن رواحة:

وفينا رسول الله يتلو كتابه	إذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه	إذا استثقلت بالكافرين المضاجع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا	به موقنات أن ما قال واقع (٣)

---

(١) انظر لابن سعد: **الطبقات** (٢/ ١٢١) و (٣/ ٥٢٦).

(٢) أبو نعيم: **حلية الأولياء** (١/ ١٦٦) وابن حجر: **الإصابة** (٣/ ١٩٦).

(٣) إسناده صحيح. أخرجه البغوى ، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (ت ٣١٧هـ): **معجم الصحابة** (٤/ ٥٦) ، دراسة وتحقيق محمد الأمين الجكنى. مكتبة دار البيان، الكويت ، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠٠م. والخبر فى مسند الإمام أحمد (١٥٦٧٧) لكن بلفظ "من الليل" بدلا "من الفجر" . دار الحديث ، القاهرة ، ط١-١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

٦- الحكمة مع الشجاعة ، ونفاذ البصيرة فى اتخاذ القرارات:

ففى المواقف الصعبة التى تتلاحق فيها الأنفس ، وتضطرب فيها الأفئدة ، وتتشاجر فيها الآراء ، يبقى الناس مشدوهين يبتغون من يبصرهم بالحق ويرشدهم إلى الصواب ، فيشجعهم على القصد ، وبه يكون الأخذ بالنواجذ ، وما أحوج المسلمين إلى هذا الضرب من الرجال ، لاسيما فى هذه الأزمنة !! إن هذه التصرفات الرشيدة تعكس مدى الالتزام التربوى الحكيم الذى عاشه الصحابة الكرام مع مربيهم الكبير النبى ﷺ ، ونجد مثل هذه المواقف جلية فى سيرة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ذلك أن المسلمين لما مَضَوا فى بلاد الشام - بأمر رسول الله ﷺ - وصلوا إلى معان ، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم ، وانضمت إليه المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهرا وبلى فى مائة ألف ، وكان المسلمون ثلاثة آلاف !!! فأقام المسلمون ليلتين ينظرون فى أمرهم ، وقالوا: نكتب لرسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا ، وهناك من رأى القفول والرجوع ...

فشجع عبد الله بن رواحة الناس ، ثم قال: والله يا قوم إن الذى تكرهون للذى خرجتم له ؛ تطلبون الشهادة .. وما نقاتل العدو بعدة ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة ، فقال الناس: قد - والله - صدق ابن رواحة ، فمضى الناس [١].

---

(١) انظر فى هذا ابن سعد: **الطبقات** (٢/ ١٢٩) ، أبو نعيم: **حلية الأولياء** (١/ ١٦٥، ١٦٦) وابن هشام: **السيرة النبوية** (٣/ ٢٠٤) والطبرى: **تاريخ الطبرى** (٢/ ١٤٩، ١٥٠) ، وابن الأثير: **أسد الغابة** (٢/ ٥٩٤).

فانظر كيف شجع الناس رأى عبد الله بن رواحة فى هذا الموطن الصعب، فكل مسلم يواجه أكثر من خمس وستين من النصارى ، ولو قاتل النصارى المسلمين بغير سلاح لغلبوهم ، فما بالك وهم شاكو السلاح مدججون !!

** ** **

المطلب الرابع

مواقف الانفعال بالواقع والتأثير فيه بشرع اللـه

فالمسلم خادم لدينه حامل مظهر له ، يبذل فى ذلك كل جهده ، ونرى هذا عند عبد الله بن رواحة فى النقاط التالية:

١ - دعوة خلانه وأصدقائه إلى التوحيد وصدهم عن الشرك : لا ينبغى للمسلم أن يكون خاملا ضعيفًا عن حمل دينه ونشره ، بل يجب عليه أن يجتهد فى حمل هذه الأمانة ، وإذا كان الأصدقاء والأصحاب من أحق الناس على المرء ، فعلى المسلم ألا يترك صاحبه هكذا هملا ، بل يجب أن يحرص على هدايته ونجاته وفوزه وفلاحه ، وهذا ما فعله "ابن رواحة" رضي الله عنه ، لقد كان أخا لأبى الدرداء فى الجاهلية ، فلما أسلم ، أخذ قدومًا فجعل يضرب صنم أبى الدرداء وهو يقول:

تبرأ من أسماء الشياطين كلها ألا كل ما يُدعى مع الله باطل

وجاء أبو الدرداء ، فأخبرته امرأته بما صنع عبد الله بن رواحة ، ففكر فى نفسه فقال: لو كان عند هذا خير لدفع عن نفسه ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ ومعه عبد الله بن رواحة فأسلم [١].

---

(١) ابن سعد: الطبقات (٧/ ٣٩١).

٢- **نشر الخير**: ومن جملة هذا الخير، العلم، بل هو من أعظم الخير؛ لكونه سبيلا إليه ودالا عليه، ولقد كان عبد الله بن رواحة يُرَوِّى تلاميذه من الصحابة أحاديث رسول الله ﷺ، فَمِمَّنْ عَلَّمهم ابن رواحة ورَووا عنه: أنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وابن أخته النعمان بن بشير ... أما التابعون فلم يرووا عنه بالمباشرة؛ لأنه مات مبكرا، ومن روى عنه فإنه يروى مرسلا، كزيد بن أسلم، وعبد الرحمن بن أبى ليلى، وعروة بن الزبير، وعطاء بن يسار، وعكرمة مولى ابن عباس. وغيرهم كثير [1].

٣- **توظيف القدرات لخدمة الإسلام ونصرته**: لابد للمسلم أن يفعل منهجه التربوى فيكون مؤثرًا فى واقعه منفعلا به، منتجًا الخير، موظفًا كل طاقاته وقدراته لنصرة الإسلام وعز المسلمين، فلا يبخل بشىء من قدراته أن يجعلها لنصرة الدين والمسلمين لله تعالى، وهذا ما نراه جليا مع الصحابى الجليل فى مواطن عدة، بل وفى حياته كلها، ومن أمثلة ذلك:

أ- أنه كان يكتب لرسول الله ﷺ [2]، والكتابة عند العرب عزيزة، فهو يوظف ما يتعلمه ليجعله لرسول الله ﷺ.

ب- خبرته بالزراعة والتجارة، فقد كان النبى ﷺ يبعثه إلى اليهود بعد

---

(١) الحافظ المزى: **تهذيب الكمال** (١٤/ ٥٠٧).

(٢) انظر لابن سعد: **الطبقات** (٣/ ٥٢٦) ولابن حجر: **الإصابة** (٣/ ١٩٦)، بل نقل العلامة الكتانى، عبد الحى بن محمد (ت ١٣٨٣هـ): فى كتابه "**التراتيب الإدارية**" أو "**نظام الحكومة النبوية**" عن الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق أن عبد الله بن رواحة كان من كتاب رسول الله ﷺ، انظر المرجع المشار إليه ص/ ٦٦، دار الكتاب العربى، بيروت (د.ت).

فتح خيبر، فيخرص عليهم زرعهم [1].

ج- توظيف الشعر فى خدمة الإسلام، لقد كان عبد الله بن رواحة ﷺ شاعرًا مفلقًا فصيحًا مشهورًا، وكان ينافح ويناضل عن رسول الله ﷺ ويهجو المشركين [2]، ولقد كلفه النبى ﷺ بذلك، عندما قال له: كيف تقول الشعر؟" "قال عبد الله: أنظر فى ذلك ثم أقول، فقال ﷺ: فعليك بالمشركين، يقول عبد الله: ولم أكن هيأت شيئا، فنظرت ثم أنشدته [فذكر جملة من الأبيات منها:

فَثَبَّت الله ما آتاك من حَسَن ... تثبيتَ موسى، ونصرًا كالذى نصروا]

قال: فأقبل ﷺ بوجهه متبسما، وقال: "وإياك فثبتك الله!" [3]

وفى موقف آخر يقول له النبى ﷺ عليك بالمشركين [4]. فكما أن الجهاد يكون بالسيف يكون باللسان، بل كان شعر عبد الله بن رواحة أشد على المشركين من حد السيف، فعن أنس ﷺ أن عبد الله بن رواحة أنشد شعرًا

---

(١) انظر فى هذا لابن كثير: **البداية والنهاية** (٤/ ١٩٩، ٢١٩) والحديث صحيح، أخرجه غير واحد كأحمد فى "المسند" (٢/ ٢٤) و(٣/ ٢٩٦، ٣٦٧) و(٦/ ١٦٣) وابن ماجة (١٨٢٠) فى الزكاة، وحسنه الألبانى فى "صحيح ابن ماجة" (١/ ٣٠٥) مكتب التربية العربى لدول الخليج، ط٣-١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

(٢) انظر ابن الأثير: **أسد الغابة** (٢/ ٥٩٣).

(٣) انظر لابن حجر: **الإصابة** (٣/ ١٩٧)، وانظر نماذج من شعره عند الطبرى: تاريخ الطبرى (٢/ ١٥٠ - وما بعدها) وابن كثير: **البداية والنهاية** (٤/ ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٥٧).

(٤) أخرجه ابن سعد: **الطبقات** (٣/ ٥٢٨)، وابن قانع البغدادى (ت ٣٥١هـ): **معجم الصحابة** (٩/ ٣٣٣٥) ح/ ١٠٤٢ دار الفكر، بيروت، ط١-١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م.

بين يدى النبى ﷺ عند دخول مكة ، فأنكر عليه عمر فقال النبى ﷺ " خل عنه يا عمر ، فوالذى نفسى بيده لهذا أشد عليهم من وقع السيف " [١].

وانظر نماذج مدحه للنبى ﷺ وأيضا هجاءه المشركين ، ومن هذا قوله مادحا النبى ﷺ :

لو لم تكن فيه آيات مُبيِّنَة   كانت بديهته تنبيك بالخَبَر

ويقول فى هجو المشركين عند دخول النبى ﷺ مكة فى عمرة القضاء:

خَلُّوا بنىّ الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تأويلــه
ضربًا يزيل الهام عن مَقِيلـه   ويذهل الخليل عن خليله [٢]

د- حراسته للنبى ﷺ [٣]. وهذا فيه من معانى التضحية والإيثار ما هو واضح.

هـ- توظيف قدراته العسكرية فى الرصد والقيادة والقتال ، نرى ذلك فى كونه أحد الأمراء الثلاثة فى سرية مؤتة -كما مر بنا - أيضا: وجهه رسول الله ﷺ فى السنة السادسة للهجرة لرصد وجمع أخبار اليهودى المحارب أسير ابن زارم ، فأتاه فى عملية خاصة فى ثلاثة نفر ، ولما جمع المعلومات اللازمة أمَّره رسول الله ﷺ على ثلاثين رجلا وأمرهم أن يأتوا هذا اليهودى فى خيبر ويقتلوه ، فانطلق عبد الله بن رواحة برجاله فقتلوا اليهودى وأصحابه ولم

---

(١) أبو نعيم الأصبهانى: أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ): معرفة الصحابة (٣/ ١٦٣٨) دار الوطن ، الرياض ، ط١-١٤١٩هـ=١٩٩٨م .
(٢) انظر فى هذا كله لابن حجر: الإصابة (٣/ ١٩٧).
(٣) أبو نعيم الأصبهانى ، معرفة الصحابة (٣/ ١٦٣٨) .

يفلت منهم إلا واحد ، ورجعوا سالمين [١].

و- توظيف قدراته على إدارة البلاد ، حيث أمَّره النبى ﷺ على المدينة فى غزوة بدر الموعد ، وهى غير بدر القتال ، كانت على رأس خمسة وأربعين شهرًا من هجرة رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد [٢].

الخاتمة:

بهذه الصورة المتكاملة للمنهج التربوى الإيمانى الذى جمع بين العلم ومقتضاه حُقَّ أن يحب هذا الصحابى الجليل. وهذا الحب لنا فيه سنة وهَدى، فهذا عبد الله بن عمر يحبه ويسمى ولده به تيمنا ومحبة ، فعن سعيد ابن المسيب أن عبد الله بن عمر قال له: هل تدرى لم سميتُ ابنى عبد الله؟ قال: قلت: لا ، قال: باسم عبد الله بن رواحة [٣].

هكذا عاش عبد الله بن رواحة قدوة ، فما أحوج أن يقرأ المسلمون ترجمته ليتعلموا منه ، وليستفيدوا من سيرته ، وإذا كان عبد الله لم يعقب ولدًا، فقد عقب سيرة عطرة لا تزال تقرأ ليستنبط الخير منها ، فهو الصحابى القدوة الذى تأثَّل فى وجدانه المنهج التربوى الإسلامى فأنتج عملا وسلوكًا ومواقف لازلنا نعيش نورها ، وفى ضرورة إقامة المنهج التربوى عمليًا ، أختم بما قال الحسن البصرى - عليه رحمة الله - وهو منطبق تمامًا على عبد الله بن رواحة - وما أحوجنا إلى تطبيقه - قال: " من استطاع منكم أن يكون إمامًا لأهله ، إمامًا لحيه ، إمامًا لمن وراء ذلك ، فإنه ليس شىء يؤخذ عنك

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** (٢/ ٩٢) و (٣/ ٥٢٦).

(٢) ابن سعد: **الطبقات** (٢/ ٩٢).

(٣) ابن سعد: **الطبقات** (٤/ ٥٢٨).

إلا كان لك منه نصيب " [1].

وبهذا نقف على واحدٍ ممن رباهم رسول الله ﷺ ، فكانت ترجمته تتمة لسيرة الرسول ﷺ ، فإذا كان هذا حال عبد الله بن رواحة ، فما بالك بغيره ممن سبقوه إسلاما ونصرة؟! رضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ أجمعين.

اللهم إنا نتوسل بك إليك ، ونتوسل إليك بحبنا لصحابة رسول الله ﷺ : أن تبصرنا بالحق وتهدينا إليه ، وتميتنا عليه ، وأن تجعل كل خير وفقتنا إليه : أن توفق إليه كل من نحب من الآباء والعشيرة والأهل والأولاد والخلان والأصحاب والتلاميذ وسائر صالحى المسلمين ، اللهم آمين .

** ** **

(١) أخرجه ابن المبارك فى "الزهد" (٨٥٤).

المبحث الثالث

مواقف الصحابة في الفتن ،

رؤية تصالحية لا هوائية

كثر خوض الخائضين فى مسألة الصحابة ﭭ مع أن الله تعالى رضى عنهم فى عدة آيات منها قوله سبحانه : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وقال رسول الله ﷺ : "لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم [يقصد صحابته] أو نصيفه" (١). ومع هذا نجد نابتة سوء ، ترعرع النفاق فى قلبها ، وهيجها الحقد الأسود ، يتهجمون على الصحابة ، ويزورون الحقائق، ويلوون أعناق الأحداث ؛ خدمة لأهدافهم الخبيثة! وهنا انبرى علماء الإسلام للطعن فى نحورهم، وممن كان له سهم فى هذا الجهاد الإمام الأندلسى، القاضى ابن العربى - عليه رحمة الله - حيث عرض لبعض المواقف التى طُعِن فيها على الصحابة فجعلها قاصمة ، ثم بين وجه الحق فى كل قاصمة بالعاصمة ، والعاصمة فيها الحق والبيان والبرهان الذى يجب

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخارى (٣٦٧٣ - أصحاب النبى ﷺ) ومسلم (٢٥٤٠ - فضائل الصحابة) .

المصير إليه ، وجمع مادة العواصم من القواصم فى كتاب ، وتعددت طبعات كتاب "العواصم" للقاضى ، وأشهر طبعة هى طبعة "محب الدين الخطيب" الذى صرح فى تصديره (ص/ ٨، ٩) أنه اصطفى من كتاب "العواصم" مبحث الصحابة فقط ، وهو أحد مباحث "العواصم" ويقع من (ص/ ٩٨-١٩٣) الجزء الثانى ، من طبعة المطبعة الجزائرية الإسلامية فى مدينة قسطنطينية بالجزائر سنة ١٣٤٧ هـ وقد أشرف عليها الأستاذ/ عبد الحميد باديس ، وذكر الشيخ الخطيب أن طبعة الجزائر بها أخطاء وتحريفات، حاول تصويبها [١] ، ثم طالعت النسخة الكاملة تحقيق د. عمار طالبى ، فوجدتها أكثر ضبطا ، لكن توسع فى إثبات الفروق فى نسخته بما ضخم الحواشى ، وكنت أود أن أحقق أحاديث العواصم تحقيقا علميا مناسبا ، لكن ضاق الوقت ؛ إذ طلب منى فى جامعة المنصورة تدريس مادة السيرة وإعداد المادة العلمية، فوجدتنى ضيق الوقت ، متلاحق الأنفاس ، ومع هذا حددت منهجية فى تخير هذا الموضع من كتاب العواصم وكانت منهجيتى عند نقل نص كلام [٢] القاضى ما يلى:

١- أجزت لنفسى حذف علامات النسخ والمقابلات بين الأصول لما فى ذلك من تضخيم للحاشية إلا ما أراه مناسبًا وضروريًا.

٢- حذفت بعض الجمل والكلمات بما لا يحقق مصلحة للنص المسوق،

---

(١) نسخة العواصم من القواصم للقاضى أبى بكر بن العربى (ت ٥٤٣هـ) ، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ٤ ذو القعدة ١٣٧١هـ.

(٢) انظر النص الكامل المنقول من العواصم (ص/ ٢٨٠-٣٢٤) ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط١-١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

أو لما فيها من إطالة مجهدة ، أو لما فيها من معايير عسرة ، وربما استبدلت هذه الكلمات بأخرى ، وهذا قليل جدا.

٣- عزوت بعض النصوص الحديثية محل الدرس والحوار والتعايش ، ولم أخرج لضيق وقت إخراج هذا العمل ، ولما فى هذا العزو مؤقتًا من حصول المقصود.

٤- ربما زدت شيئا فى النص وجعلته بين قوسين [[ ]] هكذا.

٥- لقد تصرف الشيخ "محب الدين الخطيب" فى بعض النصوص ، فأحالها عن قصدها ، وسوف يظهر لك هذا فى بعض ما أثبته فى الهامش.

٦- ربما تخيرت من بعض الأصول كلمات أو جملا رجحها المحقق ؛ لظنه أنها أولى أو أسد. وذلك مثل القول فى مروان بن الحكم "وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه واعتبار خلافه" هكذا جاءت فى أصل الكتاب ، وفى الهامش: أن نسخة أخرى (خلافته) ، فقدمت "خلافته" على "خلافه" ؛ لأن مروان بن الحكم ولى الخلافة فعليا عدة أشهر كما هو معلوم عند أصحاب السير [1] .

قاصمة:

قالوا متعدين ، متعلقين برواية كذابين: جاء عثمان رضي الله عنه في ولايته بمظالم ومناكير ، منها: ضربه لعمار رضي الله عنه [2] حتى فتق أمعاءه ، ولابن مسعود رضي الله عنه [3] حتى كسر أضلاعه ، ومنعه عطاءه ، وابتدع في جمع القرآن

---

(١) انظر مثلا الطبرى : تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٣٨٦) .

(٢) عمار بن ياسر استشهد فى وقعة صفّين سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م.

(٣) عبد الله بن مسعود الهذلي توفى سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م.

وتأليفه ، وفى حرق المصاحف ، وحمى الحمى ، وأجلى أبا ذر رضي الله عنه (١) إلى الربذة ، وأخرج من الشام أبا الدرداء رضي الله عنه (٢)، ورد الحكم رضي الله عنه (٣) بعد أن نفاه رسول الله ﷺ ، وأبطل سنة القصر فى الصلوات في السفر ، وولى معاوية رضي الله عنه ومروان (٤) ممن لم يكن من أهل الولاية ، وأعطى مروان خمس أفريقية ، وكان عمر رضي الله عنه يضرب بالدرة ، وضرب هو بالعصا ، وكتب مع عبده على جهله كتابا إلى ابن أبى سرح (٥) فى قتل من ذكر فيه ، وعلا على درجة [[منبر]] رسول الله ﷺ وقد انحط عنها أبو بكر وعمر رضي الله عنه ، ولم يحضر بدرا وانهزم [يوم حنين ، وفر] (٦) يوم أحد ، وغاب عن بيعة الرضوان، وولى الوليد بن عقبة (٧) وهو فاسق ليس من أهل الولاية ، ولم يقتل عبيد الله بن عمر (٨) بالهرمزان (٩) الذى أعطى السكين إلى أبي

---

(١) أبو ذر الغفارى ، واسمه جندب توفى سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م.
(٢) أبو الدرداء عومير بن زيد الأنصارى توفى بدمشق سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م.
(٣) الحكم بن أبى العاص بن أمية توفى سنة ٣١هـ/ ٦٥١م وهو عم عثمان وابن عم أبى سفيان.
(٤) مروان بن الحكم كان كاتب سر عثمان توفى سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م. وأضاف الشيخ محب الدين الخطيب عبد الله بن عامر بن كريز وزعم أنه سقط من الأصل والواقع أنه لا يوجد فى جميع النسخ (ص٦٢).
(٥) عبد الله بن أبى سرح توفى سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م (حسن المحاضرة ، ج١ ص٩٧)..
(٦) سقط ما بين القوسين من طبعة محب الدين (ص٦٢).
(٧) الوليد بن عقبة بن أبى معيط توفى سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م.
(٨) عبيد الله بن عمر بن الخطاب توفى سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م (النجوم الزاهرة ، ج١ ص١١٢).
(٩) الهرمزان قتل سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م.

لؤلؤة [١] وحرضه على عمر رضي الله عنه حتى قتله [٢].

عاصمة:

هـذا كله بـاطل سندًا ومتنًـا. أمـا قـولهم " جـاء عثمان رضي الله عنه بمظـالم ومناكير " فباطل. وأما ضربه لعمار وابن مسعود، ومنعه عطاءه فزور، إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبدًا. وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن يُشتَغل بها، لأنها مبنية على باطل، ولا ينبنى حق على باطل، ولا يذهب الزمان في مماشاة الجهال، فإن ذلك لا آخر له.

وأما جمع القرآن، فتلك حسنته العظمى، وخصْلتُه الكبرى، وإن كان وَجدها كاملة، لكنه أظهرها، وردَّ الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها، وكـان نفـوذ وعـد الله بحـفـظ القـرآن عـلى يـديه، حسبما بينـاه في "كتب القرآن " [٣] وغيرها.

روى الأئمـة بأجمعهـم أن زيـد بـن ثـابـت رضي الله عنه [٤] قـال: أرسـل إليّ

---

(١) أبو لؤلؤة المجوسى قاتل عمر، قتل سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م.

(٢) تصرف محب الدين الخطيب فأخر قوله: (وكتب مع عبده على جهله كتابا إلى ابن أبى سرح فى قتل من ذكر فيه) وختم به التهم الموجهة على عثمان وقال: إنه رتب التهم وأجوبتها على نسق ولكن جميع النسخ جاء النص فيها على النحو الذى أثبتناه (ص٦٢) وهكذا فعل فيما بعد فى ترتيب الرد على التهم فقد أخر صفحات بأكملها. مع أن جميع النسخ تخالف ما قام به من الترتيب الذى اعتقد أنه أقرب إلى النص وهو بعيد عنه.

(٣) أى المصنفات التى ألفها أبو بكر بن العربى فى التفسير وما يتصل به كقانون التأويل، وأحكام القرآن وأنوار الفجر والمشكلين أى مشكل القرآن ومشكل الحديث.

(٤) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى المقرئ توفى سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م.

أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنده ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : " إن عمر أتانى (١) فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقرّاء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرّاء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تجمع القرآن ، قلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر: هذا والله خير ، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر " (٢).

قال زيد: قال لى أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ، ما كان أثقل علىّ مما أمرونى به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر هذا والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف (٣) ، وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى رضي الله عنه (٤) لم أجدها مع أحد غيره : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة : ١٢٨] حتى خاتمة براءة (٥) ، فكانت الصحف عند أبى بكر رضي الله عنه حتى توفاه الله ،

---

(١) طبعة محب الدين: أتانا. ولم ينبه على أنه تابع فى ذلك بعض الروايات من كتب الحديث (ص٦٧).

(٢) أورده البخارى (٤٦٧٩، ٤٩٨٦، ٧١٩١)، وأحمد (٧٦)، وغيرهما من أئمة الحديث.

(٣) وفى رواية: من الرقاع والأكتاف والعسيب. والكتف عظم عريض المنكب يكتب عليها والعسيب جمع عسب عبارة عن جريدة النخل (الرزاز ، تاريخ واسط ، ص٢٨١).

(٤) ذو الشهادتين قتل فى معركة صفين ٣٨هـ)٦٥٨م (الإصابة ت ٢٢٤٧ وقعة صفين، ص٤١٣).

(٥) وكان زيد رضي الله عنه يشهد على كل آية جمعها رجلين ، إلا ما كان فى هذه الآيات لم يجد من يشهد له إلا خزيمة بن ثابت رضي الله عنه . وكان رسول الله ﷺ قد جعل =

ثم عند عمر رضي الله عنه حياته ثم عند حفصة رضي الله عنها (١) بنت عمر حتى قدم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (٢) على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه (٣) ، وسعيد بن العاص (٤) ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (٥) فنسخوها فى المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. قال ابن شهاب (٦): " وأخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت (٧) سمع زيد بن ثابت ، قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا

= شهادته بشهادة رجلين لما شهد لرسول الله ﷺ على شرائه الجمل من الأعرابى الذى رجع فى بيعه ، راجع البخاري (٤٦٧٩) ، وثبت الموقف نفسه لخزيمة وشهادته في قوله تعالى : ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب:٢٣] انظر للبخاري (٢٨٠٧).

(١) حفصة بنت عمر العدوية أم المؤمنين توفيت سنة ٤١هـ/ ٦٦١م وقيل ٤٥هـ/ ٦٦٤م.

(٢) حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله توفى سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م.

(٣) قتل سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م وكان ذا شجاعة وفروسية.

(٤) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص يقول الذهبى: أقيمت عربية القرآن على لسانه. توفى سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م.

(٥) المخزومى المدنى توفى سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م.

(٦) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله توفى سنة ١٢٤هـ/ ٧٤١م.

(٧) الأنصارى أحد الفقهاء السبعة توفى سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م.

الصحف ، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى رضي الله عنه : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها فى سورتها فى المصحف " (١) وأما ما روى أنه حرقها أو خرقها - بالحاء المهملة أو الخاء المعجمة وكلاهما جائز - إذا كان فى بقائها فساد ، أو كان فيها ما ليس من القرآن ، أو ما نسخ منه ، أو على غير نظمه ، وقد سلم (٢) فى ذلك الصحابة كلهم. إلا أنه روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه خطب بالكوفة ، فقال: " أما بعد فإن الله قال : ﴿ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٦١] وإنى غال مصحفى ، فمن استطاع منكم أن يغل مصحفه فليفعل " وأراد ابن مسعود أن يؤخذ بمصحفه ، وأن يثبت ما يعلم فيه ، فلما لم يفعل ذلك له ، قال ما قال ، فأكرهه عثمان على دفع مصحفه ، ومحا رسومه ، فلم تثبت له قراءة أبدا ، ونصر الله عثمان والحقّ ، بمحوها من الأرض.

وأما نفيه أبا ذر رضي الله عنه إلى الربذة (٣) فلم يفعل. كان أبو ذر زاهدا ، وكان يقرع عمال عثمان ، ويتلو عليهم : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [التوبة : ٣٤] الآية ويراهم يتسعون فى المراكب ، والملابس حين وجدوا ، فينكر ذلك عليهم ، ويريد تفريق جميع

(١) أخرجه البخارى فى الصحيح (٤٠٤٩) ، (٤٩٨٨) ، وفى مواضع أخر .

(٢) كذا فى جميع النسخ ويبدو أن صوابها: فقد. أصلحها الشيخ محب الدين ولكنه لم ينص على ذلك (ص٧١).

(٣) الرَّبذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام ، على طريق الحجاز ، انظر لياقوت الحموى، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ): **معجم البلدان** (٣/ ٢٧) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١-١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

ذلك من بين أيديهم ، وهو غير لازم. قال ابن عمر ﵁ وغيره من الصحابة – وهو الحق –: "إن ما أديت زكاته فليس بكنز " (١) فوقع بين أبى ذر ، ومعاوية كلام بالشام ، فخرج إلى المدينة فاجتمع إليه الناس ، فجعل يسلك تلك الطريق فقال له عثمان: لو اعتزلت ، [معناه: أنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس ، فإن للخلطة شروطا ، وللعزلة مثلها. ومن كان على طريق أبى ذر ، فحاله يقتضى أن ينفرد بنفسه ، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام فى الشريعة].

فخرج إلى الربذة زاهدًا فاضلا ، وترك جلة فضلاء. وكل على خير ، وبركة ، وفضل. وحال أبى ذر ﵁ أفضل ، ولا يمكن لجميع الخلق. فلو كانوا عليها لهلكوا ، فسبحان مرتب المنازل ، ووقع بين أبى ذر ﵁ ومعاوية ﵁ كلام ، وكان أبو ذر يطلق من الكلام بما لم يكن يقوله فى زمان عمر ، فأعلم معاوية بذلك عثمان ، وخشى من العامة أن تثور منهم فتنة. فإن أبا ذر كان يحملهم على التزهد ، وأمور لا يحتملها الناس كلهم ، وإنما هى مخصوصة ببعضهم فكتب إليه عثمان كما قدمنا: أن يقدم المدينة. فلما قدم اجتمع إليه الناس فقال لعثمان: أريد الربذة فقال له: افعل. فاعتزل، ولم يكن يصلح له إلا ذلك ، لطريقته. ووقع بين أبى الدرداء ﵁ (٢) ومعاوية كلام ، وكان أبو الدرداء زاهدا فاضلا قاضيا لهم ، فلما اشتد فى الحق ، وأخرج طريقة عمر فى قوم لم يحتملوها عزلوه ، فخرج إلى المدينة. وهذه كلها مصالح لا تقدح فى الدين ، ولا تؤثر فى منزلة أحد من

---

(١) صحيح. أخرجه البخارى وابن ماجة من حديث ابن عمر مرفوعا به.
(٢) عويمر بن زيد الأنصارى توفى سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م وكان قاضيا بدمشق.

المسلمين بحال ... فمن روى أنه نفى ، وروى سببا فهو كله باطل...

وأما ترك القصر فاجتهاد ، إذ سمع أن الناس افتتنوا بالقصر ، وفعلوا ذلك فى منازلهم ، فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة فتركها مصلحة خوف الذريعة ، مع أن جماعة العلماء قالوا: إن المسافر مخير بين القصر والإتمام ، واختلف فى ذلك الصحابة.

وأما معاوية رضي الله عنه فعمر رضي الله عنه ولاه ، وجمع له الشامات كلها وأقره عثمان رضي الله عنه ، بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه ولى أخاه يزيد ، واستخلفه يزيد فأقره عمر ، لتعلقه بولاية أبى بكر ، لأجل استخلاف واليه له ، فتعلق عثمان بعمر وأقره. فانظر إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها ، وأقدر سردها (١) ، ولن يأتى مثلها بعدها أبدا.

وأما عبد الله بن كريز (٢) فولاه كما قال ، لأنه كريم العمات والخالات.

وأما تولية الوليد بن عقبة - فلأن الناس على فساد فى النيات أسرعوا إلى السيئات قبل الحسنات ، فذكر الافترائيون أنه إنما ولاه للمعنى الذى تكلم به. قال عثمان رضي الله عنه : ما وليت الوليد لأنه أخى ، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ ، وتوأمة أبيه ، وسيأتى بيانه إن شاء الله. والولاية اجتهاد، فقد عزل عمر رضي الله عنه ، سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه (٣) ،

---

(١) انتظام الحلق فى السلسلة أو غيرها ، ويطلق على جودة سياق الحديث. قريبا من ذلك انظر (١/ ٢٩٨ - القاموس المحيط).

(٢) عبد الله بن عامر بن كريز توفى سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م على أصح الروايات (الذهبى ، العبر ، ج١ ص٦٧).

(٣) أبو إسحاق سعد بن أبى وقاص الزهرى توفى سنة ٥٥هـ/ ٦٧٤م.

وقدّم أقل منه درجة.

وأما إعطاؤه خمس أفريقية لواحد، فلم يصح، على أنه قد ذهب مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه فى الخمس، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده، وأن عطاءه لواحد جائز. وقد بينا ذلك فى مواضعه.

وأما قولهم: إنه ضرب بالعصا، فما سمعته ممن أطاع ولا عصى، وإنما هو باطل يحكى، وزور ينثى، فيا الله وللنهى.

وأما علوه على درجة رسول الله ﷺ. فما سمعته ممن فيه تقية، وإنما هى إشاعة منكر، ليروى ويذكر، فيتغير بها قلب من يتغير. قال علماؤنا: ولو صح ذلك فما فى هذا ما يحل دمه، ولا يخلو أن يكون ذلك حقا، فلم ينكره الصحابة عليه، إذ رأت جوازه ابتداء، أو لسبب اقتضى ذلك، وإن كان لم يكن فقد انقطع الكلام.

وأما انهزامه يوم حنين، وفراره يوم أحد، ومغيبه عن بدر، وبيعة الرضوان، فقد بين عبد الله بن عمر، وجه الحكم فى شأن البيعة، وبدر، وأحد. وأما يوم حنين فلم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله ﷺ، ولكن لم يجر فى الأمر تفسير من بقى ممن مضى فى الصحيح، وإنما هى أقوال، منها أنه ما بقى معه إلا العباس وابناه عبد الله، وقثم [1]، فناهيك بهذا الاختلاف، وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة ﷺ، وقد عفا الله عنه ورسوله ﷺ، فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله ﷺ والمؤمنون. خرّج البخارى: (جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان فذكر محاسن عمله، فقال: لعل ذلك يسوؤك،

(١) قثم بن العباس بن عبد المطلب توفى سنة ٥٦هـ:٦٧٥م.

قال: نعم ، قال: فأرغم الله أنفك ، ثم سأله عن على فذكر محاسن عمله ، قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبى. ثم قال: لعل ذلك يسوؤك ، قال: أجل ، قال: فأرغم الله أنفك ، فانطلق فاجهد على جهدك) وقد تقدم فى حديث بنى الإسلام على خمس زيادة فيه للبخارى فى علىّ وعثمان. وقد أخرج البخارى أيضا من حديث عثمان بن عبد الله بن موهب [(١)]، قال: جاء رجل من أهل مصل يريد حج البيت ، فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش ، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله ابن عمر ، قال: يا ابن عمر إنى سائلك عن شىء فحدثنى ، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم ، قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم ، قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم ، قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله قد عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته زينب بنت رسول الله ﷺ ، وكانت مريضة ، فقال له رسول الله ﷺ : إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا ، وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان (وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان) إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: (هذه يد عثمان) فضرب بها على يده ، وقال: (هذه لعثمان) ثم قال ابن عمر: اذهب بها الآن معك [(٢)].

وأما أمر الحمىَ فكان قديما، فيقال: إن عثمان رضي الله عنه زاد فيه لما زادت

(١) عثمان بن عبد الله بن موهب الأعرج أبو عبد الله توفى سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٦م (طبقات خليفة بن خياط ، ص٢٧٣ . وابن حجر تهذيب التهذيب ، ج٣ ص١٣٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥٧٧٢) ، والبخارى (٣٦٩٨) ، (٤٠٦٦) ، وفى مواضع أخرى .

الرعية. وإذا جاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة فيه لزيادة الحاجة.

وأما امتناعه من قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان فإن ذلك باطل. فإن كان لم يفعل: فالصحابة متوافرون، والأمر فى أوله، وقد قيل: إن الهرمزان سعى فى قتل عمر، وحمل الخنجر، وظهر تحت ثيابه، وكان قتل عبيد الله له، وعثمان لم يل بعد. ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقًا. لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله، وأيضا فإن أحدًا لم يقم بطلبه، فكيف يصح مع هذه الاحتمالات كلها، أن ينظر فى أمر لم يصح.

وأما قول القائل فى مروان، والوليد، فشديد عليهم، وحكمهم عليهم بالفسق: فسق منهم؛ (إذ)(*) مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين. أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه (١) روى عنه. وأما التابعون فأصحابه فى السن وإن كان جازهم باسم الصحبة فى أحد القولين. وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه، واعتبار خلافته، والتلفت إلى فتواه، والانقياد إلى روايته. وأما السفهاء من المؤرخين، والأدباء، فيقولون على أقدارهم.

وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أن الله سماه فاسقا فى قوله: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الحجرات: ٦] فإنها فى قولهم نزلت فيه، أرسله النبى ﷺ مصدقا إلى بنى المصطلق فأخبر عنهم أنهم

(*) زيادة من مقيدها.

(١) أبو العباس سهل الأنصارى آخر من مات من الصحابة بالمدينة سنة ٩١هـ=٧٠٩م.

ارتدوا ، فأرسل رسول الله ﷺ إليهم خالد بن الوليد [1] ، فتثبت فى أمرهم ، فبين بطلان قوله ، وقد اختلف فيها ، فقيل نزلت فى ذلك ، وقيل فى على ، والوليد فى قصة أخرى ، وقيل: إن الوليد سبق يوم الفتح فى جملة الصبيان إلى رسول الله ﷺ فمسح رؤوسهم ، وبرّك عليهم إلا هو ، فقال: إنه كان على رأسى خلوق ، فامتنع من مسه فمن يكون فى هذا السن يرسل مصدقا؟ وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية. فكيف يفسق رجل يتمثل هذا الكلام؟ فكيف رجل من أصحاب محمد ﷺ ؟

وأما حده فى الخمر ، فقد حدّ عمر رضي الله عنه ، قدامة بن مظعون [2] على الخمر وهو أمير وعزله ، ثم قيل له: صالحه ، وليست الذنوب مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة. وقد قيل لعثمان: إنك وليت الوليد ، لأنه أخوك لأمك أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فقال: بل لأنه ابن عمة رسول الله ﷺ أم حكيم البيضاء جدة عثمان ، وجدة الوليد لأمهما ، أروى المذكورة ، وكانت أم حكيم توأمة عبد الله أبى رسول الله ﷺ . وأى حرج على المرء أن يولى أخاه أو قريبه؟

وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع راكب ، أو مع غلامه ولم يقل أحد قط إنه كان غلامه - إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح يأمره بقتل حامليه ، فقد قال لهم عثمان: أما أن تقيموا شاهدين علىّ بذلك ، وإلا فيمينى أنى ما كتبت ولا أمرت ، وقد يكتب على لسان الرجل ، ويضرب على خطه ،

(١) خالد بن الوليد المخزومى توفى سنة ٢١هـ/ ٦٤١م.

(٢) قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحى توفى سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م (طبقات خليفة بن خياط ، ص٢٥).

وينقش على خاتمه ، فقالوا: تسلم لنا مروان. فقال: لا أفعل، ولو سلمه لكان ظالما ، وإنما عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه ، فما ثبت كان هو منفذه وآخذه - إن كان له أخذه - والممكن لمن يأخذه بالحق.

ومع سابقته وفضيلته ومكانته: لم يثبت عليه ما يوجب خلعه فضلا عن قتله. وأمثل ما روى فى قصته: أنه بالقضاء السابق تألب عليه قوم ، لأحقاد اعتقدوها ، ممن طلب أمرا فلم يصل إليه ، وحسد حسادة أظهر داءها ، وحمله على ذلك : قلة دين ، وضعف يقين ، وإيثار للعاجلة على الآجلة ، وإذا نظرت إليه دلك صريح ذكرهم ، على دناءة قدرهم ، وبطلان أمرهم ، كان الغافقى المصرى أمير القوم (١) ، وكنانة بن بشر التجيبى (٢) ، وسودان ابن حمران (٣) وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى (٤) وحكيم بن جبلة (٥) من أهل البصرة ، ومالك بن الحارث الأشتر (٦) فى طائفة ، هؤلاء رؤوسهم ، فناهيك بغيرهم ، وقد كانوا أثاروا فتنة ، فأخرجهم عثمان بالاجتهاد ، وصاروا فى جماعتهم عند معاوية ، فذكرهم بالله ، وبالتقوى ، لفساد الحال ، وهتك حرمة الأمة ، حتى قال له زيد بن صوخان (٧) يوما - فيما يروى - :

---

(١) الغافقى بن حرب العكى يمنى الأصل. قتل فى سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م (ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ط بيروت ١٩٦٥م ج٢١٨-٢١٩).

(٢) من الذين اتهموا بضرب الخليفة عثمان. توفى سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م (الطبى ، ج٦ ص٥٨-٦٠) وقيل قتل سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م.

(٣) أغلب الظن أنه قتل يوم الجمل ٣٦هـ/ ٦٥٦م.

(٤) من الذين كانوا مع على فى صفين قتل سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م.

(٥) قتل يوم الجمل ٣٦هـ/ ٦٥٦م.

(٦) هلك فى طريقه إلى مصر سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م.

(٧) قتل فى وقعة الجمل سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م.

كم تكثر علينا بالإمرة وبقريش ، فلما زالت العرب تأكل من قوائم سيوفها ، وقريش تجار! فقال له معاوية: (لا أم لك ، أذكرك بالإسلام ، وتذكرنى بالجاهلية ، قبح الله من كثر على أمير المؤمنين بكم ، فما أنتم ممن ينفع ولا يضر ، اخرجوا عنى).

وأخبره ابن الكواء بأهل الفتنة فى كل بلد ، ومؤامراتهم فكتب إلى عثمان يخبره بذلك ، فأرسل إليه بإشخاصهم عليه ، فأخرجهم معاوية ، فمروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فحبسهم ووبخهم ، وقال لهم: اذكروا لى (١) ما كنتم تذكرون لمعاوية، وحصرهم ، وأمشاهم بين يديه أذلاء ، حتى تابوا بعد حول، وكتب إلى عثمان بخبرهم ، وكتب إليه أن سرحهم إلىّ ، فلما مثلوا بين يديه جددوا التوبة ، وحلفوا على صدقهم ، وتبرؤوا مما نسب إليهم فخيرهم حيث يسيرون ، فاختار كل واحد ما أراد من البلاد: كوفة ، وبصرة ، ومصر، فأخرجهم ، فما استقروا فى جنب ما ساروا حتى ثاروا. وألبوا ، حتى انضاف إليهم جمع ، وساروا إليه ، على أهل مصر: عبد الرحمن بن عديس البلوى ، وعلى أهل البصرة: حكيم بن جبلة العبدى ، وعلى أهل الكوفة: الأشتر مالك بن الحارث النخعى. فدخلوا المدينة هلال ذى القعدة سنة خمس وثلاثين ، فاستقبلهم عثمان ، فقالوا ادع بالمصحف ، فدعا به ، فقالوا: افتح السابعة - يعنى يونس - فقالوا له: اقرأ ، فقرأ ، حتى انتهى إلى قوله: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس : ٥٩] قالوا له: قف. قالوا له: أرأيت ما حميت من الحمى؟ أذن الله لك أم على الله افتريت؟ قال: امضه ، إنما نزلت فى كذا ، وقد حمى عمر ، وزادت الإبل ، فزدت. فجعلوا يتبعونه هكذا، وهو ظاهر عليهم ، حتى قال لهم: ماذا تريدون؟ فأخذوا ميثاقه ،

---

(١) الطبرى ، ج٥ ص٨٦ .

وكتبوا عليه ستا أو خمسا: إن المنفى يقلب، والمحروم يعطى، ويوفر الفىء، ويعدل فى القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة. فكتبوا ذلك فى كتاب، وأخذ عليهم ألا يشقوا عصا، ولا يفرقوا جماعة، ثم رجعوا راضين، وقيل: أرسل إليهم عليا فاتفقوا على الخمس المذكورة، ورجعوا راضين.

فبينما هم كذلك، إذا راكب يتعرض لهم، ثم يفارقهم مرارا، قالوا: ما لك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه، إلى عامل مصر، أن يصلبهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم، فأقبلوا حتى قدموا المدينة، فأتوا عليا، فقالوا له: ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا؟ وقد أحل الله دمه. قالوا له: فقم معنا إليه قال: والله لا أقوم معكم. قالوا له: فلم كتبت إلينا؟ قال: والله ما كتبت[1] إليكم، فنظر بعضهم إلى بعض، وخرج على من المدينة، فانطلقوا إلى عثمان، فقالوا له: كتبت فينا كذا قال لهم: أما أن تقيموا اثنين من المسلمين أو بيّنة، كما تقدم ذكره. فلم يقبلوا ذلك منه، ونقضوا عهده، وحصروه.

وقد روى أن عثمان جيء إليه بالأشتر فقال له: يريد القوم منك، إما أن تخلع نفسك، أو تقص منها، أو يقتلوك. فقال: أما خلعى فلا أترك أمة محمد بعضها على بعض، وأما القصاص فصاحباى قبلى لم يقصا من أنفسهما، ولا يحتمل ذلك بدنى.

وروى أن رجلا قال له نذرت دمك. قال له: خذ جنبى فشرط فيه بالسيف شرطة أراق منه دمه، ثم خرج الرجل، وركب راحلته، وانصرف فى الحين، ولقد دخل عليه ابن عمر فقال: انظر ما يقول هؤلاء، يقولون اخلع

---

(١) ورواية خليفة بن خياط: كتبت (تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص١٤٦) والمؤلف هنا اعتمد على خليفة بن خياط فى رواية أخبار الفتنة ووثقه فيها ونوه بإسناده.

نفسك أو نقتلك ، فقال له: لا. قال: هل يملكون لك جنة أو نارا؟ قال: لا، قال: فلا تخلع قميص الله عنك ، فتكون سنة ، كلما كره قوم خليفتهم خلعوه، أو قتلوه.

وقد أشرف عليهم عثمان ، واحتج عليهم بالحديث الصحيح فى بنيان المسجد ، وحفر بئر رومة ، وقول النبى حين رجف بهم أحد ، وأقروا له به فى أشياء ذكرها. وقد ثبت أن عثمان رضي الله عنه أشرف عليهم ، وقال: أفيكم ابنا محدوج؟ أنشدكما الله ، ألستما تعلمان أن عمر قال: إن ربيعة فاجر أو غادر ، وإنى والله لا أجعل فرائضهم وفرائض قوم جاءوا من مسيرة شهر، وإنما مهر أحدهم عند طنبه ، وإنى زدتهم فى غزاة واحدة خمسمائة حتى ألحقتهم بهم؟ قالوا: بلى قال: أذكركما الله ، ألستما تعلمان أنكما أتيتمانى ، فقلتما: إن كندة آكلة رأس ، وإن ربيعة هى الرأس ، وإن الأشعث بن قيس قد أكلهم فنزعته واستعملتكما؟ قالا: بلى قال: اللهم إنهم كفروا معروفى ، وبدلوا نعمتى ، فلا ترضهم عن إمامهم ولا ترض إمامًا عنهم.

وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة رضي الله عنه (١) قال: كنت مع عثمان فى الدار فقال: أعزم على كل من رأى أن عليه سمعا وطاعة ، إلا كف يده وسلاحه ، ثم قال: قم يا ابن عمر – وعلى ابن عمر سيفه متقلدا – فاجْرِ بين الناس ، فخرج ابن عمر ، ودخلوا فقتلوه. وجاءه زيد بن ثابت فقال له: إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله ، مرتين (٢) قال: لا

(١) عبد الله بن عامر بن ربيعة ، روى عن النبى ، وتوفى سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م (طبقات خليفة بن خياط ص٢٣٥).

(٢) يقصدون بذلك أنهم نصروا النبى المرة الأولى ، وينصرون عثمان المرة الثانية. ولا يقصد بذلك تكرار العبارة كما فهم الشيخ ابن باديس (ج٢ ص١٢٠).

حاجة لى فى ذلك كفوا، وقال له أبو هريرة [1]: اليوم طاب الضرب معك. قال: عزمت عليك لتخرجن. وكان الحسن بن على رضي الله عنه [2] آخر من خرج من عنده ، فإنه جاء الحسن والحسين [3] ، وابن عمر ، وابن الزبير ، ومروان، فعزم عليهم فى وضع سلاحهم ، وخروجهم ، ولزوم بيوتهم ، فقال له ابن الزبير ومروان: نحن نعزم على أنفسنا ألا نبرح ، ففتح عثمان الباب ، ودخلوا عليه فى أصح الأقوال ، فقتله المرء الأسود ، وقيل أخذ ابن أبى بكر [4] بلحيته وذبحه رومان [5] ، وقيل رجل من أهل مصر يقال له حمار ، فسقطت قطرة من دمه على المصحف على قوله : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة : ١٣٧] فإنها فيه ما حكت إلى الآن.

وروى أن عائشة رضي الله عنها قالت: غضبت لكم من السوط ، ولا أغضب لعثمان من السيف! استعتبتموه حتى إذا تركتموه كالقَنْد [6] المصفى ، ومَوَّصتموه موص [7] الإناء ، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس ثم قتلتموه!! قال مسروق: فقلت لها: هذا عملك كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه؟! فقالت عائشة: والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما

---

(١) توفى أبو هريرة سنة ٥٧هـ/ ٦٧٦م ، وقيل ٥٩هـ/ ٦٧٨م (العبر،ج١ ص٦٢-٦٣).

(٢) توفى الحسن بن على بالمدينة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م.

(٣) استشهد بكربلاء سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م.

(٤) محمد بن أبى بكر الصديق قتل سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م.

(٥) رومان رجل من بنى أسد بن خزيمة. وليس محرفا كما قال محب الدين حيث وضع مكانه كنانة بن بشر بدعوى أن نسخة الجزائر كثيرة التحريف (ص١٣٥) انظر (تاريخ خليفة بن خياط ، ج١ ص١٥٣).

(٦) القَنْد: عسل قصب السكر.

(٧) الموص: الغسل بالأصابع.

كتبت إليهم سوادًا فى بياض. قال الأعمش [1]: فكانوا يرون أنه كُتِب على لسانها. وقد روى أنه ما قتله أحد إلا أعلاج من أهل مصر.

قال القاضى أبو بكر رحمه الله: فهذا أشبه ما روى فى الباب، وبه يتبين، وبأصل المسألة، وسلوك سبيل الحق: أن أحدا من الصحابة لم يسع عليه، ولا قعد عنه، ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفا بلديين أو أكثر من ذلك، ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة. وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثلها، هل يلقى بيده أو يستنصر؟ وأجاز بعضهم أن يستسلم، ويلقى بيده اقتداءً بفعل عثمان، وبتوصية النبى ﷺ بذلك فى الفتنة.

قال القاضى أبو بكر رحمه الله: ولقد حكمت بين الناس، فألزمتهم الصلاة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى لم يكن يرى فى الأرض منكر، واشتد الخطب على أهل الغصب، وعظم على الفسقة الكرب، فتألبوا وألبوا، وثاروا إلىّ، واستسلمت لأمر الله، وأمرت كل من حولى ألا يدفعوا عن دارى، وخرجت على السطوح بنفسى، فعاثوا على، وأمسيت سليب الدار، ولولا ما سبق من حسن المقدار، لكنت قتيل الدار. وكان الذى حملنى على ذلك ثلاثة أمور: أخدها: وصية النبى ﷺ المتقدمة. الثانى: الاقتداء بعثمان. الثالث: سوء الأحدوثة التى فر منها رسول الله ﷺ المؤيد بالوحى. فإن من غاب عنى، بل من حضر من الحسدة معى، خفت أن يقول: إن الناس مشوا مستعينين به، مستغيثين له ....

وأمر عثمان رضي الله عنه كله سنة ماضية، وسيرة راضية، فإنه تحقق أنه مقتول

(١) أبو محمد سليمان بن مهران الأسدى توفى سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م.

بخبر الصادق له بذلك ، وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، وأنه شهيد. وروى أنه قال له فى المنام: إن شئت نصرتك ، أو تفطر عندنا الليلة. وقد انتدب المردة والجهلة إلى أن يقولوا: إن كل فاضل من الصحابة كان عليه ساعيًا ، مؤلبًا ، وبما جرى عليه راضيًا ، واخترعوا كتابا فيه فصاحة وأمثال ، كتب عثمان به مستصرخا إلى على ، وذلك كله مصنوع ، ليوغر قلوب المسلمين ، على السلف الماضين ، والخلفاء الراشدين.

قال القاضى أبو بكر رحمه الله: فالذى تحصل من ذلك أن عثمان مظلوم، محجوج بغير حجة ، وأن الصحابة برآء من دمه بأجمعهم ، لأنهم أتوا إرادته ، وسلموا له رأيه فى إسلام نفسه ، ولقد ثبت زائدًا إلى ما تقدم عنهم ، أن عبد الله بن الزبير ، قال لعثمان: إنَّا معك فى الدار عصابة مستبصرة ، ينصر الله بأقل منهم ، فأذن لنا؟ فقال: اذكر الله رجلا أراقِ لى دمه أو قال دما. قال سليط بن أبى سليط: نهانا عثمان عن قتالهم ، فلو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها. وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة: كنت مع عثمان فى الدار ، فقال: أعزم على كل من رأى أن لى عليه سمعا وطاعة ، إلا كف يده وسلاحه ، فإن أفضلكم غناء من كف يده وسلاحه. وثبت أن الحسن والحسين وابن الزبير ، وابن عمر ، ومروان ، كلهم شاك فى السلاح ، حتى دخلوا الدار ، فقال عثمان: أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ، ولزمتم بيوتكم (١).

فلما قضى الله من أمره ما قضى ، ومضى فى قدره ما مضى ، علم أن الحق ألا يترك الناس سدى ، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة ، مفروض

(١) تاريخ خليفة بن خياط ، ج١ ص١٥٢ .

عليهم النظر فيه. ولم يكن بعد الثلاث كالرابع [يقصدعَليًّا رضي الله عنه] قدرًا، وعلمًا، وتقى، ودينا، فانعقدت له البيعة، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي، لجرى على من بها من الأوباش، ما لا يرقع خرقه، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضا عليه، فانقاد إليه، وعقد له البيعة طلحة فقال الناس: بايع عليا يد شلاء [1]، والله لا يتم هذا الأمر.

فإن قيل بايعا مكرهين. قلنا: حاشا لله أن يكرها لهما ولمن بايعهما، ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك، لأن واحدًا أو اثنين تنعقد بهما البيعة وتتم، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعًا، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا فى بيعة الإمام. وأما من قال: يد شلاء وأمر لا يتم، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع. ولم يكن كذلك. فإن قيل: فقد قال طلحة: "بايعت واللج [2] على قفى" قلنا: اخترع هذا الحديث. من أراد أن يجعل فى "القفا" لغة: "قفى" كما يجعل فى "الهوى" "هوى" وتلك لغة هذيل لا قريش، فكانت كذبة لم تدبر. وأما قولهم: "يد شلاء" لو صح فلا متعلق لهم فيه. فإن يدًا شلت فى وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه، وجهل المبتدع ذلك، فاخترع ما هو حجة عليه.

فإن قيل بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان! قلنا: هذا لا يصح فى شرط البيعة، إنما بايعوه على الحكم بالحق، وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر

---

(١) ذلك أن يد طلحة رضي الله عنه كان يتقى بها رسول الله ﷺ فى غزوة أحد يتلقى السهام عنه حتى شُلَّت.

(٢) وهو السيف.

المطلوب ، وتقع الدعوى ، ويكون الجواب ، وتقوم البينة ، ويقع الحكم ، فأما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق ، أو فعل غير محقق ، أو سماع كلام : فليس ذلك فى دين الإسلام.

قالت العثمانية: تخلف عنه من الصحابة جماعة منهم سعد بن أبى وقاص ، ومحمد بن مسلمة [1] ، وابن عمر ، وأسامة بن زيد ، وسواهم من نظرائهم. قلنا: أما بيعته فلم يتخلف عنها أحد ، وأما نصرته فتخلف عنها قوم ، منهم من ذكرتم ، لأنها كانت مسألة اجتهادية. فاجتهد كل واحد ، وأعمل نظره ، وأصاب قدره.

قاصمة:

روى قوم أن البيعة لما تمت لعلى ، استأذن طلحة والزبير عليا فى الخروج إلى مكة ، فقال لهما على: لعلكما تريدان البصرة والشام ، فأقسما ألا يفعلا ، وكانت عائشة بمكة ، وهرب عبد الله بن عامر ، عامل عثمان على البصرة إلى مكة ، ويعلى بن أمية ، عامل عثمان على اليمن ، فاجتمعوا بمكة كلهم ، ومعهم مروان بن الحكم ، واجتمعت بنو أمية ، وحرضوا على دم عثمان. وأعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة ، أربعمائة ألف درهم ، وأعطى لعائشة "عسكرا" جملا اشتراه باليمن بمائتى دينار ، فأرادوا الشام فصدهم ابن عامر، وقال: لا ميعاد لكم بمعاوية ، ولى بالبصرة صنائع ، ولكن إليها، فجاءوا إلى ماء الحوأب [2] ، ونبحت كلابه ، فسألت عائشة فقيل لها: هذا

---

(١) الأنصارى اعتزل الفتنة واتخذ سيفا من خشب ، توفى بالمدينة سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م.

(٢) الحوأب بنت كلب بن وبرة القضاعية سمى بها ماء قريب من البصرة. وفى نسخ "ماء الجؤب".

الحوأب ، فردت خطامها عنه ، وذلك لما سمعت النبى ﷺ يقول: " أيتكن صاحبة الجمل الأدبب [1] ، التى تنبحها كلاب الحوأب " [2] فشهد طلحة. والزبير أنه ليس هذا ماء الحوأب ، وخمسون رجلا إليهم. وكانت أول شهادة زور ، دارت فى الإسلام.

وخرج على إلى الكوفة ، وتعسكر الفريقان والتقوا ، وقال عمار وقد دنا من هودج عائشة: ما تطلبون؟ قالوا: نطلب دم عثمان. قال: قتل الله فى هذا اليوم الباغى ، والطالب لغير الحق ، والتقى على والزبير ، فقال له على: أتذكر قول النبى ﷺ لى: أنك تقاتلنى؟ فتركه ، ورجع ، وراجعه ولده ، فلم يقبل ، وأتبعه الأحنف [3] من قتله. ونادى على طلحة من بعد ، ما تطلب؟ قال: دم عثمان. قال: قتل الله أولانا بدم عثمان. ألم تسمع النبى ﷺ يقول: " اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله " [4] وأنت أول من بايعنى ونكث.

عاصمة:

أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا إشكال فيه ، ولكن لأى شىء خرجوا؟ لم يصح فيه نقل ، ولا يوثق فيه أحد ، لأن الثقة لم ينقله ، وكلام المتعصب غير مقبول ، وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن فى الإسلام ، واستنقاص الصحابة فيحتمل أنهم خرجوا خلعًا لعلى ، لأمر ظهر لهم. وهو أنهم بايعوا لتسكين الثائرة ، وقاموا يطلبون الحق. ويحتمل أنهم خرجوا

---

(١) الأدبب: كثير وبر الوجه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٢٤٢٥٤ ، ٢٤٦٥٤) ، بسند صحيح ولفظه: " كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب " .

(٣) أبو بحر الأحنف بن قيس التميمى السعدى. توفى سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م.

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٩٦٤) من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه .

ليتمكنوا من قتلة عثمان. ويمكن أنهم خرجوا لينظروا فى جمع طوائف المسلمين وضم تشردهم، وردهم إلى قانون واحد، حتى لا يضطربون فيقتتلوا، وهذا هو الصحيح لا شىء سواه، وبذلك وردت صحاح الأخبار (١).

فأما الأقسام الأول فكلها باطلة، وضعيفة، أما بيعتهم كرها فباطل، وقد بيناها. وأما خلعهم فباطل، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع، فيمكن أن يولى واحد أو اثنان، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات والبيان. وأما خروجهم فى أمر قتلة عثمان فيضعف، لأن الأصل قبله تأليف الكلمة. ويمكن أن يجتمع الأمران، ويروى أن فى تغييبهم قطعًا للشغب بين الناس، فخرج طلحة، والزبير، وعائشة أم المؤمنين ﵃، رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم، فيرعوا حرمة نبيهم، واحتجوا عليها بقول الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] وقد خرج النبى ﷺ فى الصلح، وأرسل فيه، فرجت المثوبة، واغتنمت الفرصة، وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها. وأحس بهم أهل البصرة، فحرض من كان فيها من المتألبين على عثمان ﵁ الناس، وقال: اخرجوا إليهم حتى تروا ما جاءوا إليه، فبعث عثمان بن حنيف (٢)، حكيم بن جبلة، فلقى طلحة والزبير ﵄ بالزابوقة (٣)، فقتل حكيم، ولو

(١) وذلك كقوله تعالى ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩].

(٢) مات فى آخر خلافة معاوية (خليفة بن خياط، الطبقات، ص١٣٥).

(٣) مكان قرب البصرة وقعت فيه مناوشات من معركة الجمل (القاموس المحيط). ويقول خليفة بن خياط إنها مدينة الرزق بحضرة كلاء البصرة (تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص١٦٠).

خرج مسلمًا، مستسلمًا لا مدافعًا ، لما أصابه شيء ، وأى خير كان له فى المدافعة ، وعن أى شيء كان يدافع؟ وهم ما جاءوا مقاتلين ، ولا ولاة ، وإنما جاءوا ساعين فى الصلح ، راغبين فى تأليف الكلمة ، فمن خرج إليهم فدافعهم ، وقاتلهم ، دافعوه عن مقصدهم ، كما يفعل فى سائر الأسفار والمقاصد.

فلما وصلوا إلى البصرة ، تلقاهم الناس بأعلى المربد (١) ، مجتمعين، حتى لو رمى حجر ، ما وقع إلا على رأس إنسان. فتكلم طلحة ، وتكلمت عائشة ﵂ ، وكثر اللغط ، وطلحة يقول: انصتوا ، فجعلوا يركبونه ، ولا ينصتون ، فقال: أف ، أف ، فراش نار ، وذباب طمع ، وانقلبوا على غير بيان، وانحدروا إلى بنى نهد ، فرماهم الناس بالحجارة ، حتى نزلوا الجبل ، والتقى طلحة ، والزبير ﵄ ، وعثمان بن حنيف (٢) عامل على ، على البصرة، وكتبوا بينهم أن يكفوا عن القتال ، ولعثمان دار الإمارة ، والمسجد ، وبيت المال ، وأن ينزل طلحة والزبير ﵄ من البصرة ، حيث شاءا ، ولا يعرض بعضهم لبعض ، حتى يقدم على.

وروى أن حكيم بن جبلة ، عارضهم حينئذ ، فقتل بعد الصلح. وقدم على البصرة ، وتدانوا ليتراءوا ، فلم يتركهم أصحاب الأهواء ، وبادروا بإراقة الدماء ، واشتجر بينهم الحرب ، وكثرت الغوغاء على البوغاء (٣) ، كل ذلك حتى لا يقع برهان ، ولا تقف الحال على بيان ، ويخفى قتلة عثمان. وأن واحدا فى جيش يفسد تدبيره ، فكيف بألف؟!

---

(١) مكان قرب البصرة طرأت عليه عدة تطورات. (محب الدين الخطيب ، ص١٥٤) إذ كان سوقا للإبل ثم سوقا لمفاخرات الشعراء ثم حيا من أحياء البصرة ، ثم أصبح خرابا.

(٢) عثمان بن حنيف بن وهب توفى بعد ٤١هـ/ ٦٦١م.

(٣) البوغاء: حمقى الناس (القاموس المحيط).

وقد روى أن مروان لما وقعت عينه فى الاصطفاف ، على طلحة رضي الله عنه ، قال: لا أطلب أثرًا بعد عين ، ورماه بسهم فقتله. ومن يعلم هذا ، إلا علام الغيوب ، ولم ينقله ثبت؟ وقد روى أنه أصابه سهم بأمر مروان ، لا أنه رماه [1]. وقد خرج كعب بن سور بمصحف منشور بيده ، يناشد الناس أن لا يريقوا دماءهم ، فأصابه سهم غرب فقتله ، ولعل طلحة رضي الله عنه مثله. ومعلوم أنه عند الفتنة ، وفى ملحمة القتال ، يتمكن أولو الإحن والحقود ، من حل العرى ، ونقض العهود ، وكانت آجالا حضرت ، ومواعد انتجزت.

فإن قيل: فلم خرجت عائشة وقد قال النبى لهن فى حجة الوداع: " هذه ثم ظهور الحُصُر " [2]؟ ألم أعهد إليكم ألا تروووا أحاديث البهتان ، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان. فلم تقولون ما لا تعلمون؟ وتكررون ما وقع الانفصال عنه ، كأنكم لا تفهمون : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٢]. وأما الذى ذكرتم من الشهادة على ماء الحوأب ، فقد بؤتم فى ذكرها بأعظم حوب [3] ، ما كان قط

---

(١) ولم يرد بنقل العدل الثقة أن مروان بن الحكم فعل ذلك ، ولله در القاضى!! فقد أورد الخبر بصيغة التضعيف ، بل صرح أنه لم ينقله ثبت ، فتدبر هذا ، وتأمله ، لتتعلم الإنصاف والموضوعية العلمية لا المدعاة المتوهمة عند أهل الضِغْن على الإسلام وأهله!!.

(٢) حسن . أخرجه أحمد فى المسند (٦/ ٣٢٤) (ح/ ٢٦٧٥١)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ونَصُّه : أن رسول الله ﷺ قال لنسائه عام حَجَّة الوداع : " هَذِه، ثم ظُهُورَ الحُصُر " قال : فكنَّ كُلُّهن يَحْجُجْنَ إلا زينب بنت جحش وسَوْرة بنت زمعة، وكانتا تقولان : والله لا تحرِّكنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من النبي ﷺ " . قال السِّنْدي : قوله " هذه" أي: حَجَّتُكُنَّ هذه ، أو هذه حَجَّتُكُنَّ ، "ثم ظُهُورَ الحُصُر " أي: ثم الأولى لكن لزوم البيت، والحُصُر (بضمتين) وأيضا (الحُصْر) بتسكين الصاد : جمع "حصير" ما يبسط فى البيوت ... [انظر ٢٨/ ٣٣٣ - هامش مسند الإمام أحمد ط.التركى، مؤسسة الرسالة].

(٣) الحوب: الذنب.

شيء مما ذكرتم. ولا قال النبي ﷺ ذلك الحديث، ولا جرى ذلك الكلام، ولا شهد أحد بشهادتهم، وقد كتبت شهاداتكم بهذا الباطل، وسوف تسألون [١].

قاصمة:

ودارت الحرب بين أهل الشام، وأهل العراق، هؤلاء يدعون إلى عليّ بالبيعة، وتأليف الكلمة على الإمام. وهؤلاء يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان، ويقولون: لا نبايع من يأوى القتلة. وعليّ يقول: لا أمكّن طالبا من مطلوب، ينفذ فيه مراده، بغير حكم ولا حاكم، ومعاوية يقول: لا نبايع متهمًا بقتله أو قاتلا له، هو أحد من نطلب، فكيف نحكمه، أو نبايعه؟ وهو خليفة عدا، وتسور. وذكروا فى تفاصيل ذلك كلمات، آلت إلى استفعال رسائل، واستخراج أقوال، وإنشاد أشعار، وضرب أمثال، تخرج عن سيرة السلف يُقِرُّها الخَلْف [٢]، وينبذها الخَلَفَ [٣].

عاصمة:

أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعا، أما كونه بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعا. وأما الصواب فيه فمع عليّ، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضى، لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده فإن ظهر له قضاء، وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله

---

(١) وهذه هى المصيبة الصلعاء والداهية المريرة، وهى تَلَقُّفُ المغرضين الأخبارَ الواهية التى لا تصح أو التى لا أصل لها، ثم يتلقفها عنهم أصحاب العواطف والقصاص ونحوهم، وعنهم سارى الناس، حتى تصير كأنها حقيقية لا تقبل جدلا، فالله الله فى تاريخ أمتكم!! لكن صح الخبر فى هذه القضية كما سبق، فالأولى: توجيه هذا الخبر والاعتذار عن فعل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما سبق وفعل الإمام أبو بكر ابن العربى، والله أعلم.

(٢) الخَلْف: الولد الطالح الفاسد. (٣) الخَلَف: الولد الصالح.

فيه. وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه، فيقوم له عذر فى الدنيا.

ولئن اتهم علىّ بقتل عثمان، فليس فى المدينة أحد من أصحاب النبى إلا وهو متهم به، أو قل معلوم قطعا أنه قتله، لأن ألف رجل لا يغلبون أربعين ألفا، جاءوا لقتل عثمان. وهبك أن عليا، وطلحة، والزبير تظافروا على قتل عثمان، فباقى الصحابة من المهاجرين والأنصار، ومن اعتدّ فيهم، وضوى إليهم، ماذا صنعوا بالقعود عن نصرته؟ فلا يخلو أن يكون لأنهم رأوا أولئك طلبوا حقا، وفعلوا حقا، فهذه شهادة قائمة على عثمان، فلا كلام لأهل الشام. وإن كانوا قعدوا عنه استهزاء بالدين، وأنهم لم يكن لهم رأس مال (١) فى الحال، ولا مبالاة عندهم بالإسلام، ولا فيما يجرى فيه من اختلال فهى ردة ليست معصية. لأن التهاون بحدود الدين والإسلام، وتعريض حرمات الشريعة للتضييع: كفر. وإن كانوا قعدوا لأنهم لم يروا أن يتعدوا حد عثمان وإشارته، فأى ذنب لهم فيه؟ وأى حجة لمروان، وعبد الله بن الزبير، والحسن، والحسين، وابن عمر، وأعيان العشرة معه فى داره، يدخلون إليه، ويخرجون عنه فى الشكة والسلاح، والمطالبون ينظرون؟ ولو كان لهم بهم قوة أو آووا إلى ركن شديد، لما مكنوا أحدا أن يراه منهم، ولا يداخله، وإنما كانوا نظارة. فلو قام فى وجوههم الحسن، والحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، ما جسروا، ولو قتلوهم ما بقى على الأرض منهم حى.

ولكن عثمان سلم نفسه، فترك ورأيه، وهى مسألة اجتهاد، كما قدمنا. وأى كلام كان يكون لعلى لو كتبت عنده البيعة (٢)، وحضر عنده ولى

---

(١) ضوى: مال.

(٢) غير محب الدين هذه العبارة فكتب: "لوما تمت له البيعة" ولم يشر إلى ذلك. وهو مخالف للنص فى جميع النسخ (ص١٦٧) وهذا أدى إلى تغيير المعنى الذى قصد إليه المؤلف – والله أعلم – .

عثمان ، قال له: يا أيها الخليفة؟ - وما تمالأ [١] عليه ألف نسمة حتى قتلوه وهم معلومون - ماذا كان يقول إلا "اثبت وخذ" وفى يوم كان يثبت ، إلا أن يثبتوا هم أن عثمان كان مستحقا للقتل. وتالله لتعلمن يا معشر المسلمين ، أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبدا ، وكان يكون الوقت أمكن للطالب ، وأرفق فى الحال ، وأيسر وصولا إلى المطلوب.

والذى يكشف الغطاء فى ذلك أن معاوية لما صار إليه الأمر ، لم يمكنه أن يقتل مِنْ قَتَلَةِ عثمان أحدا ، إلا بحكم ، إلا من قتل فى حرب بتأويل ، أو دس عليه فيما قيل ، حتى انتهى الأمر إلى زمان الحجاج [٢]. وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة، فتبين لكم أنهم ما كانوا فى ملكهم يفعلون ، ما أضحوا له يطلبون. والذى تثلج به صدوركم : أن النبى ﷺ ذكر فى الفتن ، وأشار وبين ، وأنذر الخوارج وقال: (تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق) [٣] فبين أن كل طائفة تتعلق بالحق ، ولكن طائفة علىّ رضي الله عنه أدنى إليه. وقال تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات : ٩] فلم يخرجهم عن الإيمان بالبغى بالتأويل، ولا سلبهم اسم الأخوة بقوله بعده: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟

---

(١) غير محب الدين النص هنا أيضا هكذا: وقال له: إن الخليفة قد تمالأ عليه ... وهو مخالف لجميع النسخ ومؤد إلى تغيير فى المعنى. والغريب أنه لم يشر إلى أنه غير أو بدل أو اقترح (ص١٦٧).

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفى توفى سنة ٩٥هـ/ ٧١٣م.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٦٥) ، أما حديث المتفق عليه ، أخرجه البخارى (٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤) ، فى وصف الخوارج وليس فيه هذا اللفظ .

﴿ ... بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ١٠] وقال فى عمار: (تقتله الفئة الباغية) (١) ، وقال فى الحسين: (ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) (٢) فحسّن له خلعه نفسه وإصلاحه.

وكذلك يروى أنه أَذِنَ فى الرؤيا لعثمان فى أن يستسلم ، ويفطر عنده الليلة. فهذه كلها أمور جرت على رسم النزاع ، ولم تخرج عن طريق من طرق الفقه ، ولا تعدت سبيل الاجتهاد ، الذى يؤجر فيه المصيب عشرة ، والمخطئ أجرا واحدا. وما وقع من روايات فى كتب التاريخ - عدا ما ذكرنا - فلا تلتفتوا إلى حرف منها ، فإنها كلها باطلة (٣).

قاصمة التحكيم:

وقد تحكم الناس فى التحكيم ، فقالوا فيه ما لا يرضى الله ، وإذا لاحظتموه بعين المروءة ، دون الديانة ، رأيتم أنها سخافة ، حمل على سطرها فى الكتب - فى الأكثر - عدم الدين ، و - فى الأقل - جهل مبين. والذى صح من ذلك ما روى الأئمة كخليفة بن خياط (٤) ، والدارقطنى (٥) أنه لما

---

(١) أخرجه البخارى (٤٤٧ ، ٢٨١٢) ، ومسلم (٢٩١٥ ، ٢٩١٦) .

(٢) أخرجه البخارى (٢٧٠٤) وغيره.

(٣) نعم ، وهذا هو المشكل ، أن الناس يريدون قراءة التاريخ ، لكن لا يُوَفَّقُون إلى التمييز بين ما يصح من الأخبار فيقبل ، وبين ما لا يصح فيرد ويرذل!!

(٤) أبو عمرو خليفة بن خياط العصفرى بصرى من الحفاظ له "التاريخ" و "الطبقات" توفى سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م (الذهبى ، العبر ، ج١ ص٤٣٢).

(٥) أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى من كبار المحدثين ببغداد توفى سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م.

خرج الطائفة العراقية فى مائة ألف ، والشامية فى سبعين أو تسعين ألفا ، ونزلوا على الفرات بصفين ، اقتتلوا فى أول يوم - وهو الثلاثاء - على الماء فغلب أهل العراق عليه ، ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة... [1] ويوم الخميس ، ويوم الجمعة ، وليلة السبت ، ورفعت المصاحف من أهل الشام ، ودعوا إلى الصلح ، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل ، حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعوتين بالحق ، فكان من جهة علىّ : أبو موسى الأشعرى ، ومن جهة معاوية: عمرو بن العاص ، وكان أبو موسى رجلا تقيا ، ثقفا ، فقيها ، عالما ، حسبما بيناه فى كتاب "سراج المريدين " [2] أرسله النبى ﷺ إلى اليمن مع معاذ ، وقدمه عمر ، وأثنى عليه بالفهم.

وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأى ، مخدوعا فى القول ، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأدب ، حتى ضربت الأمثال بدهائه ، تأكيدا لما أرادت من الفساد. وتبع فى ذلك بعض الجهال بعضا ، وصنعوا فيها الحكايات. وغيره من الصحابة كان أحذق منه وأدهى. وإنما بنوا ذلك على أن عمرا لما غدر أبا موسى فى قصة التحكيم ، صار له بذلك الذكر فى الدهاء والمكر ، وقالوا: إنهما لما اجتمعا بأذرح من دومة الجندل ، وتفاوضا اتفقا على أن يخلعا الرجلين ، فقال عمرو لأبى موسى: اسبق

(١) بياض فى جميع الأصول. وهى سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م على الأصح.

(٢) من مؤلفات أبى بكر بن العربى وهو فى الزهد والتصوف السنى وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٣٤٨ب وقد صور من مكتبة الأستاذ الصديق ابن العربى بالمغرب الأقصى.

بالقول ، فتقدم فقال: إنى نظرت فخلعت عليا عن الأمر ، ولينظر المسلمون لأنفسهم ، كما خلعت سيفى هذا عن عاتقى وأخرجه من عنقه ، فوضعه فى الأرض ، وقام عمرو فوضع سيفه بالأرض وقال: إنى نظرت فأثبت معاوية فى الأمر ، كما أثبت سيفى هذا فى عاتقى ، وتقلده ، فأنكر أبو موسى فقال عمرو: كذلك اتفقنا ، وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف.

عاصمة:

قال القاضى أبو بكر رحمه الله: هذا كله كذب صراح ، ما جرىَ منه قط حرف ، وإنما هو شىء اخترعته المبتدعة ، ووضعته التاريخية للملوك ، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصى الله والبدع. وإنما الذى روى الأئمة الثقات الأثبات أنهما لما اجتمعا للنظر فى الأمر فى عصبة كريمة من الناس ، منهم عبد الله بن عمر ، ونحوه ، عزل عمرو معاوية.

ذكر الدارقطنى سنده عن حضين بن المنذر قال: لما عزل عمرو معاوية جاء فضرب فسطاطه قريبا من فسطاط معاوية ثم جعل يتكلم فبلغ نبأه معاوية ، فأرسل إلىّ فقال إنه بلغنى عن هذا كذا وكذا ، فاذهب فانظر ما هذا الذى بلغنى عنه ، فأتيته فقلت: أخبرنى عن الأمر الذى وليت أنت وأبو موسى ، كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس فى ذلك ما قالوا ، والله ما كان الأمر على ما قالوا ، ولكن قلت لأبى موسى: ما ترى فى هذا الأمر؟ قال: أرى أنه فى النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. قلت: فأين تجعلنى أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة ، وإن يستغن عنكما: فطالما استغنى أمر الله عنكما ...

قال الدارقطني - وذكر سندا عدلا وساق الحديث - ثم قال: ثنا محمد ابن عبد الله بن إبراهيم ودعلج بن أحمد قالا: حدثنا محمد بن أحمد بن النضر، ثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن عبد الملك بن عمير (١) عن ربعى عن أبى موسى عن عمرو بن العاص قال: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال، وهو يحل لهما منه شيء: لقد غُبِنا، ونقص رأيهما. وايم الله ما كانا مغبونين، ولا ناقصى الرأى، ولئن كانا امرأين يحرم عليهما من هذا المال الذى أصبناه بعدهما، لقد هلكنا: وايم الله! ما جاء الوهم إلا من قبلنا. فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه. فأعرضوا عن الغاوين، وازجروا العاوين، واعرجوا عن سبيل الناكثين إلى سنن المهتدين، وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين. وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ، فقد هلك من كان أصحاب النبى خصمه، ودعوا ما مضى، فقد قضى الله فيه ما قضى. وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادا وعملا، ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ماجن اتخذ الدين هملا، وأحسنوا فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ورحم الله الربيع بن خثيم (٢)، فإنه لما قيل له: قتل الحسين. قال: أقتلوه؟ قالوا: نعم. فقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٤٦] ولم يزد على هذا أبدا. فهذا العقل والدين، والكف عن أحوال المسلمين، والتسليم لرب العالمين.

---

(١) عمر. وعبد الملك بن عمير محدث كوفى توفى سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٣م.

(٢) توفى سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م.

قاصمة:

فإن قيل: إنما يكون ذلك فى المعانى التى تُشْكَل، وأما هذه الأمور كلها فلا إشكال فيها؛ لأن النبى ﷺ نص على استخلاف عَلىّ بعده، فقال: "أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى"[(١)] "اللهم وال من والاه"، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله"[(٢)] فلم يبق بعد هذا خلاف لمعاند، فتعدى عليه أبو بكر واقتعد فى غير موضعه، ثم خلفه فى التعدى عمر، ثم رجى أن يوفق عمر للرجوع إلى الحق فأبهم الحال، وجعلها شورى؛ قصدا للخلاف الذى سمع من النبى ﷺ، ثم تحيل ابن عوف حتى ردها عنه، إلى عثمان، ثم قتل عثمان لتسوّره على الخلافة، وعلى أحكام الشريعة، وصار الأمر إلى على بالحق الإلهى[(٣)] النبوى، فنازعه من عاقده، وخالف عليه من بايعه، ونقض عهده من شده، وانتدب أهل الشام مع معاوية إلى الفسوق فى الدين، بل الكفر. وهذه حقيقة مذهبهم أن الكل منهم كفرة. لأن من مذهبهم التكفير بالذنوب.

وكيف تقول هذه الطائفة التى تسمى بالإمامية[(٤)]: أن كل عاص بكبيرة

---

(١) أخرجه البخارى (٣٧٠٦، ٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٩٦٤)، سبق تخريجه ص ٢٤٨.

(٣) ليست الخلافة حقا إلهيا، فهذه فكرة وافدة على التراث الإسلامى قاطبة، بل الخليفة هو إمام المسلمين بايعوه وعقدوا له الطاعة ما أطاع فيهم الله ورسوله، وهو أيضا بشر ليس بالمعصوم، وإن رأى أهل الحل والعقد مصلحة فى خلعه جاز خلعه ما لم يترتب على ذلك مفسدة راجحة، فأين هذا من مفهوم "الحق الإلهى" الذى تسلط به ملوك أوربا وعلماؤها على غيرهم من سائر الناس؟!!

(٤) طائفة من الشيعة، وتسمى أيضا بـ "الروافض" لأنهم يرفضون ويكفرون كل من ترضى على الصحابة أو والاهم، وهم من شرار الشيعة، تمكنوا من بلاد إيران =

كافر على رسم القدرية ، ولا أعصى من الخلفاء المذكورين ، ومن ساعدهم على أمرهم. وأصحاب محمد أحرص الناس على دنيا ، وأقلهم حماية على دين ، وأهدمهم لقاعدة شريعة.

عاصمة:

قال القاضى أبو بكر رحمه الله: يكفيك من شر سَمْعُه ، فكيف التململ به؟! خمسمائة عام كمّلا إلى يوم مقالى هذا لا ينقص منها يوم ، ولا يزيد يوم وهو مهل شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، ماذا يرجى بعد التمام إلا النقص! ما رضيت اليهود والنصارى فى أصحاب موسى وعيسى بما رضيت به الروافض فى أصحاب محمد ﷺ ! حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل! فما يرجى من هؤلاء ، وما يستبقى منهم؟ وقد قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ﴾ [النور : ٥٥] وهذا قول صدق ، ووعد حق. وقد انقرض عصرهم ، ولا خليفة فيهم ، ولا تمكين ، ولا أمن ولا سكون إلا فى ظلم ، وتعد ، وغضب ، وهرج ، وتشتيت كلمة ، وإثارة ثائرة.

وقد أجمعت الأمة على أن النبى ﷺ ما نص على أحد يكون من بعده ، وقد قال العباس فيما رواه عنه ابنه عبد الله بن عباس قال: خرج على بن أبى طالب رضي الله عنه من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه ، فقال الناس: يا أبا الحسن! كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئا، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب ، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وإنى والله لأرى رسول الله سوف يتوفى من وجعه هذا ، إنى لأعرف وجوه

= والعراق منذ ٤٠٠ سنة أو تزيد ، ومن هذا اليوم ، وهم إلب على أهل السنة ، يجتهدون فى عداوتهم ، فعليهم من الله ما يستحقون ...

بنى عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله فلنسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده ، فإن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان فى غيرنا أعلمناه (*) فأوصى بنا. فقال على: إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإنى والله لا أسألها رسول الله ﷺ (١).

قال القاضى أبو بكر رحمه الله: رأى العباس عندى أصح ، وأقرب إلى الآخرة ، والتصريح بالتحقيق. وهذا يبطل قول مدعى الإشارة باستخلاف على ، فكيف أن يدّعى فيه نص؟! فأما أبو بكر فقد جاءت امرأة إلى النبى فسألته شيئا فأمرها أن ترجع إليه، قالت له: فإن لم أجدك - كأنها تعنى الموت - قال: تجدين أبا بكر (٢). وقال النبى ﷺ لعمر رضي الله عنه وقد وقع بينه وبين أبى بكر كلام ، فتمعَّر وجه النبى ، حتى أشفق من ذلك أبو بكر ، وقال النبى: هل أنتم تاركو لى صاحبى - مرتين - إنى بعثت إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر: صدقت ، ألا إنى أبرأ إلى كل خليل من خلته ، وقال النبى: "لو كنت متخذا فى الإسلام خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخى وصاحبى ، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا ، لا تبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر" (٣). وقال النبى ﷺ : "بينما أنا نائم رأيتنى على قليب (٤) عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذنوبا (٥) أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم

(*) فى الأصل (كلمناه) والصواب ما ذكرناه - والله أعلم - .

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٢٣٧٤ ، ٢٩٩٧) .

(٢) متفق عليه. أخرجه البخارى (٧٣٦٠) ، ومسلم (٢٣٨٦) .

(٣) أخرجه البخارى (٤٦٧ ، ٣٩٠٤) ، ومسلم (٢٣٨٢) ، وأحمد (٢٤٣٢) ومواضع أُخَر.

(٤) بئر.

(٥) الدلو العظيمة.

استحالت غربا [1] فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن " [2].

وقد ثبت أن النبى ﷺ صعد أحدا ، وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فرجف بهم فقال: " اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان " [3] وقال النبى ﷺ : " إنه كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر " [4] وقال النبى لعائشة فى مرضه: " ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب كتابا ، فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول: أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر " [5] وقال ابن عباس: (إن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى أرى الليلة فى المنام ظلة تنطف السمن والعسل ، فأرى الناس يتكففون بأيديهم ، فالمستكثر والمستقل ، وأرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض ، فأراك أخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل (من بعدك فعلا ، ثم أخذ به رجل آخر فعلا ثم أخذ به رجل). آخر فانقطع. ثم وصل له فعلا - وذكر الحديث - ثم عبرها أبو بكر فقال: أما السبب الواصل من السماء فالحق الذى أنت عليه ،

---

(١) الدلو الواسعة.

(٢) متفق عليه . أخرجه البخارى فى مواضع منها (٣٦٧٦) ، ومسلم (٢٣٩٣) من حديث ابن عمر ، أخرجه البخارى (٣٦٦٤) ، ومسلم (٢٣٩٢) من حديث أبى هريرة . والعطن أصله: مبرك الإبل ومَرْبِض الغنم عند الماء ، وضرب فلان بعطن: رَوّى إبله ثم أقام على الماء ، وفلان واسع العطن: واسع الصبر والحيلة عند الشرائد سخى كثير المال (٢/ ٦٣١ المعجم الوسيط).

(٣) متفق عليه . أخرجه البخارى فى مواضع منها (٣٦٧٥ ، ٣٦٨٦) ، ومسلم (٢٤١٧) ، واللفظ للبخارى .

(٤) أخرجه البخارى (٣٦٨٩).

(٥) متفق عليه. أخرجه البخارى (٥٦٦٦، ٧٢١٧) ومسلم (٢٣٨٧) ، وأخرجه أحمد بلفظ أصرح (٢٤٧٥١) .

فأخذته فيعليك الله، ثم يأخذ به رجل آخر من بعدك، فيعلو به ثم يأخذه رجل آخر، فيعلو به، ثم يأخذه رجل آخر فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به [١]، وصح أن النبى ﷺ قال ذات يوم: "من رأى منكم رؤيا؟" فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت، ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان، فرأينا الكراهية فى وجه رسول الله [٢].

وهذه الأحاديث جبال فى البيان، وجبال فى التسبيب إلى الحق لمن وفقه الله، ولو لم يكن معكم أيها السنية إلا قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] فجعلهم فى نصيب، وجعل أبا بكر فى نصيب آخر. وقام معه جميع الصحابة. وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى عنها حال الخلفاء فى جلالهم، وولايتهم، وترتيبهم خصوصا وعموما وقد قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥] وإذا لم ينفذ هذا الوعد فى الخلفاء فلمن ينفذ؟ وإذا لم يكن فيهم ففيمن يكون؟ والدليل عليه انعقاد الإجماع أنه لم يتقدمهم فى الفضيلة أحد إلى يومنا هذا، وما بعدهم مختلف فيه، فأولئك مقطوع بهم، متيقن إمامتهم، ثابت نفوذ وعد الله لهم، فإنهم ذبوا عن حوزة المسلمين وقاموا بسياسة الدين. قال علماؤنا: ومن بعدهم تبع لهم من أئمة

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخارى (٧٠٤٦)، ومسلم (٢٢٦٩).

(٢) صحيح. أخرجه الإمام أحمد (٥٤٦٩) وأبو داود (٤٦٣٤)، والترمذى (٢٢٨٧) وقال حسن صحيح وابن أبى عاصم فى السنة (١١٣٥)، وقال الشيخ الألبانى فى ظلال الجنة، حديث صحيح.

الدين ، الذين هم أركان الملة ، ودعائم الشريعة ، الناصحون لعباد الله ، الهادون من استرشد إلى الله ، فأما من كان من الولاة الظلمة فضرره مقصور على الدنيا وأحكامها. وأما حفاظ الدين فهم الأئمة العلماء الناصحون لدين الله ، وهم أربعة أصناف ، وهى:

الصنف الأول: حفظوا أخبار رسول الله ﷺ ، وهم بمنزلة الخزان لأقوات المعاش.

الصنف الثانى: علماء الأصول ، ذبوا عن دين الله ، أهل العناد ، وأصحاب البدع ، فهم شجعان الإسلام ، وأبطاله المداعسون [1] عنه فى مآزق الضلال.

الصنف الثالث: قوم ضبطوا أصول العبادات ، وقانون المعاملات ، وميزوا المحللات من المحرمات ، وأحكموا الجراح والديات ، وبينوا معانى الأيمان والمنذورات ، وفصلوا الأحكام فى الدعاوى ، فهم فى الدين بمنزلة الوكلاء المتصرفين فى الأموال.

الصنف الرابع: تجردوا للخدمة ، ودأبوا على العبادة ، واعتزلوا الخلق ، وهم فى الآخرة كخواص الملك فى الدنيا.

وقد أوضحنا فى كتاب "سراج المريدين" [*] فى القسم الرابع من علوم القرآن أى المنازل أفضل من هؤلاء الأصناف ، وترتيب درجاتهم.

قال القاضى أبو بكر رحمه الله: فهذه كلها إشارات أو تصريحات أو

---

(١) أى المدافعون.

(*) وهذا الكتاب له مخطوطتان، إحداهما بدار الكتب المصرية، والأخرى بالمغرب، واسم الكتاب بأكمله "سراج المريدين وموفى سبيل المهتدين؛ للاستنارة بالأسماء والصفات فى المقامات والحالات الدينية والدنيوية، بالأدلة العقلية والشرعية: القرآنية والسنية".

دلالات أو تنبيهات ، ومجموع ذلك يدل على صحة ما جرى ، وتحقيق ما كان بين الفضلاء.

ونقول - بعد هذا البيان - على مقام آخر: لو كان هناك نص على أبى بكر يذكر أو على علىّ: لم يكن بد من احتجاج علىّ به ، أو يحتج له به غيره من المهاجرين والأنصار ، فأما حديث غدير خم فلا حجة فيه ، لأنه إنما استخلفه فى حياته على المدينة ، كما استخلف موسى هارون فى حياته عند سفره للمناجاة ، على بنى إسرائيل ، وقد اتفق الكل من إخوانهم اليهود قاطبة على أن موسى مات بعد هارون ، فأين الخلافة؟

وأما قوله: "اللهم وال من والاه" (١) فكلام صحيح ، ودعوة مجابة ، وما نعلم أحدًا عاداه إلا الرافضة ، فإنهم أنزلوه فى غير منزلته ، ونسبوا إليه ما لا يليق بدرجته ، والزيادة فى الحد: نقصان من المحدود ، ولو تعدى عليها أبو بكر ، ما كان المتعدى وحده بل جميع الصحابة ، كما قلنا ؛ لأنهم ساعدوه على الباطل. ولا تستغربوا هذا من قولهم ، فإنهم يقولون: إن النبى كان مداريا لهم وممتحنًا بهم على نفاق وتقية ، وأين أعظم من قوله - حين سمع قول عائشة ﵂ مُرُوا عمر فليصل بالناس - إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر. وقوله - حين سمع صوت عمر : - يأبى الله ذلك والمسلمون ، مروا أبا بكر فليصل بالناس" (١). وما قدمنا من تلك الأحاديث. لقد اقتحموا عظيمًا ، ولقد افتروا كبيرًا ، وما جعلها عمر شورى إلا اقتداء بأبى بكر إذ قال: "إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى وإن لم أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف" (٢) فما رد هذه الكلمة

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٤٨، وأخرجه أحمد فى مسنده (٩٦٤) ، من حديث على بن أبى طالب .

(٢) سبق تخريجه ص ١٩٣ ، أخرجه البخارى فى مواضع منها (٧١٣) .

(٣) متفق عليه . أخرجه البخارى (٧٢١٨) ومسلم (١٨٢٣) .

أحد. وقال: "اجعلها شورى فى النفر الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض" [١] وقد رضى عن أكثر منهم ، ولكن كانوا خيار الرضا ، وشهد لهم بالأهلية للخلافة.

وأما قولهم: تحيّل ابن عوف حتى ردها لعثمان. فلئن كانت حيلة ، ولم يكن سواها ، فلأن الحول ليس إليه ، وإنما كل عمل العباد حيلة ، ولو كان القضاء بالحول فالحول والقوة لله. وقد علم كل أحد أنه لا يليها إلا واحد ، فاستبد عبد الرحمن بن عوف بالأمر ، بعد أن أخرج نفسه على أن يجتهد للمسلمين فى الأسدّ والأشد ، فكان كما فعل ، و ولاها من استحقها ، ولم يكن غيره أولى منه بها حسبما بيناه فى "مراتب الخلافة" من "أنوار الفجر" [٢] وفى غيره من الحديث. وقتل عثمان فلم يبق على الأرض أحق بعلى منها ، فجاءته على قدر ، فى وقتها ومحلها ، وبين الله على يده من الأحكام والعلوم ما شاء أن يبين. وقد قال عمر: لولا على هلك عمر. وظهر من فقهه وعلمه فى قتال أهل القبلة ، من استدعائهم ومناظرتهم ، وترك مبادأتهم ، والتقدم إليهم قبل نصب الحرب معهم ، وندائه: لا تبدأوا بالحرب ولا يتبع مول ، ولا يجهز على جريح ، ولا تهاج امرأة ، ولا نغنم لهم مالا ، وأمره بقبول شهادتهم ، والصلاة خلفهم ، حتى قال أهل العلم: لولا ما جرى ، ما عرفنا حكم قتال أهل البغى.

وأما خروج طلحة والزبير ، فقد تقدم بيانه ، وأما تكفيرهم للخلق ، فهم الكفار. وقد بينا أحوال أهل الذنوب الذين ليس منهم عليها شر فى غير ما كتاب ، وشرحناها فى كل باب. فإن قيل: فقد قال العباس فى على ما رواه

---

(١) أخرجه البخارى (١٣٩٢) ، من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومسلم (٥٦٧) واللفظ له .

(٢) كتب فى هامش ج: تفسير المصنف فى مائة جزء كما فى الديباج لابن فرحون.

الأئمة أن العباس وعلياً اختصما عند عمر فى شأن أوقاف رسول الله ﷺ فقال العباس لعمر: يا أمير المؤمنين: اقض بينى وبين هذا الظالم، الكاذب، الغادر، الآثم، الخائن. فقال الرهط لعمر: يا أمير المؤمنين اقض بينهما، وأرح أحدهما من الآخر. فقال عمر: اتئدا! أنشدكم الله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله قال: "لا نورث، ما تركناه صدقة" (١) يريد بذلك نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك. فأقبل على علىّ والعباس فقال: أنشدكما الله هل تعلمان أن رسول الله قال ذلك؟ قالا: نعم. قال عمر: إن الله خص رسوله فى هذا الفىء بشىء، لم يعطه أحدا غيره، فعمل فيها رسول الله حياته، فقال أبو بكر: أنا وَلِيُّ رسول الله فقبضها سنتين من إمارته، فعمل فيها بما عمل رسول الله، وأنتما تزعمان أن أبا بكر كاذب، غادر، خائن، والله ليعلم إنه لصادق بار، راشد، تابع للحق (٢). وذكر الحديث.

قلنا: أما قول العباس لعلى، فقول الأب للابن، وذلك على الرأس محمول، وفى سبيل المغفرة مبذول، وبين الكبار والصغار - فكيف الآباء والأبناء - مغفور موصول. وأما قول عمر: إنهما اعتقدا أن أبا بكر ظالم خائن غادر، وكذلك اعتقدا فيه، فإنما ذلك خبر عن الاختلاف فى نازلة وقعت من الأحكام رأى فيها هذان رأيا، ورأى فيها أولئك رأيا، فحكم أبو بكر وعمر بها رأيا، ولم ير العباس وعلى ذلك، ولكن لما حكما سلما لحكمهما كما يسلم لحكم القاضى فى المختلف فيه والمحكوم عليه يرى أنه قد وهم، ولكنه سكت وسلم.

---

(١) صحيح. أخرجه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى.

(٢) أخرجه البخارى فى مواضع منها (٣٠٩٤)، (٤٠٣٣) ومسلم (١٧٥٧)، أحمد فى المسند (٤٢٥)، وأبو داود (٢٩٦٣)، والترمذى (١٦١٠)، والنسائى فى السنن الكبرى (٦٣١٠).

فإن قيل: إنما يكون ذلك - فى أول الحال والأمر يظهر - إذا كان الحكم باجتهاد، وإنما كان هذا الحكم على منع فاطمة والعباس الميراث بقول النبى ﷺ : "لا نورث ما تركناه صدقة" وعلمه أزواج النبى وأصحابه العشرة، وشهدوا به، فبطل ما قلتموه. قلنا: يحتمل أن يكون ذلك فى أول الحال والأمر لم يظهر بعد، فرأيا أن خبر الواحد فى معارضة القرآن، والأصول والحكم المشهور فى الدين: لا يعمل به حتى يتقرر الأمر، فلما تقرر سلما وانقادا؛ بدليل ما قدمنا من الحديث الصحيح إلى آخره، فلينظر فيه. وهذا أيضا ليس بنص فى المسألة؛ لأن قوله: "لا نورث ما تركناه صدقة" يحتمل أن يكون: لا يصح ميراثنا، ولا أنا أهل له، لأنه ليس لى ملك، ولا تلبست بشىء من الدنيا، ينتقل عنى إلى غيرى. ويحتمل أن يكون (لا نورث) حكما. وقوله: "ما تركنا صدقة" حكما آخر معين، أخبر به أنه قد أنفذ الصدقة فيما كان بيده من سهمه المتصير إليه بتسويغ الله له. وكان من ذلك مخصوصا بما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكان له سهمه مع المسلمين فيما غنموه مما أخذ عنوة. وتحتمل أن تكون "صدقة" منصوبا على أن يكون حالا من المتروك. وإلى هذا أشار أصحاب أبى حنيفة وهو ضعيف، وقد بيناه فى موضعه، بيد أنه يأتيك من هذا أن المسألة مجرى الخلاف، ومحل الاجتهاد، وأنها ليست بنص من النبى. فتحتمل التصويب والتخطئة بين المجتهدين والله أعلم [1].

لقد ظهر من هذا العرض الذي قدمه القاضي أبو بكر ابن العربي – رحمه

(١) انظر بتمامه فى النص الكامل لكتاب القاضى أبى بكر بن العربى (ت ٥٤٣هـ): العواصم من القواصم (النص الكامل) تحقيق د. عمار طالبى ص/ ٢٨٠-٣٢٤ مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١-١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

الله – أن ما شَجر بين الصحابة من خلاف : الإمساكُ عنه أفضل ، والخوض فيه لابد أن يكون بعلم وبصيرة وحَمْلٍ للأمور على ما يناسبها من حكم وعلل؛ إذ تعلقها بأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ وهُم الذين وقرت محبتهم في قلوب المؤمنين الصادقين ؛ وأعني بهم " الصحب الكرام " جزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء .

** ** **

الخاتمة

قبل أن أضع القلم ، أرجو أن أكون قد وفقت في عرض خطتي ، واستطعت أن أُطوِّف بالقارئ الكريم بين جنبات المنهج وتأصيل المصطلحات وسَرْد المعاني والأحداث ، وإن كنت أود البسط في مواطن ، وإبانة بعض اللفظ في مواطن أخر ، فإني تارك بعض ما ذكرتُ للقارئ ؛ ليشاركني نَصَبَ العلم ، والله تعالى أسأل أن يوفقنا إلى كل خير ، وأن يصرف عنا كل شرّ ، وأن يرحم ويغفر لنا ولآبائنا وإخواننا ومشايخنا وذريتنا وأهلنا وتلامذتنا وأصحاب الحق علينا ، وصلى الله وسلم وبارك على النبي الحبيب محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وأعده

د. أحمد النقيب

المراجع والمصادر

المراجع والمصادر

الأبيض ، محمد عبده: العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، دار الكتب العلمية ، بيروت - ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م.

ابن الأثير الجزري ، على بن محمد (ت ٦٣٠هـ): أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، تحقيق خليل مأمون شيحا. دار المعرفة ، بيروت ، ط١-١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): المسند ، فهرسه ورقمه محمد ناصر الدين الألباني ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة (د.ت).

(د). **أحمد عبد الرحمن عيسى**: كتاب الوحي. دار اللواء ، الرياض ، ط١-١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

الأزرقي ، محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠هـ): أخبار مكة ، تحقيق د. علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١-١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م.

الأزهري الهروي ، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة ، تحقيق أ. أحمد عبد العليم البردوني ، مراجعة أ. على محمد البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة - ١٩٧٨م.

أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ): المنازل والديار، تحقيق/ مصطفى حجازي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٥ هـ - =١٩٩٤م.

الأسد، د. ناصر الدين: مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية، دار المعارف، القاهرة، ط٦-١٩٨٢م.

(د). أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦-١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

الألبانى، محمد ناصر الدين: تمام المنة في تخريج أحاديث فقه السنة، دار الراية، الرياض، ط٥-١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

: التوسل، أنواعه وأحكامه، دار العلم، بنها، مصر، ط٤-١٤٠١هـ=١٩٨١م.

: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة النبوية، مجلة التمدن الإسلامي، دمشق، سوريا - ١٣١٧هـ.

: السلسلة الضعيفة، المجلد الثاني، دمشق ط١-١٣٩٩هـ

: صحيح الجامع، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣-١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

: صحيح السيرة النبوية. المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط١-١٤٢١هـ.

: صحيح ابن ماجة، مكتب التربية العربى لدول الخليج، ط٣-١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط٢-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

البغوي ، الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ): الأنوار في شمائل النبي المختار ، حققه/ إبراهيم اليعقوبي ، دار المكتبي ، دمشق ، ط٣-١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

البغوى ، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (ت ٣١٧هـ): معجم الصحابة. دراسة وتحقيق: محمد الأمين الجكنى. مكتبة دار البيان ، الكويت ، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

البهي ، د. محمد: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، دار الفكر ، بيروت ، ط٦ .

البيلي ، محمد محمد: الاستخبارات في غزوات الرسول ﷺ ، مكتبة السندس، الكويت ، ط١-١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

البيهقي ، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، نشره د. عبد المعطى فلعجي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط١-١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

: السنن الكبرى . مكتبة ابن تيمية ، الجيزة (د.ت).

التهانوي ، محمد علي الفاروقي (ت القرن ١٢): كشاف مصطلحات الفنون، تحقيق د. على دحروج ، نقله إلى العربية د. عبد الله الخالدي ، مكتبة لبنان ، ط١-١٩٩٦م.

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ): مجموع الفتاوى ، طباعة ورثة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الرياض ، ط١-١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م .

: منهاج السنة النبوية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيميّة ، الجيزة ، مصر ، ط٢-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

الجبرتى ، عبد الرحمن بن حسن الحنفى المصرى (ت ١٢٤١هـ): عجائب الآثار ، مطبعة الأنوار المحمدية ، القاهرة - ١٩٨٦م.

جريشة، د. على: أساليب الغزو الفكرى ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط٣-١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

الجمحي، محمد بن سلام (٢٣١هـ): طبقات فحول الشعراء ، مطبعة المدني ، القاهرة (د.ت).

(د). جوستاف لوبون: سر تطور الأمم ، نقله إلى العربية : أحمد فتحى زغلول باشا. دار النفائس ، بيروت ، ط١-١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

ابن أبى حاتم الرازي ، محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ): كتاب الجرح والتعديل ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الركن ، الهند - ١٣٧٢هـ=١٩٥٢م

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠١٧هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد (ت ٢٥٤هـ): السيرة النبوية ، خَرَّج أحاديثها : عبد السلام بن محمد عَلَّوش ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط١-١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

حبنكة الميداني ، عبد الرحمن حسن: الحضارة الإسلامية ، دار القلم ، دمشق، ط١-١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ): الإصابة فى تمييز الصحابة ، دار الفكر للطباعة والتوزيع ، بيروت ، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

: تبيين العجب بما ورد في شهر رجب ، تحقيق/ طارق بن عوض الله ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة (د.ت).

: تهذيب التهذيب ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ط٢-١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أخرجه وصحح تجاربه/ محب الدين الخطيب ، دار الريان ، القاهرة ، ط١-١٤٠٧هـ=١٩٨٦م.

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ): الإحكام في أصول الأحكام. دار الحديث ، القاهرة ، ط١-١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

: جوامع السيرة، تحقيق د. إحسان عباس ، ود. ناصر الدين الأسد ومراجعة أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر.

: المحلى ، تحقيق/ أحمد محمد شاكر ، دار التراث ، القاهرة.

حماد بن إسحاق بن إسماعيل (ت ٢٦٧هـ): تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها. دراسة وتحقيق د. أكرم ضياء العمري ، ط١-١٤٠٤هـ=١٩٨٤م ، وهي تشمل خيله وسلاحه وسريره ولقاحه ...

أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف (ت ٧٥٤هـ): النهر الماد على هامش البحر المحيط وانظر له البحر المحيط باللفظ نفسه ، دار الكتاب

الإسلامي، القاهرة، ط٢-١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

الخزاعي، علي بن محمد التلمساني (ت ٧٨٩هـ): كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة - ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

الخشني، مصعب بن محمد بن مسعود (ت ٦٠٤هـ): شرح السيرة النبوية، نشرة/ بولس برونله، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا - ١٣٢٩هـ.

الخضري، محمد: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين. دار صادر، بيروت، ط١-١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

الخضير، د. عبد الكريم بن عبد الله: الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط٣-١٤٢٦هـ.

خطاب، اللواء محمود شيث: قادة النبي ﷺ، دار القلم، دمشق، ط٢-١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط٢-١٤١٤هـ.

الخطيب، د. محمد عجاج: السنة قبل التدوين، دار الفكر، بيروت، ط٦-١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ): تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...)، سلسلة الذخائر، عدد (١٥٣)، القاهرة - ٢٠٠٧م.

أبو خليل، د. شوقي : أطلس التاريخ العربى والإسلامي ، دار الفكر ، دمشق، سورية ، ط١٢-١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م.

: أطلس السيرة النبوية ، دار الفكر ، دمشق سورية ، ط٤-١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

: الهجرة حدث غير مجرى التاريخ. دار الفكر، دمشق، ط٥-١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ): كتاب مفاتيح العلوم ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، تحقيق فان تشلوتن ، سلسلة الذخائر ، العدد (١٠٨) ، إبريل ، القاهرة- ٢٠٠٤م.

ابن خياط ، أبو عمرو خليفة (ت ٢٤٠هـ): كتاب الطبقات ، تحقيق د. سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت - ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ): سنن الدارمي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط١-١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق د. عمر عبد السلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت - ١٤٣٣هـ=٢٠٠٣م

: سير أعلام النبلاء. تحقيق د. بشار عواد و د. محيى هلال السرحان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١١-١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

الراغب الأصفاني ، الحسين بن محمد بن الفضل (ت ٥٠٣هـ): معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت (د.ت).

ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ): شرح علل الترمذي، تحقيق ودراسة د. همام عبد الرحمن سعيد، مكتبة الرشد، الرياض، ط٤-١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

رشيد رضا، محمد: مجلة "المنار" (١/ ٦٠٤) مصر - ١٣١٥هـ و ١٣١٦هـ.

: مجلة "المنار" (٤/ ٨١-٩٩) مصر ١٣١٨هـ=١٩٠١م.

: مجلة "المنار" (٩/ ٥٣٣-٥٣٨) مصر - ١٣٢٤هـ=١٩٠٦م.

: مجلة "المنار" (١٧/ ٧٣٣) مصر - ١٣٣٢هـ=١٩١٤م.

: مجلة "المنار" (١٩/ ٥٢٩-٥٣٧) مصر -١٣٣٥هـ= ١٩١٧م.

: مجلة "المنار" (٣٠/ ٣٤٦-٣٥٧) مصر -١٣٤٨هـ= ١٩٢٩م.

: مجلة "المنار" (٣٢/ ٤٣٣-٤٦٥) مصر -١٣٥١هـ= ١٩٣٢م.

: مجلة "المنار" (٣٥/ ٢٦٧-٢٧٩) مصر -١٣٥٥هـ= ١٩٣٦م.

: مجلة "المنار" (٣٥/ ٦٤-٧٢) مصر -١٣٥٤هـ=١٩٣٥م.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

السباعى، د.مصطفى : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، المكتب الإسلامى، بيروت، ط٤-١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

السبكي ، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق د. عبد الفتاح الحلو ، و د. محمود الطناحي ، دار هجر ، القاهرة ، ط٢-١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دراسة وتحقيق/ محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا، القاهرة -١٩٨٩م.

: فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة (د.ت).

: المقاصد الحسنة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١-١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ): كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق د. على محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

السمعاني ، عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ): كتاب الأنساب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١-١٤١٩هـ=١٩٩٩م.

السهيلي ، عبد الرحمن بن الخطيب (ت ٥٨١هـ): الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمن الوكيل ، مكتبة ابن تيميّة ، القاهرة (د.ت).

ابن سيد الناس ، محمد بن محمد (ت ٧٣٤هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، حقق نصوصه : د. محمد العيد الخطراوي ومحيى الدين مستو ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، المملكة

العربية السعودية ، ط١-١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ): الإتقان في علوم القرآن، دار التراث، القاهرة (د.ت).

: تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة (د.ت).

: الدر المنثور في التفسير بالمأثور. دار المعرفة ، بيروت (د.ت).

شاتيليه ، ا.ل: الغارة على العالم الإسلامى ، لخصها إلى العربية: محب الدين الخطيب ومساعد اليافعى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط٤-١٣٩٨هـ.

شاكر، محمود محمد : أباطيل وأسمار ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٢- ١٩٧٢م.

: المتنبي. مكتبة الخانجي ، القاهرة - ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١-١٩٧٩م.

شَرَّاب ، محمد محمد حسن: المدينة المنورة ، فجر الإسلام والعصر الراشدي (الرواية الصحيحة) ، دار القلم ، دمشق ، ط١-١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

أبو شهبة ، د. محمد بن محمد: دفاع عن السنة ، ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط١-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، دار القلم ، دمشق ، ط٨- ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

الشوكانى ، محمد بن على (ت ١٢٥٥هـ): إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، تح/ سامى العربى ، دار الفضيلة ، الرياض ، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

: البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة (د.ت).

: فتح القدير ، الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، د. عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، ط٣ - ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

ابن أبى شيبة ، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ): الإيمان ، المكتب الإسلامى ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانى ، بيروت ط٢- ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

: المغازى ، دار أشبيليا ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط٢ - ١٤٢١هـ .

أبو الشيخ ، عبد الله بن محمد الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ): أخلاق النبي ﷺ وآدابه. دراسة وتحقيق/ مجدي محمد الشهاوي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١-١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

الصالح الشامي ، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ): خلاصة الفضل الفائق في معراج خير الخلائق ، اعتنى به/ حسن أحمد إسبر. دار ابن حزم، بيروت ، ط١-١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

الصالحي: محمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ): سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد.

ابن الصلاح (أبو عمر)، عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ): علوم الحديث، حققه نور الدين عتر، المكتبة العلمية، بيروت - ١٤٠١هـ=١٩٨١م.

الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣-١٤١١هـ=١٩٩١م

: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت - ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

(د). طه حسين: على هامش السيرة، دار المعارف، القاهرة - ١٩٨٤م.

(د). عائشة عبد الرحمن: تراجم سيدات بيت النبوة. دار الريان للتراث، القاهرة - ١٩٨٧م.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ): جامع بيان العلم وفضله، تحقيق/ أبو الأشبال الزهيري، مكتبة التوعية الإسلامية، الجيزة، مصر ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

: الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق د. شوقي ضيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة - ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ): المصنف، المكتب الإسلامى، بيروت، ط٢-١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، مكتبة السنة، القاهرة ، ط٦-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

: قطوف أدبية حول تحقيق التراث ، مكتبة السنة ، القاهرة، ط١-١٤٠٩هـ=١٩٨٨م.

عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٨٥هـ): فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ط١-١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

العبدة، محمد : معالم حول كتابة التاريخ الإسلامى. مجلة البيان ، لندن ، العدد الأول ، غرة ذى الحجة -١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

ابن العربي المالكي ، محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣هـ): أحكام القرآن ، تحقيق/ علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط١-١٣٧٦هـ=١٩٥٧م.

: العواصم من القواصم ، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ٤ ذو القعدة ١٣٧١هـ.

: العواصم من القواصم (النص الكامل) تحقيق د. عمار طالبى، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط١-١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

عرموش ، أحمد راتب: قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية. دار النفائس، بيروت ، ط١-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

ابن عساكر ، على بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ): تاريخ دمشق الكبير ، تحقيق علي عاشور الجنوبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

العسكري (أبو هلال)، الحسن بن عبد الله (ت ٢٩٥هـ): الأوائل، دار النشر للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، ط١-١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.

عقيقي، نجيب: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٤-١٩٨٠م.

العليّ، إبراهيم: صحيح السيرة النبوية. دار النفائس، الأردن، ط٧-١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

العليّ، د. صالح أحمد: دولة الرسول ﷺ في المدينة، دراسة في تكوينها وتنظيمها، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط٢-٢٠٠٤م.

(د). عماد الدين خليل: دراسات في السيرة، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط٦-١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

العواجي، د. محمد بن محمد: مرويات الإمام الزهري في المغازي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١-١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ): المستصفى من علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، المصورة عن الطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٢٢هـ.

الغضبان، منير محمد: التربية القيادية (جيل الحديبية)، دار الوفاء، المنصورة، ط١-١٤١٨هـ=١٩٩٨م (الجزء الرابع).

: المنهج التربوي للسيرة النبوية، مكتبة المنار، الأردن، ط٢-١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

: المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار، الأردن، ط٢-١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين الأموي (ت ٣٥٦هـ): الأغاني ، أشرف عليه/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- ١٩٩٤م.

الفيروزابادى ، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ): القاموس المحيط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م وهى مصورة عن الطبعة الأميرية -١٣٠١هـ.

ابن قانع البغدادى (أبو الحسين) ، عبد الباقى بن مرزوق (ت ٣٥١هـ): معجم الصحابة. تحقيق: خليل إبراهيم قوتلاى. دار الفكر ، بيروت ، ط١-١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م.

القرطبي ، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

قطب ، محمد: حول التفسير الإسلامى للتاريخ ، دار الشروق ، مصر ، ط١-١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبى بكر (ت ٧٥١هـ): زاد المعاد فى هدى خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م.

: شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط١- ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .

: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، مكتبة المتنبى ، القاهرة (د.ت).

الكتاني ، محمد عبد الحي بن عبد الكبير (ت ١٣٨٢هـ): نظام الحكومة النبوية "التراتيب الإدارية" ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١-١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط١-١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

: تفسير القرآن العظيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة (د.ت).

: الفصول في سيرة الرسول ﷺ ، تحقيق د. باسم بن فيصل وسمية بنت أمين ، مكتبة المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط١-١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م. ولعل هذا الاسم "الفصول" من تصرف المحققين ، والله أعلم.

الكفوي ، أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤هـ): الكليات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢-١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

(د). لبيب السعيد: الجمع الصوتى الأول للقرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢-١٩٧٨م.

اللالكائى ، هبة الله بن الحسن (ت ٤١٨هـ): شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، دار البصيرة ، الإسكندرية (د.ت).

مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ): الموطأ (بروايات السبعة). تحقيق: سليم بن عيد الهلالى. مكتبة الفرقان ، دبى-١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

مالك بن نبي: القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق -١٩٩١م.

: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق -٢٠٠٢م.

ابن المبارك، عبد الله (ت ١٨١هـ): الزهد (١٢٨٣) دار الكتب العلمية (د.ت).

المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، دار الوفاء، المنصورة، مصر (د.ت).

المباركفوري، محمد عبد الرحيم بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣هـ): شفاء الغلل في شرح كتاب العلل، وهو ذيل (تحفة الأحوذي) دار الحديث، القاهرة، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠٢م

مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣-١٩٧٨م.

محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. دار النفائس، بيروت، ط٧-١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ): مختصر سيرة الرسول ﷺ، تخريج وتعليق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، ط٣-١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

محمود شلبي: اشتراكية محمد، مكتبة القاهرة الحديثة -١٩٦٢م.

المزى، جمال الدين يوسف (ت ٧٤٢هـ): تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١-١٤١٣هـ=١٩٩٢م

مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ): مقدمة صحيح مسلم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١٥-١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

المغلوث ، سامي بن عبد الله بن أحمد: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط٣-١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

(الحافظ) المقدسي ، عبد الغني بن عبد الواحد (ت ٦٠٠هـ): حديث الإفك، حقق نصوصه/ سليم الهلالي ، دار غراس ، ط١-١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة.

(د). منظور الدين أحمد: النظريات السياسية في العصر الحديث (النظرية والتطبيق) . نقله إلى العربية د. عبد الجواد خلف و د. عبد المعطي أمين ، سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي ، باكستان ، ط١-١٤٠٩هـ=١٩٨٨م.

(د). مهدى رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، دراسة توثيقية تحليلية، دار إمام الدعوة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط٢-١٤٢٤هـ.

مؤنس، د. حسين: تنقية أصول التاريخ الإسلامى ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ٢٠٠٥م.

ابن ناصر الدين الدمشقي ، محمد بن عبد الله (ت ٨٤٢هـ): سلوة الكئيب بوفاة الحبيب ﷺ ، تحقيق ودراسة د. صالح يوسف معتوق. دار

البحوث للدراسات الإسلامية ، دبي ، دولة الإمارات ، ط٢-١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

ابن النديم ، **محمد بن إسحاق الوراق (ت ٣٨٠هـ)**: الفهرست. تحقيق: د. محمد عوني عبد الرؤوف و د. إيمان السعيد ، سلسلة الذخائر ، القاهرة ، عدد (١٤٩) - ٢٠٠٦م.

أبو نعيم ، **أحمد بن عبد الله الأصفهانى (ت ٤٣٠هـ)**: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢-١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

: معرفة الصحابة ، تحقيق: عادل يوسف العزازى. دار الوطن ، الرياض ، ط١-١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

النقيب ، د. **أحمد طاهر بن عبد الرحمن**: دور اللغة في تفسير القرآن ، المنصورة، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

: كفاية القاري بتفسير كلام الباري، دار الدعوة الإسلامية ، المنصورة، ط١-١٤٢٠هـ=٢٠٠١م.

: النية ، دار طابة للدراسات والنشر ، المنصورة ، ط١-١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

النووى ، **أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)**: التبيان فى آداب حملة القرآن، دار الهجرة ، بيروت ، ط٣-١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

: المنهاج شرح مسلم بن الحجاج ، ط. الشعب ، القاهرة ، تحقيق/ عبد الله أحمد أبو زينة.

ابن هشام ، عبد الملك بن هشام الحميرى (ت ٢١٣هـ): السيرة النبوية ، دار البيان العربى ، القاهرة (د.ت).

: السيرة النبوية ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ط١-١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

: السيرة النبوية ، دار الصحابة ، طنطا ، ط١-١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

الهلالى ، سليم بن عيد: الشهاب الثاقب فى الذب عن الصحابى الجليل ثعلبة بن حاطب ، مكتبة التوعية الإسلامية ، الجيزة ، مصر.

هيكل ، د. محمد حسين: حياة محمد ﷺ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة - ١٩٩٩م.

الوادعي ، مقبل بن هادي : الصحيح المسند من أسباب النزول، مكتبة ابن تيمية، القاهرة -١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

وكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ): كتاب الزهد ، دار الحميصى ، الرياض ، ط٢-١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

و. مونتجمري وات: محمد في مكة ، ترجمة د. عبد الرحمن الشيخ وحسين عيسى ، مراجعة د. أحمد شلبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٢م.

ياقوت الحموى ، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان (٣/ ٢٧) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١-١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

(د.) يحيى إسماعيل: فهارس شرح القاضى عياض لمسلم ، وهو المسمى "إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم" (ج٩). دار الوفاء ، المنصورة ، ط٢-١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

الكشاف

الكشاف

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الجديدة	٥
مقدمة الكتاب	٧
الفصل الأول: السيرة النبوية ، المصطلح ، التناول ، المنهجية	١٧
المبحث الأول: في "المصطلح" (السيرة)	١٩
المبحث الثاني: طرق تناول السيرة	٣٧
المبحث الثالث: الاستشراق وأثره في دراسة السيرة	٥٣
المبحث الرابع: منهجية دراسة السيرة	٨٥
الفصل الثاني: قراءة سردية للسيرة النبوية	١٢٧
المبحث الأول: مجمل سيرة الرسول ﷺ ، قراءة سردية	١٢٩
المبحث الثاني: المواقف التربوية في ترجمة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، دراسة علمية تأصيلية	٢٠١
المبحث الثالث: مواقف الصحابة في الفتن ، رؤية تصالحية لا هوائية	٢٢٥
الخاتمة	٢٧٠
المراجع والمصادر	٢٧٣
الكشاف	٢٩٥